توضيح

نهج البلاغة

الجزء الثاني

تأليف

آية الله المجاهد

الحاج السيّد محمّد الحسيني الشيرازي


Princeton University Library
32101 060160718

Shirazi, Muhammad al-Mahdi al-Husayni

توضيح

نهج البلاغة

الجزء الثاني

سماحة آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمّد وآله اجمعين ، واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(قد علم) الله سبحانه (السرائر) جمع سريرة ، وهى القلب والضمير ، فان جميع النوايا التى ينويها الانسان يعلمها سبحانه وتعالى (وخبر) اى اطلع وعلم (الضمائر) جمع ضمير ، وهذا عطف بيان للجملة السابقة ، تأكيدا (له الاحاطة بكل شئ) ومعنى احاطته استيلاءه بالعلم والقدرة (والغلبة لكل شئ) فهوغالب على جميع الأشياء (والقوة على كل شئ) فهو القوى الغالب المحيط ، ولا يخفى اختلاف مفهومات الصفات المذكورة .

(فليعمل العامل منكم) ايها الناس (فى أيام مهله) وهى ايام كونه فى الدنيا ، فان له مهلة فيها للعمل الصالح (قبل ارهاق أجله) اى ان يرهقه و يستأصله (وفى فراغه قبل اوان شغله) المراد بالفراغ اما الفراغ فى الدنيا ،قبل الآخرة ، اووقت فراغه ، فان الانسان قد يكون فارغا ، وقد يكون مشغولا .

(وفى متنفسه) اى وقت امكان التنفس ، وهوما دام حيا (قبل ان يؤخذ بكظمه) الكظم هو الحلق (وليمهد) اى يهيئ مكانه فى الآخرة (لنفسه وقدومه)

وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ . فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى ، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً

و ذكر القدوم لأنه من أهول الأحوال (وليتزوّد) بالعمل الصالح (من دارظعنه) أى الدنيا التى يظعن و ينتقل منها (لدار اقامته) أى الآخرة الّتى يبقى فيها أبد الآبدين (ف) احذروا (الله الله) كرّر للتّأكيد ، يا (ايها الناس فيما استحفظكم من كتابه) أى جعلكم حفيظا عليه ، فاحفظوه و حفظه عبارة عن العمل به .

(و استودعكم من حقوقه) أى جعلكم محلاّ لوديعته الّتى هى حقوقه عليكم ، و المراد بها الأحكام الشرعية ، فانها حق اللّه على النّاس ، و هى ودائعه تعالى عندهم (فان اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثا) أى بلا غاية و لا مقصد حتّى لم يكن عليكم تكليف (و لم يترككم سدى) اى فلا تكليف ، و سدى بمعنى الاهمال (و لم يدعكم فى جهالة) لا تعرفون الأصول و الفروع بل علّمكم بسبب الأنبياء (ولا عمى) فانّ الانسان الجاهل كالأعمى الّذى لا يبصر .

(قد سمّى آثاركم) اى كتب قبل أن تعملوها ، و هذا كناية عن علمه سبحانه بما يعملون او المراد انه تعالى بين أعمالهم و حدّدها لكن الأول أقرب (و علم أعمالكم) أى جعل العلامة على أعمالكم ، او علّمكم ايّاها حتّى لا تجهلوها (وكتب آجالكم) اى مدّة بقائكم فى الدنيا (و أنزل عليكم الكتاب) المراد به اما جنس الكتب المنزّلة على الأنبياء او خصوص القرآن الحكيم (تبيانا) اى بيان — قالوا

لِكُلِّ شَيْءٍ»، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً ، حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَأَنْهَىٰ إِلَيْكُمْ - عَلَىٰ لِسَانِهِ - مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ،

والتبيان اكثر افادة من البيان - (لكل شئ) والمراد بذلك انه تعالى بين فى القرآن الخطوط العامة للحياة السّعيدة ، لا انه ذكر كل جزئى جزئى من الأمور (وعمّر فيكم نبيّه) محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم (أزمانا) أى أعطى العمر لنبيّه ليكون بينكم مدّة مديدة (حتّى أكمل) سبحانه (له) صلّى الله عليه وآله (ولكم - فيما أنزل من كتابه - دينه) أى أكمل دينه ، بسبب القرآن والأحكام المنزلة فيه ٠

(الذى رضى لنفسه) بمعنى انه سبحانه ارتضاه دينا لنفسه ، اى طريقة يصل الخلق منها الى مرضاته (وانهى اليكم) اى اوصل اليكم (على لسانه) اى لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (محابّه من الأعمال) اى الأعمال الّتى يحبّها سبحانه ومحاب جمع محب مصدر ميمى ، او اسم مكان اى مكان حبه (ومكارهه) اى الأعمال التى يكرهها (ونواهيه وأوامره) ولعل الفرق انّ المحاب اعم من الأوامر لأنها تشمل حتى المستحبّات بخلاف الأوامر ، وكذا النسبة بين المكاره والنواهى ٠

(وألقى اليكم المعذرة) اى ما يوجب عذركم أن اطعتموه وعذره - فى عقابكم - ان عصيتموه ، لأنه بين لكم فخالفتم (واتخذ عليكم الحجّة) وهى ما يحتج به المولى على العبد - ان خالف - والعبد على المولى - ان أطاع - (وقدم اليكم بالوعيد) اى بين لكم العقاب الذى يأتيكم ان خالفتم ٠

وَأَنذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَـذَابٍ شَدِيدٍ . فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ؛ وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ ، وَلَا تُدَاهِنُوا

(وانذركم بين يدى عذاب شديد) اى قبل عذاب شديد ، الذى هو عذاب الآخرة ، فان معنى (بين يدى) قبل الشئ وقدّامه (فاستدركوا) أى أدركوا فلا يفوتكم (بقية أيامكم) بالعمل الصالح والتوبة (واصبروا لها) أى اجعلوا لأنفسكم الصبر فى الأعمال التى تعملونها فى بقية الأيام (انفسكم) مفعول اصبروا ، ومعنى تصبير النفس امرها بالصبر (فانها) اى بقية الأيام (قليل فى كثير الأيام التى تكون منكم فيها الغفلة) ((فى)) بمعنى النسبة ، يعنى ان ما بقى من الأيام قليل بالنسبة الى الأيام الماضية التى غفلت عن الله فيها ، وانما كانت قليلة بالنسبة الى مجموع الناس بالنسبة الى المجموع ، وانكانت الأيام الباقية بالنسبة الى الشاب اكثر من الأيام الماضية ، او الكلام ((خطابى)) لتهوين أمر الصبر لديهم كما جرت عادة البلغاء فى تهوين المشاق للناس حتى يركبوها .

(والتشاغل عن الموعظة) اى عدم الاعتناء بها ، وهذا عطف على قوله ((الغفلة)) (ولا ترخصوا لأنفسكم) اى لا تبيحوا لها عمل المحرمات ، فان الانسان يوحى الى نفسه بالخير والشر والنفس تعمل حسب تلك الايحاءات (فتذهب بكم الرخص) التى ارخصتموها لأنفسكم (فيها) اى فى الأنفس (مذاهب الظلمة) جمع ظالم ، اى تسير النفس كما يسير الظالمون فى ارتكاب المحرمات ، وترك الواجبات (ولا تداهنوا) المداهنة اظهار خلاف ما فى

فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَىٰ ٱلْمَصِيبَةِ . عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ ، وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ ، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ» ، وَالشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ.

الضمير مجاملة للعاصي (فيهجم بكم الادهان على المصيبة) فان الانسان لو داهن يكون مصيره الى النار التي هي اعظم المصائب ، وذلك لأن المداهنة خلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد قال الامام المرتضى صلوات الله عليه : أمرنا رسول الله ان نلاقي اهل المعاصي بوجوه مكفهرّة ، او المراد مداهنة الانسان مع نفسه ·

يا (عباد الله ان انصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه) اي اكثرهم اطاعة ، وانما كان انصح لأنه يهيّئ لنفسه احسن المقامات في الآخرة (وان اغشهم لنفسه) اي اكثرهم غشا لها (أعصاهم لربّه) لأنه يهيّئ لها مستقبلا سيّئا (والمغبون من غبن نفسه) فان من يغبن نفسه بأعمال توجب لها هوانا وعقابا ، فانه احق باسم المغبون من المغبون في معاملته ، فان خسارات المعاملة وقتية وخسارة النفس ابدية (والمغبوط) الذي يغبطه الناس ويتحسرون على مقامه الرفيع (من سلم له دينه) بأن لم يفسد بالمعاصي والآثام ، (والسعيد) الذي نال السعادة (من وعظ بغيره) بأن رأى غيره تضرر من المعاصي فلم يعمل بها ، فانه ادرك السعادة بدون ضرر ·

(والشّقي من انخدع لهواه) فان الهوى والميول النفسية الى الشهوات تخدع الانسان ومن استسلم لهواه فقد شقي واستحق العقاب (وغروره) أي النفس الّتي تغرّه وتزين له العصيان ·

وَٱعْلَمُوا أَنَّ « يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، » وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَىٰ مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ . جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ عَلَىٰ شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَىٰ شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ . وَلَا تَحَاسَدُوا ، فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ « كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ ٱلْحَطَبَ » ،

(واعلموا أنّ يسير الرّياء شرك) الرّياء هو أن يعمل الانسان الأعمال الصّالحة ليراه النّاس فيمدحوه ، وهذا شرك لأن المرائى عمل لغير اللّه سبحانه ، واتّخذ مع اللّه ربّا آخر ، زعمه ضارا نافعا .

(ومجالسة أهل الهوى) الذين ينساقون وراء هواهم وشهواتهم (منساة للايمان) اى توجب نسيان الايمان ، فان الايمان يضعف اذا كثر على النفس ما يخالف الايمان مما يقوله ويعمله أهل الهوى — فان الطبع سارق — (ومحضرة للشيطان) فانّ الشّيطان يحضر عند أهل الهوى والمعصية (جانبوا الكذب) أى تجنبوا عنه (فانّه) اى الكذب (مجانب للايمان) اذ الايمان يأمر بالصدق وينهى عن الكذب .

(الصادق على شرف منجاة) اى ان صدقه يوجب نجاته (وكرامة) أى تكريم اللّه والنّاس له ، فان الصّدق فضيلة يمدحها النّاس .

(والكاذب على شفا) ((شفا)) جرف الوادى ، مما أشرف على السّقوط (مهواة) اى هوى فى المشكلة والسقوط (ومهانة) عند اللّه سبحانه وعند النّاس فانّهم مهما عرفوا انّ فلانا كذب سقط من أعينهم ، فهو قريب الوقوع والمهانة عند النّاس (ولا تحاسدوا) وهو ان يتمنى الانسان لزوال نعمة المتنعّمين ولذا يعمل لزوالها بالتنقيص لهم والحط من شأنهم (فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب) اذ الحسد موجب لحبط الأعمال ، هذا

«وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ »؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ،وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ . فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

بالاضافة الى ان المجتمع المتحاسد لا يزال يأخذ فى السقوط و الهوى حتى يصل الهاوية اذ افراده عوض ان يشتغلوا بالرفعة و الترفيع مشغولون بالتخفيض .

(ولا تباغضوا) .بأن يبغض بعضكم بعضا (فانها) اى المباغضة (الحالقة) التى تحلق و تزيل كل خير و سعادة (واعلموا انّ الأمل يسهى العقل) اى يوجب سهوه و ذهوله ، اذ الذى يأمل الاشياء البعيدة لا يعمل حسب أوامر العقل من العمل الصالح و اخذ الحيطة و الحذر ، لأنه يرجو بقائه الطويل ، (و ينسى الذكر) اى يوجب ان لا يذكر الانسان ربّه ، اذ يترقّب ان يتوب فى كبره و آخر عمره ، كما هو المشاهد فى النّاس طوال الأمل (فاكذبوا الأمل) اى اذاقال لكم أنتم تبقون فى الدّنيا مدّة مديدة ، اعملوا عمل من لا يبقى الا مدة قليلة ،كما قال الامام الحسن عليه السلام اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا (فانه غرور و صاحبه) اى صاحب الأمل (مغرور) قد خدع ، و أرى ما ليس بحقيقة .

وَمِنْ خُطبة لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في بيان صفات المتقين وصفات الفسّاق

عِبَادَ ٱللهِ ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ ، وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ ؛

وَمِنْ خُطبة لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في بيان صفات المتّقين وصفات الفسّاق

يا (عباد الله انّ من أحبّ عباد الله اليه) فالذين هم في الدرجة الأولى من الحبّ جماعة منهم من يأتي وصفه ، ولذا جئ بـ ((من)) التي هي للتبعيض (عبدا أعانه الله على نفسه) بأن كان مسلّطا على النفس ، يقودها حيث مراضي الله لا انّ النّفس تقوده الى الشهوات ، وليس معنى اعانة الله جبره سبحانه ، بل توفيقه الخاصّ الذي يتوقف على المجاهدة قبلا كما قال سبحانه ((والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا)) .

(فاستشعر الحزن) أي جعل الحزن شعارا لنفسه . والشعار هو اللّباس اللاصق بالبدن سمي بذلك لاتصاله بالشعر . يعني انه دائما حزين ، لما يعلم من صعوبة المستقبل والموقف في الآخرة .

(وتجلبب الخوف) اي جعل الخوف من الأهوال المستقبلة في الآخرة جلبابا له والجلباب هو الثوب الساتر الذي يكون فوق جميع الثياب والحزن قلبي بخلاف الخوف الذي يظهر أثره على الأعضاء والجوارح وان كان مصدره القلب

فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَىٰ فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَىٰ لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ ، فَقَرَّبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ . نَظَرَ فَأَبْصَرَ . وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ، وَٱرْتَوَىٰ مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهَلًا .

أيضا .

(فزهر) اى اضاء (مصباح الهدى فى قلبه) فان الانسان الخائف من الآخرة يوجد فى قلبه حالة تبعثه على الخير و الواجب و تمنعه عن الشرّ و المحرم .

(و أعدّ القرى) هو ما يهيّئ للضيف ، و المراد به العمل الصالح (ليومه النّازل به) و هو يوم الموت أو يوم الآخرة ، يعنى انه يستعدّ للقاء الله تعالى (فقرّب على نفسه البعيد) الّذى هو الموت ، فهو يراه قريبا يستعد له ، بينما يراه سائر النّاس بعيدا لا يعمل لأجله (و هوّن الشديد) اى الأعمال الشّديدة الموجبة لنجاته فانّه يراها هيّنة لما يعلم من حسن عاقبتها (نظر) الى الأمور بدقّة و اعتبار (فأبصر) لا يعمى عن المصلحة و المفسدة حيث انّ النّاس يخلطون بين الحقّ و الباطل — فكأنهم غير مبصرين — .

(و ذكر) الله سبحانه (فاستكثر) من الذكر ، اى ذكر ذكرا كثيرا، أو استكثر من العمل الصّالح .

(و ارتوى) أى شرب حتى امتلأ من الماء (من عذب فرات) و المراد به العلوم الصالحة لأنه شبيه بالماء العذب السائل الذى يتلذّذ الانسان بشربه و تكون له عقبى محمودة (سهلت له موارده) جمع مورد و هو محلّ الورود فى الماء ، فانّ الانسان الذى يبتغى الحق يسهل عليه التمسك بالأحكام و تعلّم شرائع الاسلام بينما يصعب ذلك على غيره (فشرب نهلا) النهل هو الشّرب الأول يعنى انه

وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً . قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ ، إِلَّا هَمًّا وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى . قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ . وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ،

ارتوى بشربه الأول ، فلم يحتج الى تكرر الشرب (و سلك سبيلا جددا) هى الأرض الصلبة المستوية التى يسهل السلوك فيها فان جادة الشرع واضحة قويمة (قد خلع) اى طرح من رأسه (سرابيل الشّهوات) جمع سربال و هو الثوب ·

(و تخلّى من الهموم) التى اشتغل بها أهل الدّنيا ، فانّ الانسان الذى صرف نظره الى الآخرة ، لا يهتم للأمور الدنيوية كثيرا حتّى يهتم لها (الآ همّا واحدا انفرد) لهذا الانسان (به) و هو همّ الآخرة ، وانما كان منفردا لأنّ أهل الدنيا لا يشاركونه فى هذا الهمّ (فخرج من صفة العمى) فان الانسان الذى لا يميز بين الحقّ و الباطل و الحرام و الحلال هو و الأعمى سواء فى عدم رؤية الأشياء لكن عمى الأعمى ظاهرى و هذا اعمى معنى (و مشاركة اهل الهوى) لا يشاركهم فى ارتكاب المحضورات لمجرد هوى نفسه (و صار من مفاتيح أبواب الهدى) فانّ النّاس اذا أرادوا الهداية سألوا من هذا الانسان فكأنّ الهدى بيت له باب اذا أريد دخوله لزم فتحه بالمفتاح الذى هو هذا الانسان المتّقى (و مغاليق) جمع مغلاق و هو ضد مفتاح (أبواب الردى) اى الهلاكة ، لأنّه يسدّ على النّاس الفساد و الشر ، فهو كالمغلاق ·

(قد أبصر طريقه) المودّى به الى الجنّة (و سلك سبيله) لأنه يسلك نفس ذلك السبيل بخلاف من يعلم و يفعل خلاف ما يعلم فانّه أبصر الطريق لكنه تنكب

وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ ، وَٱسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لله – سُبْحَانَهُ – فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَىٰ أَصْلِهِ .

السبيل . (وعرف مناره) هو المحل الذى ينصب فى الطريق ويجعل عليه النور ليلا ليهتدى المارّة (وقطع غماره) جمع غمر – بالفتح – وهو معظم البحر يعنى انه عبر بحار المهالك الى سواحل النجات .

(واستمسك من العرى بأوثقها) عرى جمع عروة ، فقد شبّه الاسلام بكوزذى عرى اذا تمسك الانسان باحداها تمكن من الشرب منه ، وأوثق تلك العرى عروة التقوى .

(ومن الحبال بأمتنها) فكأنّ السعادة فى محل مرتفع وادلى منه حبال ليصعد النّاس بها الى ذلك المحل ، وأقوى الحبال هو حبل التقوى ، وهذان اقتباس من قوله تعالى : ((فقد استمسك بالعروة الوثقى)) وقوله سبحانه : ((واعتصموا بحبل اللّه جميعا))

(فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس) فكما انّ ضوء الشمس واضح لا لبس فيه كذلك يقين هذا الانسان بالآخرة وما وراء الطبيعة (قد نصب نفسه للّه سبحانه فى ارفع الأمور) فانّ الانسان اذا التزم جادة الشرع وجدّ واجتهد عرف الأحكام وفهم طرق الاسلام فهو لقربه منه سبحانه واحتواءه لأحكامه كالمقرب عند الملك الذى له مكانة رفيعة عند الملك (من اصدار كلّ وارد عليه) يعنى انه اذا ورد عليه مسألة من مسائل الدين يتمكن من الجواب عنها جوابا صحيحا فيصدر السؤال بعد أن ورد عليه (وتصيير كل فرع الى اصله) لانه يعرف أصول

مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ . كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ . وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ . قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ

الاسلام و فروعه فاذا سأل عنه من فرع تمكن من ارجاعه الى أصله ، لا الى غير أصله ، فيعرف مثلا انّ هذا الفرع من ((اصل : كل شئ حلال)) أو ((أصل : قف عند الشبهة)) .

فهو (مصباح ظلمات) اذ ظلمات الجهل تنكشف بسببه (كشّاف عشّاوات) جمع غشاوة و هو سوء البصر ، اى انه يكشف عن أصحاب العشاوات الظلمات التى فى أبصارهم ، و هذا كناية عن توضيحه الأمور الملتبسة التى التبست على الذين ليس لهم حظ وافر من الدين (مفتاح مبهمات) التى ابهمت و أشكلت فانه يفسرها و يبينها و يظهرها (دفاع معضلات) جمع معضلة و هى المشكلة التى يصعب حلّها ، فانه يحلّها و يدفع اعضالها و يسهّل فهمها (دليل فلوات) جمع فلات و هى الصحراء الواسعة ، فكما ان الدليل يرشد الضال عن الطريق فى الصحراء ، فكذا الانسان المتقى يرشد الناس الى طريق الحق فى متاهات الحياة (يقول) الجواب ، أو الحكم (فيفهم) المخاطب ، لوضوح بيانه (ويسكت) فيما كان الجواب موجبا لمضرة ، او التكلم موجبا لشرّ (فيسلم) من عواقب الكلام .

(قد أخلص لله) فى أعماله ، فلا يعمل الآ له سبحانه (فاستخلصه) اى جعله سبحانه خالصا لنفسه بأن اولاه عنايته و لطفه و جعله من خاصته (فهو من معادن دينه) فكما ان معدن الذهب محله كذلك هذا الانسان محل الدين ،اذ

، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ ٱلْهَوَىٰ عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا ، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ . فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ

هو العالم به .

(وأوتاد أرضه) فانّ الأرض انما تكون موضع رحمة الله بواسطة الأختيار ، ولولاهم لصرف الله سبحانه لطفه عن اهل الأرض ، فهم كالوتد الحافظ لألواح الخشبة بعضها مع بعض (قد ألزم نفسه العدل) أي بأن يعدل فى جميع الأمور (فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه) اى لا ينساق وراء الأهواء ، اذ الانسياق وراء الهوى ظلم و تعد بالنسبة الى النفس ، لاخراجها بذلك عن سعادتها الى شقاءها (يصف الحق) اى يبين ما هو الحق من الأشياء (ويعمل به) هو لا انه يأمر الناس بالبر و ينسى نفسه .

(لا يدع للخير غاية الا امّها) اى قصدها اى انه يقصد نهاية كل خير ، مثلا نهاية الخير فى باب الصلوات ، أن يأتى بالنوافل ، و فى الزكاة ان يزكى من ارباح التجارة و هكذا ، فهو لا يقتنع بأول الخير دون غايته (ولا مظنة الا قصدها) فكلما ظن وجود الخير تبعه حتى ينال من الخير ، مثلا يظن ان هذا الشخص فقير و فى اعانته مثوبة ، فيعطيه و هكذا .

(قد امكن الكتاب من زمامه) اى اعطى زمامه للكتاب حتى يذهب به الى حيث الأحكام الشرعيه ، و هذا كناية عن اتباعه للكتاب الحكيم (فهو) اى القرآن (قائده) الذى يقوده (وامامه) الذى يأتم هذا الشخص به (يحل) هذا الانسان (حيث حلّ ثقله) ثقل المسافر متاعه ، و ثقل القرآن أوامره و زواجره ،

، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ . وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّىٰ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِنُ مِنَ الْعَظَائِمِ .

يعنى ان هذا الشخص يتبع القرآن فى كل حكم (و ينزل) هذا الشخص (حيث كان منزله) اى منزل القرآن ، و فيه استعارة لطيفة .

و لما أتم عليه السلام صفات المتقين شرع فى صفات الفسّاق بقوله : (و أخر قد تسمّى عالما) اى سمّى نفسه عالما (و ليس به) اى ليس بعالم (فاقتبس) اى أخذ (جهائل) جمع جهالة ، و المراد ما ظنه علما و هو فى الحقيقة جهل (من جهّال) لأنهم لو كانوا علماء لم يعطوا الجهل باسم العلم (و أضاليل) اى ضلالات ، و هى ما ظن انها هدايات و ليست كذلك (من ضلال) من اناس ضالين ، و لو لا انهم ضالون لم يعطوا الضلالات (و نصب للناس شركا) هو الحبالة التى يصاد بها الطير و السمك و نحوهما (من حبائل غرور) فكأنّ للخدعة حبالات تنظّم حتى تكون شركا (و قول زور) اى الكذب ، فقد نظم أموره المكذوبة و المزورة لصيد الناس و جعلهم من حفدته و مراجعيه .

(قد حمل الكتاب) اى القرآن الحكيم (على آرائه) فمثلا يحمل قوله تعالى ((الى ربها ناظرة)) على انّ الله سبحانه قابل للرؤية بالبصر ، و هكذا (وعطف الحقّ) اى آماله (على اهوائه) فكلّما اشتهاه قال انه الحق و أخذ يستدل لذلك (يؤمن) الناس (من) الذنوب (العظائم) فيقول ان هذه الذنوب لا خوف

وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ؛ وَيَقُولُ : وَأَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ ، وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ ؛ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ . وَلَا بَابَ ٱلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ. وَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ ! « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » ؟ « وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ » ! وَٱلْأَعْلَامُ(٩٥٦) قَائِمَةٌ

منها (و يهوّن كبير الجرائم) اى المعاصى الكبيرة ، فيجعلها هيّنا لا اهمية لها ، ولا اثم عظيم فى فعلها (يقول) بلسانه لخداع الناس (أقف عند الشّبهات) ليزكّى نفسه و يرى للناس شدة ورعه حتى انه يقف عند الأمور المشتبهة ولا يعمل بها احتياطا (و) الحال انه (فيها) اى فى تلك الشبهات (وقع) اذ ليس له احتياط و ارعواء و تقوى (و يقول) لتزكية نفسه (و اعتزل البدع) التى تجددت مما ليست من الدين و نسب اليه (و بينها اضطجع) اى نام ، كناية عن انغماره فيها .

(فالصورة صورة انسان) فى الخلقة (و القلب قلب حيوان) لا يدرك و لا يفهم (لا يعرف باب الهدى فيتبعه) لأنه انحرف عن الهداية ، وعدم المعرفة لما أوقع نفسه فى الشّهوات (ولا) يعرف (باب العمى) و الضلالة (فيصدّ عنه) و يمتنع عن الدخول فيه (و ذلك) الانسان (ميّت الأحياء) لأنّه حىّ بدنا ميت روحا ، فكما لا يأتى من الميّت الخير كذلك لا يأتى من هذا الانسان ،

ثم أشار عليه السّلام الى انفتاح باب الحق حتّى انّ الذى لا يلجه فانما بسبب نفسه (فأين تذهبون) ايّها النّاس فى ترككم الحق و اتباعكم الباطل (وأنّى تؤفكون) افك بمعنى انصرف ، اى الى اين تنصرفون ، عن الحق .

(و الأعلام قائمة) أعلام جمع علم و هو الذى ينصب فى الطريق بفاصلة ليعلم

وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ .

منه الجادة و المراد أعلام الحقّ التى يستدلّ بها عليه (والآيات) الدّالة على رضى الله سبحانه و أمره و نهيه (واضحة) لا لبس فيها (والمنار) و هو المحل الذى يوضع عليه المصباح ليلا للاهتداء نحو الطريق ، والمراد به هنا الجنس و لذا قال عليه السلام : (منصوبة) موجودة (فأين يتاه بكم) من التيه بمعنى الضلالة ، اى الى أين يذهب الشيطان بكم منحرفا عن الجادة (بل كيف تعمهون) من العمه و هو اشد العمى (و) الحال انه (بينكم عترة نبيّكم) أى أهله و ذريّته الّذين هم خلفائه و القائمون مقامه .

(و هم أزمّة الحق) جمع زمام ، و هو الشئ الّذى يقاد به الحيوان فكأنهم ازمة للحق لقود الناس الى السعادة (واعلام الدين والسنة الصدق) اى ان كلامهم عين الصواب ، وفيه استعارة لطيفة .

(فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) أحسن منازل القرآن هو القلب ، و المراد حبّ أهل البيت و تقديرهم ، كما يقدر القرآن و يحترم ، او المراد بأحسن ما أنزلهم القرآن حيث قال ((الاّ المودّة فى القربى)) و المراد من ((الأحسن)) حينئذ ، كما يراد من قوله : ((يأخذوا بأحسنها)) (وردوهم) من ورد الماء اذا نزل المشرعة لشربه اى اغترفوا من بحار علومهم (ورود) اى مثل و رود (الهيم العطاش) الهيم جمع هائم و هو الابل الشديد العطش وعطاش جمع عطشان .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَىٰ مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ، وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَأَنَا هُوَ ـ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ

(أيها النّاس خذوها) الضمير للقصد والشأن ، اى خذوا هذه الجملة التى تأتى ، وهذا لتأكيد التمسّك بالعترة لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم نصّ عليهم (عن خاتم النّبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم) فانه قال : (انه يموت من مات منّا) أهل البيت (وليس بميّت) لبقاء آثاره ، واشعاع روحه الطاهرة من عالم الآخرة الى عالم الدنيا .

(ويبلى من بلى منّا) اى يفقد شخصه ويدفن تحت التراب (وليس ببال) لبقاء ذكره الجميل ، قال الشاعر : ((والذكر للانسان عمر ثان)) (فلا تقولوا بما لا تعرفون) فانّ وجود الأئمّة عليهم السلام موجب لمضاعفة عذاب من يقول فى الأحكام بما لا يعلم (فانّ أكثر الحقّ فيما تنكرون) ومن كان لا يعرف أكثر الحق كيف يحقّ له أن يتكلم من عند نفسه ، والأعلام قائمة والمراد بـ ((تنكرون)) اما ((تجهلون)) بقرينة ((لا تعرفون)) كما هو الظاهر ، وهذا واضح لأنّ غالب النّاس يجهلون أكثر الأحكام ، واما بمعنى ((تخالفون)) من الانكار ، و هذا لأن الحقائق الكونية شرعية وغيرها خافية على غالب النّاس ، و يظنّون خلافها .

(واعذروا) اى لا تلوموا (من لا حجّة لكم عليه) اى لا دليل لكم على انّه أخطأ (وأنا هو) المراد بقول ((اعذروه)) (ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر) الثقل

! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ ! وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا

هو المتاع النّفيس ، وهذا اشارة الى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : ((انّى تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما ان تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدى)) وانّما كان القرآن الثقل الأكبر ، لأنه عبارة من مجموع الأحكام الالٓهية التى منها مسألة الامامة .

(وأترك فيكم الثّقل الأصغر) فانّ الامام قد خلف الحسنين عليهما السّلام ، وهما من الثّقل الأصغر ، قدوة للنّاس واماما لهم ، بالايصاء بهما و الزام التمسّك لهما .

(وركزت) اى اثبت (فيكم راية الايمان) ببيان أصول الاسلام و شرح عقائده .

(ووقفتكم على حدود الحلال والحرام) ببيان الفروع وشرح الأحكام (وألبستكم العافية من عدلى) فأنتم فى عافية من الظّلم .

(وفرشتكم) اى بسطت لكم (المعروف من قولى وفعلى) فانّهما كانا من المعروف الّذى يستريح الانسان تحت لوائه ، وفيه تشبيه بالأرض المفروشة الّتى يتهنّأ الانسان بالتّقلب عليها .

(وأريتكم كرائم الأخلاق) من عدل وفضيلة وسخاء وشجاعة ووفاء وغيرها ، والارائة كانت بالقول وبتجليه عليه الصّلاة والسّلام بها والمراد هنا الثّانى بقرينة قوله (من نفسى) وان كان يحتمل الأعم ، فانّ القول أيضا من النّفس (فلا

تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ .

منهــا : حَتَّىٰ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ. بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ

تستعملوا الرأى) و القياس فى الأحكام الشرعية ـ بدون اتّباع الكتاب و العتـرة ـ (فيما لا يدرك قعره البصر) فانّ الأحكام لا ينال البصر مغزاها (ولا تتغلغل) اى لا تدخل (اليه الفكر) اذ العين و الفكر قاصران عن اكتناه الحياة حتى يتمكّنا من معرفة أحكام اللّه المقرّرة لكلّ جزئى جزئى من جزئيات الحياة الوسيعة ٠

(منها) : ثم ذكر الامام عليه السلام ما يكون بعده من الاحداث ،وقد حذف الشريف ((ره)) وسط الخطبة (حتّى يظنّ الظّان) اى الذى يظنّ خطــأ (انّ الدّنيا معقولة) من العقال و هو شدّ ركبة البعير ـ كناية عن استقرارها ـ (على بنى أميّة) لا تتجاوزعنهم (تمنحهم) اى تعطيهم الدّنيا (درّها) أى لبنها (و توردهم) من ورود الماء ، أى انّ الدّنيا اذا أرادت سقى بنى أميّـة توردهم (صفوها) أى المحل الصافى من الماء (و) يظنّ الظّان انّه (لا يرفع عن هذه الأمة سوطها و سيفها) كناية عن حكومتهم ، فهم دائموا الحكومة و السلطـة على النّاس ٠

(وكذب الظّانّ لذلك) اى دوام ملك بنى أميّة (بل هى) المنحة التى تمنحهم الدنيا (مجّة) هى نقطة العسل ، او من مجّ الشراب اذا قذفه مـن فيه (من لذيذ العيش) وقد شبّه بالمجّة تحقيرا لها و تشبيها لقصر مدّتهـــا

يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذكر الامام عليه السلام فيها ما يسبب هلاك الناس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ؛ وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ ؛

(يتطعّمونها برهة) أى زمانا قصيرا (ثمّ يلفظونها) أى يتركونها (جملة) فلا يبقى فى أيديهم شئ منها .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذكر الامام عليه السّلام فيها ما يسبّب هلاك الناس

(أما بعد) والأصل مهما يكن من شئ بعد الحمد والصّلاة (فان الله لم يقصم جبّارى دهر قطّ) قصمه بمعنى كسر ظهره ، والمراد ابادة الجبّارين وسلب النّعمة عنهم (الاّ بعد تمهيل) بأن امهلهم مدّة يتمكّنون فيها من الانابة و الرجوع (ورخاء) بأن أنعم عليهم فقابلوا نعمه بالاسائة (ولم يجبر عظم أحد من الأمم) بأن رفعهم بعد ضعفهم وانعشهم بعد ذلّهم وهوانهم وقد كنّى عليه السّلام عن ذلك بجبر العظم (الاّ بعد أزل وبلاء) الأزل : الشّدة ، أى انّ الشّدة توجب الانعاش فانّ بعد العسر يسرا ، وهذا الأمر طبيعى كسابقه ، فانّ الجبّارين يشتغلون بالملاهى والفساد وهما مسببا وثبة النّاس لازالتهم كما ان الأدلة يفكرون ويجمعون قواهم لرفع الهوان عن انفسم ، وهما سبب

وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ ! وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ . فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ

التّقدّم والسّعادة (وفى دون) اى فى أقل من (ما استقبلتم من عتب) أى عتب الزّمان ، واذلاله لكم .

(وما استدبرتم من خطب) اى ما مربكم من الاحداث والخطوب الجسيمة،و الخطب هو الأمر العظيم الّذى ينزل بالانسان كالرزية والمصيبة وماأشبه (معتبر) مبتدأ خبره قوله ((فى دون)) اى ان اذلال الزمان لكم وانزال الخطوب بكم كاف لأن تعتبروا ، لأنكم صرتم من مصاديق الجملة السّابقة ((ولا يجبرعظم أحد ...))

(وما كلّ ذى قلب بلبيب) وهذا كالحث لهم على العمل والنهوض ، أى ان كل انسان ليس بعاقل ، فكونوا أنتم عقلاء فيما يجب عليكم من النّهضة والقيام.

(ولا كلّ ذى سمع) اى اذن (بسميع) اى بواعى ما يسمع ليعتبر به ، أو بمعنى انّه يمكن أن يكون أصم .

(ولا كل ناظر) أى عين (ببصير) بأحد المعنيين السّابقين .

(فيا عجبا) أى يا عجب احضر فهذا وقتك ، والألف فى آخر الكلمة بدل من ياء المتكلّم قال ابن مالك :

واجعل منادى صح ان يضف ليا كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

(ومالى لا أعجب) فانّ المكان مكان تعجّب واستغراب (من خطأ هذه الفرق) فقد تولدت فى زمان الامام فرق دينيّة كلّ يدعى انّه المحبوب عند اللّه سبحانه المتبع لأمره ونهيه من خوارج ، وعثمانية ، ومحايدة ، وصوفية ، وما

عَلَىٰ ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ. ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا، وَٱلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلَاتِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُبْهَمَاتِ

أشبه (على اختلاف حججها فى دينها) فلكل حجة مزعومة لعمله بطريقته الخاصّة به (لا يقتصّون أثر نبيّ) لأنهم لو تمسّكوا بأقوال النّبى صلّى الله عليه وآله و سلّم التى منها ((علىّ مع الحق و الحق مع على)) لم يختلف منهم اثنان (ولا يقتدون بعمل وصىّ) فانّ الامام كان وصيّا و خليفة فيهم، فلو لم تكن أقوال النّبى صلّى الله عليه وآله و سلّم، كان اللازم اتباع الوصى مهما كان (و لا يؤمنون بغيب) فانّهم لو آمنوا بالله و اليوم ـ و هما غائبان عن الحواس ـ ايمانا صادقا، كان ايمانهم زاجرا لهم عن اتباع الميول و الأهواء (و لا يعفون عن عيب) اى لا يكفون عن عيوبهم، بل هم سائرون فى المعائب و النّقائص فانّ معنى عفّ كف.

(يعملون فى الشّبهات) اى الأمور المشتبهة التى لا يعلم حلّها من حرامها وحقّها من باطلها (و يسيرون فى الشّهوات) اى ميولهم و أهوائهم بلا مراعاة للشّريعة (المعروف عندهم ما عرفوا) و انكان مخالفا للحق (و المنكر عندهم ما أنكروا) و انكان موافقا للحق.

(مفزعهم فى المعضلات الى انفسهم) المفزع الملجأ الذى يلجأ اليه الانسان فى مهماته، و المعضلة المشكلة الدينية او الدنيوية، و المراد انهم لا يرجعون الى الامام فى حل مشاكلهم (و تعويلهم) اى اعتمادهم (فى المبهمات) اى الأمور

عَلَىٰ آرائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إمَامُ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَىٰ بِعُرًى ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

حول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه عليه السلام له صلى الله عليه وآله

أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ،

المبهمة الخفية (على آرائهم) فهم لا يرجعون الى الكتاب و السّنة و العترة (كأنّ كلّ امرئ منهم امام نفسه) فلا يحتاج الى امام ومقتدى (قد أخذ منها) اى من نفسه (فيما يرى) من آرائه فى المشاكل (بعرى وثقات) فهو قد تمسك بعروة نفسه ، و وثق بذاته (واسباب محكمات) فكان الحبل الذى تمسّك به مما ينتهى الى نفسه حبل محكم لا انفصام له ·

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

حول الرسوز الأعظم صلّى الله عليه وآله و سلم و اتباعه عليه السلام له صلى الله عليه وآله ·

(ارسله) اللّه سبحانه (على حين فترة من الرّسل) الفترة الفاصلة بين الشّيئين ، فقد جاء الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما انقضى عن رسالة عيسى حوالى خمسمائة سنة ، لا كأنبياء بنى اسرائيل الّذين أرسلوا تباعا ·

وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ وَٱعْتِزَامٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ ، وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ ، وَتَلَظٍّ مِنَ ٱلْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ ؛ عَلَىٰ حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا ،

(وطول هجعة من الأمم) الهجوع النوم ، كان الأمم كانت نائمة عن المعارف الحقّة و المعلومات الالٓهيّة فجاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم لايقاظهم و اعادة الحق الى نصابه ٠

(و اعتزام) اى غلبة (من الفتن) فانّ الفتنة تقوم كلّما تقلص الدين من النّفوس اذ الدّين خير رادع عن الفتن و أسبابها و جذورها ٠

(و انتشار من الأمور) فانّ كل أمر له نظام واقعى يبيّنه الدين فاذا ذهب الدين انتشر الأمر بين أهواء النّاس مثلا الدين يقرّر أن مهر السنة خمسمائة درهم ، امّا اذا لم يكن دين فقانون يغالى فيه الى حدود مدهشة ، وقانون يخفض منه الى حدود زهيدة و هكذا ٠

(و تلظّ من الحروب) تلظت الحرب ، اى اشتعلت ، والتهبت ، و كلّما بعد الناس عن الدّين كثرت الحروب ، لأنها ولائد الفتن ، وعدم استقرار النّظام ، و هما من ثمار عدم الدّين ٠

(والدنيا كاسفة النور) فكما ان النور اذا كان، يرى الانسان الاشياء كذلك الدين سبب لرؤية الضار والصالح والخيرات والشرور، فاذا فقد الدين لم يكن للدنيا نور (ظاهرة الغرور) الناس مخدوعون بها اذ لاثقافة دينية لهم حتى يخرجوا عن الاغترار الى التبصر والتفكر(على حين اصفرار من ورقها) فالدنيا كالشجرة اذا كانت مع دين كانت مخضرة للنشاط والحياة والصحة التى يولدها الدين فيها ، و الا كانت

وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا ، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَىٰ ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَىٰ ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا ، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ ،

بالعكس (و اياس من ثمرها) فانّ الدّنيا اذا كانت مضطربة لا تثمر الثّمر المطلوب منها من التّقدّم و الأمن و الرخاء .

(و أغورار من مائها) كناية عن عدم النضارة و البهجة ، او انّ هذه الجملة على نحو الحقيقة فانّ انحراف الأرض عن مناهج السّماء توجب عدم جريان الأنهار، وقلّة الثّمار ، و اصفرار الأشجار ، و هذا كما انّه مربوط بالأمور الغيبيّة كذلك مربوط بالمناهج فانّ الدّين يوسّع آفاق الفكر ، و يضع المناهج الصّحيحة ،ويوجب التّعاون و كلّ ذلك موجب لعمارة الأرض .

(قد درست) اى خلقت و بليت (منار الهدى) المنار المحلّ الّذى يوضع عليه المصباح ، ليرى الانسان طريقه ، فى اللّيل ، و هذا جنس و لذا جئ بالفعل مؤنّثا ، كالمثل ((اهلك النّاس الدّرهم البيض و الدّينار الصفر)) (و ظهرت أعلام الرّدى) أى رايات الضّلالة الموجبة للهلاك و الشّقاء .

(فهى) أى الدّنيا (متهجّمة لأهلها) من تهجّم بمعنى استقبله بوجه عابس كريه (عابسة) أى قابضة اشمئزازا (فى وجه طالبها) لا تسعد الطالب و لا تفى بما يريد الانسان من الخير و السّعادة (ثمرها الفتنة) فانّ المناهج اذا انحرفت ـ و ذلك من جراء عدم الأنبياء و سلطة الجبّارين ـ كثرت الفتن و الاضطرابات (وطعامها الجيفة) فقد كانوا يأكلون الجيف ، لقلّة أرزاقهم .

(و شعارها الخوف) أى كان النّاس يخاف بعضهم من بعض ، و الشّعار هو الثّوب اللاّصق بالشعر من الجلد ـ و منه سمى شعارا ـ و شبّه به الخوف لأنّه

وَدِثَارُهَا السَّيْفُ . فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ . وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ

فى قلب الانسان لاصق به ، وذلك لأن الاضطراب يوجب خوف جميع افراد الانسان بعضهم من بعض .

(ودثارها السّيف) الدّثار هو الثّوب الّذى يلبس فوق الشّعار ، والمجتمع اذا كان خائفا كان يحمل السّلاح وقاية لنفسه عن الأعداء .

أقول : وقد عادت فى أيامنا هذه الحالة ــ كما قال الامام عليه السّلام ــ حيث ابتعد النّاس عن الأحكام ، وهذا طابع عام لزمان الجاهليّة .

(فاعتبروا عباد اللّه) أى خذوا العبرة ــ للعمل الصّالح ــ من تلك الفترة المظلمة ، والاعتبار انّما هو لعدم اعادة تلك الظروف ، بسبب ترك أحكام اللّه سبحانه .

(واذكروا تيك) الأعمال السيّئة والعقائد الباطلة (الّتى آباؤكم واخوانكم بها مرتهنون) فانّهم رهائن أعمالهم فاذ قد كانوا أسائوا خسروا السّعادة فى الدّنيا والآخرة ، فلا تعملوا مثل أعمالهم حتّى يصيبكم مثل ما أصابهم (و عليها محاسبون) فى الآخرة (ولعمرى) هذا حلف بنفسه الشّريفة (ما تقادمت بكم و لا بهم) بالآباء والاخوان (العهود) فانّكم تذكرون عهد ما قبل الرّسالة و الفجائع الّتى كنتم وكان آبائكم جميعا فيها (ولا خلت) اى لم تمض ، من خلا بمعنى مضى (فيما بينكم وبينهم) اى بين الآباء والاخوان (الأحقاب) جمع حقب ثمانون سنة أو أكثر (والقرون) القرن هو مدّة جيل واحد ، فقالوا مائة ، و

وَمَا أَنتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ . وَٱللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِٱلْأَمْسِ ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْأَوَانِ ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ .

قالوا أقل .

والمعنى : انّ الآباء والاخوان الّذين كانوا فى تلك الظّلمات ، قريبون منكم زمانا ، فهم بين أب وأخ وجدّ وما أشبه .

(وما أنتم اليوم من يوم كنتم فى أصلابهم ببعيد) وانّما الفصل اقلّ من خمسين سنة ، وأصلاب جمع صلب وهو العظم الّذى فى ظهر الانسان ، وهو محل منىّ الرّجل ، قال سبحانه : ((يخرج من بين الصّلب والتّرائب)) .

(والله ما أسمعهم) أى الآباء والاخوان الّذين عاصروا قبل الرّسالة وحين الرّسالة ورأوا الزّمانين (الرّسول شيئا) من الحكم والأحكام والمواعظ والنّصائح (الآ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه) أى أبيّن لكم ما بين الرّسول لآبائكم واخوانكم .

(وما أسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالأمس) يعنى انّكم تسمعون كما كان أصحاب الرّسول صلّى الله عليه وآله يسمعون فالّلازم أن تعملوا كما كانوا يعملون (ولا شقّت لهم الأبصار) حيث انّ البصر محاط بالوجه الممتدّ ، فكانّه قد شقّ فى وسط شئ مستو (ولا جعلت لهم الأفئدة) جمع فؤاد وهو القلب (فى ذلك الأوان) أى أوان حياة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

(ألا وقد اعطيتم مثلها فى هذا الزّمان) فأنتم وآياهم سواء فى وجوب العمل كما انّى كالرّسول صلّى الله عليه وآله فى الوعظ والارشاد .

وَٱللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا ، رِخْواً بِطَانُهَا ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

(والله ما بصرتم بعدهم) أى بعد أصحاب الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلم (شيئاجهلوه) حتى يكون عذركم فى عدم العمل انهم اتما عملوا لانهم جهلواعفو الله وغفرانه — مثلا — وأنتم عالمون بذلك فتعلمون انّه لا اهميّة للعمل (و لا أصفيتم به) أى بشئ (وحرموه) بأن يكون سبب عدم عملكم انّكم مخصوصون بأمر ينجيكم ، ممّا لم يكن لاولئك ذلك الأمر ٠

بل أنتم أحق بالعمل (و) ذلك لأنه (لقد نزلت بكم البليّة) اى المصيبة وهى التّفرّق والتّشتّت والفتن الّتى نجمت من سوء تصرّف عثمان الّذى أدّى الى قتله (جائلا) من الجولان وهو الحركة (خطامها) هوما يجعل فى أنف البعير لينقاد به ، وهذا كناية عن الاضطراب وعدم الاستقرار ، فانّ البعير اذا كان جائل الخطام كان غير متّجه الى وجهة معيّنة (رخوا بطانها) البطان حزام يجعل تحت بطن البعير ، ليستقرّ القتب فوق ظهره ، فاذا كان رخوا ألقى الرّاكب غثا وارهاقا (فلا يغرّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور) اى لا يخدعكم عن الايمان والعمل الصّالح ما ترون من نعمة أهل الدّنيا ، فتظنّون ان ترك الدّين يودّى الى الخير والنّعمة (فانّما هو) أى ما فيه أهل الغرور من النّعم (ظلّ ممدود) لا حقيقة له ولا بقاء بل (الى أجل معدود) قد عدّت مدت بقائها ، ثم تزول بموتهم ، أو زوال نعمتهم ٠

وَمِنْ خُطبة لهُ عَلَيه السَّلام

وهى مشتملة على اوصاف الله سبحانه ، وعظيم مخلوقاته

اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَاَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ . الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً ؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ ،

وَمِنْ خُطبة لهُ عَلَيه السَّلام

وهى مشتملة على أوصاف اللّه سبحانه ، وعظيم مخلوقاته

(الحمد للّه المعروف من غير رؤية) فانّ اللّه تعالى معروف لدى عباده بآثاره وان لم يره أحد . (والخالق من غير رويّة) اى انّه خلق الأشياء بدون تروّ و تفكّر و امعان نظر (الّذى لم يزل قائما دائما) فلم يخل منه وقت وكان قائما منذ الأزل ، اى عالما قادرا حيّا من غير نوم ولا كسل وما أشبه (اذ لا سماء ذاب أبراج) جمع برج ، وهو القطعة من السّماء الّتى تظهر ، ومن ذلك سمّى برجا ، فانّ برج بمعنى ظهر (ولا حجب ذات ارتاج) جمع رتج وهو الباب العظيم والمراد بالحجب وهو جمع حجاب ـ ما جعله اللّه سبحانه من الحجب على العرش ، كالملوك الّذين يجعلون الحجب من دون سريرهم ، وان كان اللّه سبحانه ليس جسما ، وانّما هو للتّشريف والعظمة (ولا ليل داج) أصله ((داجى)) بمعنى مظلم (ولا بحر ساج) أصله ((ساجى)) بمعنى ساكن ، فانّ للبحار سكونا فى مقابل الأنهار الّتى تجرى .

وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ : ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ ، وَإِلٰهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ .

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ ،

(ولا جبل ذو فجاج) جمع فج ، وهو الطريق فى الجبل (ولا فج) أى طريق (ذو اعوجاج) فان الطّريق فى الجبل غالبا يكون ذو التواءات واعوجاجات (ولا أرض ذات مهاد) اى تمهّد وقابلية للسكون (ولا خلق ذو اعتماد) اى ذو قصد وارادة يعتمد عليها فى أعماله ، او استناد الى محل (ذلك) اللّه العظيم المتّصف بما ذكر من الصّفات (مبتدع الخلق) الّذى خلقهم ابتداءا بدون مثال واحتذاء ما سبق من الأمثال (ووارثه) لأن الخلق يفنى ويبقى الله سبحانه مالكا لما يبقى منهم ـ كالوارث الّذى يتملك ما يبقى من المورث ـ (واله الخلق) لا معبود لهم سواه (ورازقه) والرزق اعم من المأكول والملبوس وغيرهما .

(والشمس والقمر دائبان) اى متحرّكان بحركة مستمرّة بلا توقّف (فى مرضاته) أى حسب ارادته تعالى وأمره ، فانّ الكون لا يتحرّك ولا يسكن الاّ حسب أمره سبحانه (يبليان كلّ جديد) وهذا اسناد مجازى فانّ البقاء موجب للبلاء ، او حقيقى فان للنيرين مدخلا فى تفرق الأجزاء الموجب للبلاء (ويقربان كل بعيد) فانّ البعيد الزّمانى يقرب بمرور الأيام واللّيالى الحاصلات من حركات النّيرين (قسم ارزاقهم) اى ارزاق الناس (واحصى آثارهم) اى عدد اثر كل انسان وما يبقى منه ويخلفه بعده (وأعمالهم) التى يعملونها (وعدد أنفاسهم)

وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَىٰ أَنْ تَتَنَاهَىٰ بِهِمُ الْغَايَاتُ .

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ،

فهو سبحانه يعلم عدد نفس كل انسان (وخائنة أعينهم) اى لمحات اعينهم التى تلمح بالخيانة الى مال الناس وعرضهم وما أشبه .

(وما تخفى صدورهم من الضمير) اى السّر الذى ينوونه بقلوبهم ، فـانّ الصّدر وعاء للقلب (ومستقرّهم) اى محل استقرارهم قبل المجئ الى الدنيا ، و هى أرحام النّساء (ومستودعهم) اى المحلّ الّذى يودعون فيه قبل المجئ الى الدنيا والمراد به أصلاب الرجال ، وانّما سمى الصلب مستودعا ، والرحم مستقرّا ، لمكث الانسان فى الرّحم أكثر من مكثه فى الصلب ، وقد بيّن الامام المراد من اللّفظين بقوله (من الأرحام والظّهور) فانّ الصّلب فى ظهر الرجل ، وهو محلّ المنى قبل افرازه (الى أن تتناهى بهم الغايات) يعنى ان علمه سبحانه بأحوال البشر يبتدء من حين كونهم فى الأصلاب الى آخر ايّامهم فى الحياة حيث ينتهون الى الغاية المقدّرة لهم ، والعبارة من ((القلب)) الذى هو من فنون البلاغة ، نحو عرضت الناقة على الحوض ، فان الغاية لا تنتهى بهم ، بل ينتهون الى الغاية .

(هو) الله سبحانه (الّذى اشتدّت نقمته على اعدائه فى سعة رحمته) فان من يعاديه سبحانه بترك اوامره ، وارتكاب نواهيه تكون النقمة والعذاب عليه شديدا ، مع انّه تعالى واسع الرحمة والمغفرة (واتّسعت رحمته لاوليائه فى شدّة نقمته) وهاتان صفتان تلفت الأنظار ، لما بينهما من التنافى عند

قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ ، وَمُدَمِّرُ مَـنْ شَاقَّهُ ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ . عِبَادَ

المخلوقين ، فان الانسان اذا رضى غمض عن اعدائه واذا غضب لم ينج من غضبه احبائه ، لكنه سبحانه يكل لكلشئ بكيله و يضع كل شئ فى موضعه (قاهر من عازه) اى قصد مشاركته تعالى فى عزته بان يقهر السلاطين واصحاب الأموال و من اليهم ممن لهم شراكة ــ اسمية ــ فى صفة من صفاته سبحانه ، او المراد الفراعنة و من اليهم ممن يدعون الربوبية (و مدمّر) اى مهلك (من شاقّه) اى عاداه ، كأنه فى شق وجانب ، والله سبحانه فى جانب و شق آخر .

(و مذلّ من ناواه) اى عاداه (وغالب من عاداه) فانّ الله سبحانه يغلب على اعدائه كما قال ((كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلى)) .

(ومن توكل عليه) بأن وكل اموره الى الله سبحانه ــ وهذا لا ينافى العمل بل العمل من التّوكل لأنه مما أمر به الله تعالى (كفاه) اى تفضل عليه بانجاز أمره .

(ومن سأله أعطاه) وهذه القضايا طبيعية ، لا كليّة فلا ينافيها عدم تطبيقها على بعض المصاديق لمصالح خاصّة كما نقول العقار الفلانى مقوىّ للقلب فانه لا ينافى عدم تقويته فى بعض النّاس .

(ومن أقرضه) اى اعطى الله قرضا وهو عبارة عن صرف المال أو النّفس أو ما أشبه فى أمره سبحانه كما قال ((من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا)) (قضاه) اى ارجع سبحانه اليه ما اقرض ، فى الدنيا أو الآخرة ،

(ومن شكره) اى شكر آلائه و نعمه (جزاه) أعطاه جزاء الشكر، يا (عباد

ٱللَّهِ . زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ ، وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ .

الله زنوا أنفسكم) أمر من ((الوزن)) والمراد عرضه على الشريعة ليعلم مطابقتها لها وعدم مطابقتها ، كما يعرض الجنس على المقدار ليعلم كميته (قبل ان توزنوا) فى الآخرة ، حيث اذا ظهرت خفة وزنكم لم يكن لكم محل للتدارك (وحاسبوها قبل ان تحاسبوا) ليروا هل انها ادّت ما وجب عليها أم لا ، حتّى اذا ظهر عدم ادائها تداركتم (وتنفّسوا) اى اعملوا والتّنفس كناية عنه (قبل ضيق الخناق) الخناق الحبل الذى يوضع فى عنق من يراد خنقه واهلاكه ، فانّ الحبل اذا ضيّق لم يتمكن المخنوق من التّنفّس وهكذا الانسان اذا مات لم يتمكن من العمل المريح لنفسه ، كما يريح التّنفس للجسم (وانقادوا) اى اتبعوا الأوامر ، كالدّابة الّتى تنقاد لصاحبها (قبل عنف السياق) والمراد به الموت الذى يسوق الانسان بعنف الى الآخرة .

(واعلموا انه من لم يعن على نفسه) بأن يجمع قواه وعقله ليغلب على شهوات نفسه ولذّاتها (حتّى يكون له منها) اى من نفسه (واعظ) بأن كانت نفسه يقظة تعظه عند كل زلة وترشده (وزاجر) تزجره عن المعاصى (لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ) فان النفس المنحرفة لا ينفعها مواعظ الأولين والآخرين ، لأنه اذا لم يكن للنّفس حالة تهيّؤ واستعداد لم تقبل النصح والارشاد مهما كان النّاصح عظيما .

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيْهِ السَّلام

تعرف بخطبة الا شباح وهى من جلائل خطبه عليه السلام

و كان سا له سائل ان يصف الله حتى كانه يراه عيانا فغضب عليه السلام لذ لك

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيْهِ السَّلام

(تعرف بخطبة الاشباح و هى من جلائل خطبه عليه السلام)

(و كان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا فغضب عليه السلام لذلك) والأشباح جمع شبح ، وهو الشخص ، وكأن التسمية بهذا الاسم لسؤال ذلك الشّخص من الامام عليه السّلام ، روى مسعدة بن صدقة عن الصّادق عليه السّلام ، انه قال خطب أمير المؤمنين هذه الخطبة على منبر الكوفة و ذلك ان رجلا أتاه فقال له يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا و به معرفة ، فغضب و نادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ، فصعد المنبر و هو مغضب متغيّر اللّون ، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبى صلى الله عليه وآله ثم خطبها .

اقول : لعل غضب الامام عليه السلام كان لأجل كون السؤال تعنّتا ، كما هو كثيرعند الجهلة ، لا يريدون بذلك الفهم و انما تحبيب انفسهم ، وانما أجاب الامام لموقفه من الحاضرين الذين شهدوا السئوال ، فان العالم يفهم الحقيقة من التّعنّت اما غيره فلا يدرك ، فعدم الجواب يحمل على سوء الاخلاق او العجز أو

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ ؛ وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ؛ عِيَالُهُ الْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ،

(الحمد لله الّذى لا يفره) من ((فرر)) ((يفر)) على وزن وعد يعده اى لا يزيده (المنع) عن العطاء (والجمود) جمد مقابل سال ، فان العطية تسيل ، والمنع ملازم للجمود (ولا يكديه) أى لا يفقره (الاعطاء والجود) فان الكون يتكون بلفظة ((كن)) او ارادة معناها ، فكيف يمكن الوفر والفقر بالنسبة الى من ارادته هكذا (اذ كل معط) غيره سبحانه (منتقص) اى موجب لنقصه عما اعطاه (سواه) تعالى ، ولفظة ((اذ)) تعليل لما ربما يسئل : بانه كيف الله هكذا ، ونشاهد ان غيره ليس كذلك ؟ .

(وكل مانع مذموم ما خلاه) هذا علة لقوله ((لا يفره)) فانه دفع لدخل مقدّر ، هو انّه تعالى اذا ((لا يفره المنع)) فلماذا يمنع ؟

(وهو المنّان بفوائد النّعم) اى انّ اعطائه للنّعم منة محض ، لا انّ أحد يستحقّ منه تعالى شيئا واضافة الفوائد الى النعم للبيان .

(وعوائد المزيد والقسم) عوائد جمع عائدة وهى النعمة العائدة الى الانسان وسميت عائدة تفوّلا بأنها لا تكون مرّة واحدة ، بل تعود مرة بعد مرة ، والقسم جمع قسمة وهى ما قسّمها الله سبحانه للخلق من ضروب المنافع والأرزاق (عياله الخلق) اى الذين يعيلهم ويدير شئونهم جميع الخلق ، (ضمن أرزاقهم) بأن يوصلها اليهم ، ما دام قدر لهم رزقا (وقدر اقواتهم) بأن كتب

وَنَهجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ

فى اللّوح وعلم بأن لكل احد اى قدر من الرزق (و نهج) اى اوضح وبين (سبيل الراغبين اليه) اى الذين يرغبون الوصول الى ثوابه و رضوانه (و الطالبين مالديه) من الكرامة و الجنّة و النّعيم ٠

(وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل) فانّ وجوده حسب الصلاح و الحكمة لاحسب السؤال ، و ان كان احيانا يعطى السائل بما لا يعطى الساكت ، لكن ذلك ليس الا لأن السؤال علة للحكمة و الصلاح و هذا بخلاف البشر الذين هم يجودون بالمسئول بما لا يجودون بغير المسئول ٠

(الأول الذى لم يكن له قبل فيكون شئ قبله) فانّ اللّه سبحانه ازلى ، لا شئ قبله اطلاقا ، حتى العدم (و الآخر الذى ليس له بعد فيكون شئ بعده) فهو تعالى ابدى لا ((بعد)) يتصوّر بعده حتى يتصوّر المظروف الذى فى ذلك ((البعد)) ٠

(و الرادع اناسى الأبصار) جمع انسان و هو ما يرى وسط البصر ممتازا عن السواد فى لونه (عن ان تناله اوتدركه) النيل الوصول ، و الادراك التميز فقد يكون الانسان يرى شيئا باجمال لكن لا يدركه بتفصيل ، وقوله ((الرادع)) مجاز ، و الا فهو سبحانه غير قابل للرؤية اطلاقا ٠

(ما اختلف عليه دهر) بأن تمرّ عليه الأيام ، و الشهور و الأعوام ، فان

فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ ٱلحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ ٱلِانْتِقَالُ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلْجِبَالِ ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ ٱلْبِحَارِ ، مِنْ فِلِزِّ ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ ٱلْمَرْجَانِ ، مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ ،

هذه أمور حادثة و الأمور الحادثة لا تحتوى على القديم (فيختلف منه الحال) بأن يكون حاله فى السنة الفلانية غير حاله فى السنة التالية و هكذا فان اختلاف الأحوال تابع لاختلاف الأزمان و الأمكنة و الصّفات ، فاذا انتفى الزّمان انتفى المكان و الصّفة الزّائدة (و لا كان) تعالى (فى مكان) خاص (فيجوز) و يمكن (عليه الانتقال) فلا زمان و لا مكان له تعالى ، لأنهما حادثان و الحادث لا يحتوى على القديم (و لو وهب) واعطى للنّبى (ما تنفّست عنه معادن الجبال) قالوا بأن الجواهر و المعادن تتكون من الحرارة المتصاعدة من جوف الأرض، فانها تحرّك المواد الثمينة الى الخارج و تنضجها ، و لذا شبه عليه السلام بالتنفّس ٠

(و ضحكت عنه أصداف البحار) فانّ الصّدف ينفلق كالانسان الضّاحك حتّى يظهر ما فيه من اللّؤلؤ و ما أشبه (من فلزّ اللّجين) الفلز المعادن التى تذاب بالنّار ، كالذّهب و الفضّة و ما أشبه ، و اللّجين الفضّة (و العقيان) الذهب (و نثارة الدّر) اى ما ينثر فى الأعراس و نحوه من الدّر الّذى هو حصاة شفافة ثمينة (و حصيد المرجان) و هو نبات ينبت فى البحر فيحصده الغوّاصون (ما أثر ذلك) الاعطاء و الهبة لجميع الأشياء الثّمينة (فى جوده) بأن يعتريه بخل فان الجواد اذا اعطى أمواله اثر ذلك فيه بخلاف حيث يريد الابقاء لنفسه و ليس كذلك اللّه سبحانه ، لأنه لا يحتاج و لأن خلق امثال ما وهب بيده

وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ ،وَلَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ . فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ : فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ

(ولا أنفد سعة ما عنده) اى لم يوجب لملكه وقدرته نفادا بل يخلق من جديد .

(ولكان عنده) تعالى (من ذخائر الأنعام) مما يملك خلقه ، او فى سائر الكواكب والمجرات والعوالم (ما لا تنفده مطالب الأنام) اى لا تعدمه طلبات النّاس لأن ملك الله سبحانه لا يدرك وسعته وعظمته (لأنه الجواد الذى لا يغيضه) اى لا ينقصه من غاض الماء اذا نزل وفنى (سئوال السائلين) فاعطاء اسألتهم لا يوجب نفاد ما عنده (ولا يبخله) اى لا يوجب بخله (الحاح الملحّين) واصرارهم على العطاء ، بخلاف النّاس فانّهم ان كثر عليهم الطّلب والالحاح مما أوجب ذهاب أكثر أموالهم فانّه يوجب بخلهم لخوفهم من الفقر والعدم ان تمادوا فى الجود والاعطاء .

(فانظر ايّها السّائل) يريد عليه السّلام به من سأله أن يصف ربّه ــ كما مرّ فى أول الخطبة ــ (فما دلّك القرآن عليه من صفته) تعالى ، ككونه عالما قادرا سميعا بصيرا خالقا رازقا الى غيرها (فائتمّ به) اى اقتد بالقرآن فى وصفه تعالى بتلك الصّفات (واستضئ بنور هدايته) أى بنور هداية القرآن فى ما يجوز على الله تعالى من الصّفات والنّعوت) (وما كلّفك الشيطان علمه) بأن ألهم فى نفسك بأن تصف الله سبحانه بتلك الصّفة الّتى لم تذكر فى القرآن ــ والمراد بالقرآن الأعم من ما جاء به النّبى والأئمّة عليهم السّلام ، فانّ ذلك من باب

مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ

المثال ـ ولذا قال عليه السّلام (ممّا ليس فى الكتاب عليك فرضه) اى ثبوته ، فانّ أحكام الكتاب ومناهجه ثابتة للنّاس (ولا فى سنّة النّبى صلّى الله عليه و آله وأئمّة الهدى) الأثنى عشر ، والمراد ذلك وان لم يوجد بعضهم بعد ، فقد أخبر النّبى بهم وأمر باتباعهم (أثره) بأن لم يرد عنهم ·

(فكلّ علمه) وهل انّه صحيح أم لا ؟ (الى الله سبحانه) ولذا قال الفقهاء انّ صفات الله توقيفية لا يجوز اطلاق صفة عليه الاّ اذا ورد ، حتّى فيما كان الفعل من تلك المادة موجودة فى الكتاب أو السّنة مثلا لا يصح اطلاق ((زارع)) عليه تعالى ، مع انّه ورد ((أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون)) (فانّ ذلك) الايكال الى الله تعالى وعدم التّكلّم حول الصّفة الّتى لم تذكر (منتهى حقّ الله عليك) ومعنى منتهى الحق ، انّه ليس لك واجب آخر بالنّسبة الى هذا الموضوع غير السّكوت ·

(واعلم) أيها السّائل (انّ الرّاسخين فى العلم) يقال رسخ بمعنى ثبت والرّاسخ هو الّذى تعلم كثيرا حتّى ثبت فى العلم وعلم النّتائج ، بخلاف غيره الّذى لا يعلم النّتائج وهو منها فى شك ، لعدم قوّة علمه وكثرة مراسه ، حتّى يعض على العلم بضرس قاطع ·

(هم الّذين أغناهم عن اقتحام) اى الدخول فى (السدد) جمع سدة ، و

ٱلْمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ ، ٱلْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ ، فَمَدَحَ ٱللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ ٱعْتِرَافَهُمْ بِٱلْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ، وَسَمَّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ ٱلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً ، فَٱقْتَصِرْ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ . هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ

هى باب الدار و الفاصلة (المضروبة دون الغيوب) اى الاشياء الغائبة عن الادراك و الحواس ، والسد د استعارة (الاقرار) فاعل اغناهم (بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) اى انهم يعترفون بالمجهول لديهم اجمالا : بأنا نعترف بكل غيب ، و لا يتكلفون الفحص عما لا طريق لهم اليه ، حتى ربما يوجب ذلك تنكبهم الطريق الحق ، و سلوكهم فى متاهات الضلالة (فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول) اى اتباع و الأخذ بالبحث (ما لم يحيطوا به علما) حيث قال سبحانه : ((و الراسخون فى العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا)) .

(و سمّى) الله سبحانه (تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا) فانّ الانسان الرّاسخ فى العلم يعرف ما يقدر مما لا يقدر فيحوم حول ما يقدر و يترك ما لا يقدر بخلاف غير الرّاسخ الّذى يظنّ ان كلشئ فى متناوله فيتعمّق فى الممكن و المحال .

(فاقتصر على ذلك) الايمان بالجملة و ترك التّعمّق (و لا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك) فانّ العقل محدود ، و الله سبحانه غير محدود ، و لا يمكن للمحدود الاحاطة بغير المحدود ، و الا لزم الخلف (فتكون من الهالكين) لأنك بذلك تذعن بخلاف الواقع ، و ذلك كفر ، ثم ابتدء عليه السّلام ببيان ما تقدّم بأسلوب آخر بقوله : (هو القادر الّذى اذا ارتمت

ٱلأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ ٱلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ ،

الأوهام) اى ذهبت الأوهام و الأفكار ، من الرمى ، وجواب ((اذا)) قوله ((ردعها)) (لتدرك منقطع قدرته) منقطع الشئ منتهاه ، لأنه ينقطع عند ذلك الحد ، اى ارادت الأوهام ان تعرف منتهى قدرة الله تعالى ، كما يعرف الانسان ان منتهى قدرة زيد — فى حمل الأثقال مثلا — مائة كيلو . وفى المعارف الى كتاب المعالم و هكذا .

(و حاول الفكر المبرّأ من خطرات الوساوس) بأن كان الفكر صحيحا سليما ، لا مريضا بالوسواس ، فان مثله ابعد عن الادراك ، لأنه يتشكك فى كل شئ (ان يقع عليه) اى يدركه و يفهمه ، فى حال كونه تعالى (فى عميقات غيوب ملكوته) الملكوت ، مبالغة فى الملك ، يعنى انّه سبحانه الملك العظيم الغائب عن الادراك كنهه .

(و تولّهت) التولّه اشتداد الحب ، من ((وله)) بمعنى اشتياق (القلوب اليه) تعالى (لتجرى) القلوب — اى لتفهم — (فى كيفية صفاته) وانها كصفات المخلوقين ، ام لا (وغمضت) اى خفيت (مداخل العقول) بأن كان العقل يدخل من مداخل ضيقة جداً ، حتى ان مداخله كانت غامضة خفية — و هذا استعارة لمنتهى الدّقة — (فى حيث لا تبلغه الصّفات) اى بلغت تلك المداخل فى الدقة الى حيث لا يمكن ان توصف لدقتها .

(لتناول علم ذاته) بأن يتناول بالعلم ، ذاته تعالى ، وانها كيف هى و

رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ . الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ

ما هى (ردعها) اى ردع الله سبحانه تلك الأوهام و القلوب و العقول الّتى أرادت كشف ذاته تعالى ، و المراد بالردع ، قصورها عن الوصول (و هى تجوب) اى تسير فى (مهاوى سدف الغيوب) مهاوى جمع مهوى ، و هو محل التردى من فوق الى تحت ، و سدف جمع سدفة و هى القطعة من الليل المظلم ، كان العقل و الفكر و الوهم ، تتردى فى ظلمات الغيب بدون ان كانت وصلت الى المطلوب (متخلصة اليه سبحانه) اى حينما ارادت التخلص والوصول الى ذاته تعالى ، بأن تعرف كنه الذات (فرجعت) العقول و الأوهام و القلوب (اذ جبهت) يقال جبهه اذا ضرب على جبهته ليردعه و يرديه (معترفة بأنه) سبحانه (لا ينال بجور الاعتساف) الجور الظلم ، و الاعتساف سلوك غير الجادة ، كأنّ الفكر و ما اليه تنكبوا الطريق و ساروا على غير الجادة ، اذ ارادوا معرفة كنهه تعالى .

(كنه معرفته) نائب فاعل ((لا ينال)) (و لا تخطر ببال اولى الرويات) الروية الفكر ، اى اصحاب الفكر و العقل (خاطرة) اى الصفة الخاطرة التى تخطر بالبال (من تقدير جلال عزّته) اى فهم مقدار عزّته سبحانه .

(الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتثله) اى اوجد الخلق ، ايجاد ابتداع ، لا ايجاد اقتداء بغيره ، فانه لم يكن مثال اقتفاه سبحانه فى خلقه .

وَلَا مِقْدَارِ احْتَذَىٰ عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ ، وَظَهَرَتِ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ ،

(ولا مقدار احتذى) اى اقتدى (عليه) اى على ذلك المقدار ، فلم يقس سبحانه مقدار خلقه بمقدار سابق فهو المبدع فى اصل الخلق ، و فى مقدار الخلق (من خالق) متعلق بـ ((مثال)) اى لم يكن مثال من خالق اخر (معهود كان قبله) تعالى .

(وأرانا) سبحانه (من ملكوت قدرته) اى الملك العظيم الذى هو آثار قدرته تعالى (وعجائب ما نطقت به آثار حكمته) كان آثار حكمة الله ـ فى خلقه ـ السنة تنطق بالعجائب .

(واعتراف) عطف على قوله ((ملكوت)) اى أرانا من اعتراف (الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك) ما يمسك الشئ (قوته) لـ((من الخلق)) و ((الى)) متعلقان بـ ((حاجة)) اى ان حاجة الخلق الى من يقوم بشئونه (ما دلنا) مفعول ((أرانا)) اى ان الله سبحانه ارانا بواسطة الملك الوسيع ، و الآثار الكثيرة ، واحتياج الخلق ، دليلا على ذاته المقدّسة (باضطرار قيام الحجّة له) متعلق بـ ((دلنا)) (على معرفته) متعلق بـ ((دلنا)) اى دلنا على معرفته ، بسبب ان قيام الحجّة يضطر الانسان الى العلم و العرفان .

(وظهرت فى البدائع التى احدثها) واوجدها من العدم (آثار صنعته)

وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى ٱلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ ٱلْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ،

فاعل ظهرت (و اعلام حكمته) عطف على الفاعل ، فالبدائع دليل على الصنع وعلى الحكمة (فصار كل ما خلق) من صنوف المخلوقات (حجّة له) تعالى يحتجّ بها على العباد ـ ان تركوا الاذعان به ـ (و دليلا عليه) يدلنا على وجوده سبحانه و الا فلو لم يكن موجودا فمن اين هذه الآثار البديعة و الصنائع المحكمة ؟ (و ان كان) ما خلق (خلقا صامتا) كالجمادات و الحيوانات و النباتات (فحجّته) اى حجة ذلك الخلق ، و الاضافة الى المفعول (بالتدبير ناطقة) اى انها تنطق بأنها من فعل مدبر حكيم ، ومعنى نطقها دلالتها على ذلك (و دلالته) عطف على حجّة (على المبدع قائمة) فانّ الأثر يدل على المؤثر و انكان صامتا غير ناطق ·

(فاشهد) يا الله (انّ من شبهك بتباين اعضاء خلقك) اى بخلقك المتباين الأعضاء من عين ولسان و اذن وغيرها ·

(و تلاحم) اى اتصال (حقاق مفاصلهم) حقائق جمع حق بضم الحاء بمعنى رأس العظم عند المفصل ، و المفصل موضع اتصال العظمين (المحتجبة) تلك الحقائق (لتدبير حكمتك) فان حكمته سبحانه اقتضت احتجاب المفاصل تحت اللحم و الجلد ، لئلا تصاب باذى (لم يعقد غيب ضميره على معرفتك) خبر

وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ٱلْيَقِين بِأَنَّهُ لَا نِدّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تبرؤ التَّابِعِين مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : «تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ» ! كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ ٱلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ ٱلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ،

((ان)) اى ان ضمير الغائب الباطن لم يصل الى معرفته سبحانه ، لانه شبهه تعالى بما ليس شبيها به (ولم يباشر قلبه اليقين) فاعل يباشر و ((قلبه)) مفعول (بأنه لاند) ولا شريك (لك) لأن الله اذا كان شبيها بالانسان او الحيوان كانا شريكين له ، اذ المتشابهان مشتركان فى الحكم و ألند يستعمل بمعنى المثل ، وبمعنى الضد .

(وكأنه لم يسمع) الى القرآن العظيم حيث يبين (تبرؤ التابعين) لأهل الضلالة (من المتبوعين) فى القيامة (اذ يقولون : ((تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) ((التاء)) للقسم و ((ان)) مخففة من الثقيلة ، و ((مبين)) بمعنى الظاهر الواضح ، و ((نسويكم)) بمعنى نقول بالتساوى بينكم و بين الله سبحانه (كذب العادلون بك) يا رب ، ومعنى العادلون : الذين عدلوا بك غيرك ، وقالوا بالتعادل و التساوى بين الخالق والمخلوق (اذ شبهوك بأصنامهم فقالوا ان ((الله)) اله ، كما ان ((الاصنام)) الهة (و نحلوك) اى اعطوك (حلية المخلوقين) اى صفاتهم الخاصة بين الجسمية و ما اشبه (باوهامهم) متعلق ب ((نحلوك)) اى كانت النحلة بالوهم و الخيال ، لا للحقيقة و الواقع .

(و جزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم) فان الأجزاء خاصة بالأجسام و القول بأن لله شريكا يوجب التجزئة ، لأن الشركاء لهم جهة جامعة و جهة فارقة

وَقَدَّرُوكَ عَلَىٰ ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَىٰ ، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ،وَٱلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي ٱلْعُقُولِ،فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً

(وقدروك) اى قاسوك (على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم) قرائح جمع قريحة ، وهى ما يقترحها الانسان ، اى ان عقولهم اقترحت قياسك على الخلق الذين تختلف قواهم ، والله سبحانه ليس ذا قوى مختلفة ، وانما هوذات واحد لا اجزاء له ولا قوى تتحكم فيه .

(واشهد ان من ساواك بشئ من خلقك فقد عدل بك) اى سواك بغيرك وجعلك معادلا له (والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك) فانّ آيات الله المحكمة - غير المتشابهة - دلت على ان الله سبحانه لا شبه له كقوله ((ليس كمثله شئ)) وقوله ((ولم يكن له كفوا احد)) (ونطقت عنه) اى عن قبل عدم التشبه والمعادلة - اى ان النطق من هذه الجهة - (شواهد حجج بيناتك) البينات جمع بينة وهى الأدلة الواضحة والمعنى ان الأدلة الواضحة التى هى حجة تشهد - ناطقة - انك لست كغيرك حتى تكون صفاتك كصفات سائر المخلوقين .

(وانك انت الله الذى لم تتناه فى العقول) اى لم تكن متناهيا محدودا فى عقول الناس ، اى لا تدركك العقول (فتكون فى مهب فكرها مكيفا) اى فتتكيف وتتلون - بلون فكر العقول ، اذ العقل اذا احتوى على شئ فانما يلونه بلون المعقولية ، وقوله ((مهب)) من باب الاستعارة كان الفكر كالريح التى تهب و

، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً .

ومنها : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ .

لها مهب خاص .

(ولا فى رويات خواطرها) جمع روية و هى الفكر (فتكون محدودا) بحد الفكر (مصرفا) تصرفك العقول ، و تحوم حولك .

و حيث ان الله سبحانه منزه عن صفات المخلوقين ، و اغلب الناس يصورونه بتصاويرهم ، و يظنون انّه سبحانه كمثل بعض مخلوقاته اكد الامام فى هذه الخطبة و فى سائر خطبه بضروب التأكيد على تشبهه بالخلق ، و افرغ المطلب فى قوالب متعددة ، و فى سائر خطبه بضروب التأكيد على تشبهه بالخلق ، و افـــرغ المطلب فى قوالب متعددة ، و فى الحقيقة ان الطريقة الدينية الوحيدة التــى تنزه الله سبحانه عما لا يليق به هى طريقة اهل البيت عليهم السلام الذين عرفوه سبحانه فى حدود المعرفة البشرية ، اما كنه معرفة الله سبحانه ، فمن المستحيل ادراكه ، و ذلك لدليل واضح هو انه سبحانه غير محدود ، و العقل محدود ، و المحدود لا يشتمل على غير المحدود ،و الالزم الخلف ، و دليل المقدمتين ((اللــه غير محدود ، و العقل محدود)) واضح لا يحتاج الى البيان .

((و منها)) (قدر) الله سبحانه (ما خلق) من صنوف المخلوقات ، و معنى قدّر ، انه لم يخلق اعتباطا ، و انما عن مقدار معين لحكمة خاصة (فأحكم تقديره) اذ وضع كلشئ موضعه اللائق به (و دبّره) التدبير التخطيط للمستقبل حتى يأتى الشئ كما يراد (فألطف تدبيره) و لطف التدبير عبارة عن دقته بحيث لا يبقى فراغ

وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْانْتِهَاءِ إِلَىٰ غَايَتِهِ . وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ الْمُنْشِىءُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ ،

لحاجات الشئ (وجهه لوجهته) اى سيره فى المسير اللائق به فيها (فلم يتعد) ذلك الشى الموجه (حدود منزلته) اى الحدود التى انزله الله فيها (ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته) فان كل شئ من المخلوقات لا بد و ان يصل الى الغاية التى عينها الله سبحانه ، مثلا غاية ارتفاع النخل كذا مترا ، فانه لا يقصر عن الوصول الى ذلك الارتفاع الذى عينه الله سبحانه له (و لم يستصعب) اى لم ير الأمر صعبا (اذ أمر بالمضىّ على ارادته) اى ارادته تعالى – وهذا كسابقه انما هو بالنسبة الى التكوينيات .

(وكيف) يتمكن الشئ من مخالفته سبحانه (وانما صدرت الأمور) المرتبطة بهذا الشئ (عن مشيئته) تعالى ، فاذا لم يشاء شيئا لم يكن له تكون وصدور اطلاقا (المنشى اصناف الأشياء بلا روية فكر) الاضافة بيانية (آل) الله تعالى (اليها) اى الى تلك الروية ، بخلاف البشر فانه يعمل الأشياء بعد التفكر فيرجع الى ما فكر ثم يعمل (ولا قريحة) هى ما يقترحه الانسان وينشئه فى صقع ذهنه ثم يأتى به خارجا (غريزة) هى الصفة المنطبعة فى الانسان (اضمر) الله تعالى (عليها) اى على تلك القريحة بأن أضمر اقتراحا ثم أبداه فى حال الوجود .

(ولا تجربة افادها) هو بمعنى استفادها (من حوادث الدهور) كالانسان الذى يستفيد من الحوادث فيصحح افكاره و اعماله .

وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَىٰ ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِىءِ ، وَلَا أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّىءِ ، فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا ، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا . وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً

(ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الأمور) فانّ اللّه لا شريك له ، حتى يكون له معين فى الخلق بل هو وحده خلق جميع ما خلق (فتمّ خلقه) اى خلق المخلوق ، باللّه وحده ، والفاء تفريع على ((المنشئ)) (واذعن لطاعته) فاعل اذعن ((الخلق)) المستفاد من ((خلقه)) (واجاب الى دعوته) فانه تعالى كلما اراد ، كان (ولم يعترض دونه) اى دون الخلق والانقياد (ريث المبطئ) اى مدة مهلة الذى يبطئ فى الاجابة ، فانه تعالى بمجرد ان اراد شيئا كان ذلك الشئ بلا تمهل وبطوء (ولا أناة المتلكئ) الاناة ، الصبر والتؤدة ، والتلكّؤ التباطى والتعلل فى عدم الاطاعة (فأقام) الله سبحانه (من الأشياء اودها) اى اعوجاجها ، وهذا كناية عن عدم الاعوجاج فى المخلوقات (ونهج) اى عين ورسم (حدودها) ومزاياها .

(ولاءم) من الملائمة ، بمعنى جعل التناسب والالتئام (بقدرته) سبحانه (بين متضادها) اى متضاد الأشياء ، فالنار المتضادة للماء جمع بينهما اللّه تعالى ، وهكذا .

(ووصل اسباب قرائنها) اى جعل اسباب القرائن موصولة بعضها ببعض حتى تجتمع قرينة كلشئ مع ذلك الشئ (وفرقها) اى الأشياء (اجناسا

مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ ، وَٱلْغَرَائِزِ وَٱلْهَيْئَاتِ ، بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَىٰ مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا !

منها : فى صفة السماء

وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا ، وَلَاحَمَ صُدُوعَ ٱنْفِرَاجِهَا ، وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا ،

مختلفات فى الحدود) كالارتفاع و الانخفاض (و الأقدار) كالكبر و الصغر (و الغرائز) اى الطبائع ، كاليبوسة و الرطوبة ، (و الهيئات) كالأحمر و الأصفر و الاشكال المختلفة ، و ما ذكرناه من باب المثال ، و الا فالألفاظ أعم ، هى (بدايا خلائق) بدايا جمع بدئ بمعنى المصنوع ، من ((بدء)) اى خلائق مصنوعة (احكم) الله تعالى (صنعها) فليس فى صنعها خللا و فسادا .

(و فطرها على ما اراد و ابتدعها) بلا مشارك ، و مضاد فى ارادته سبحانه فلا يكون المصنوع وفق ارادته تعالى .

((منها)) فى صفة السماء (و نظم بلا تعليق) بشئ (رهوات) جمع رهوة و هى المحل المرتفع ، اى بلا ان يعلق السماء بواسطة الحبائل بالأعالى ، كما هى العادة فى تعليق الأشياء بالمرتفعات (فرجها) جمع فرجة ، و هى المحل الخال ، اى فرج السماوات ، و ما بينها من الفضاء و السعة (و لاحم) اى الصق (صدوع) جمع صدع و هو الشق (انفراجها) اى الصق بعض السماوات ببعض حتى لا انفراج هنا ، و حيث ان الشئ ملاء الفضاء متصلة صح هذا التعبير كما يصح التعبير السابق اختلاف الطبقات العليا فى الغلظة و الخفة (و وشج) اى شبك (بينها) اى بين السماوات (و بين ازواجها) اى امثالها ففى كل سماء انجم و كواكب و اجرام و معنى التشبيك جعل بعضها فى

وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا ، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ

بعض .

(و ذلل للهابطين بأمره) وهم الملائكة (و الصاعدين بأعمال خلقه) فان اعمال الخلق تصعد بسبب الملائكة الى السماء (حزونة) اى صعوبة (معراجها) اى العروج الى السماوات ، فان العروج و النزول مشكلان لكن الله سهل للملائكة ذلك (وناداها) اى السماوات (بعد اذ هى دخان) فقد خلقت السماوات من بخار الماء كما قال سبحانه ((ثم استوى الى السماء و هى دخان ، فقال لها و للأرض : ائتيا طوعا اوكرها ، قالتا اتينا طائعين)) و انما عبّر عن البخار بالدخان للمشابهة ، فان الأول ذرات الماء المختلطة بالهواء ، و الثانى ذرات الرماد _ كذا قالوا _ (فالتحمت عرى اشراجها) التحمت اى اتصلت ، و عرى جمع عورة ، و اشراج الوادى ما انفسح منه ، اى اتصلت القطعات من الدخان حتى صارت سماءاً ملتحمة ، و الاتيان ب ((عرى)) لأن كل قطعة كالعروة فى انها تمسك لقصد اتصالها بالقطعة الأخرى .

(وفتق) اى فصل (بعد الارتتاق) اى الاتصال (صوامت ابوابها) جمع صامت كفى به عن الانغلاق ، و المعنى ان الله سبحانه فتح ابواب السماء بعد انغلاقها ، و المراد بذلك جعل فيها ابوابا لنزول الملائكة و صعودهم (و أقام رصدا) و هو ما يرصد و يرقب الحركات (من الشهب) جمع شهاب، وهو النار التى ترى فى الليل فى السماء (الثواقب) جمع ثاقبة سميت الشهب بذلك

عَلَىٰ نِقَابِهَا ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً

لأنها تثقب الفضاء حين انقضاضها (على نقابها) جمع نقب و هو الخرق والمراد بالخرق المحل الممكن لاستراق السمع فى السماوات ، وقد قال سبحانه ((الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب)) و هو كما ورد ، ان الشياطين يصعدون اعالى الجو لاستراق كلمات الملائكة ، فمن استرق منهم شيئا من الكلام رمى بالشهاب الذى يحرقه ، وقد دل العلم الحديث على ان الجو محل لسكونة الأرواح الخيرة و الشريرة ، كما فى كتاب ((على حافة العالم الاثيرى)) كما دلّ العلم الحديث على ان الأرض معرض للقذائف الجوية التى لولا الطبقة ((النتروجينية)) المحطمة للقذائف لأصيب اهل الأرض بعنت كبير كما فى كتاب ((بصائر جغرافيا)) ٠

(و امسكها) اى حفظ الله السماء (من ان تمور) اى تضطرب (فى خرق الهواء) اى فى الفضاء ، فان الأرض كرة معلقة فى الهواء ، لا تضطرب ولا تمور خلاف سيرها المقدر لها ، و قوله ((خرق)) من باب التشبيه (بايده) اى بقوته و الاصل انها جمع ((يد)) وحيث ان اليد آلة قوة الانسان ، استعملت بمعنى القوّة ٠

(و امرها ان تقف) اى لا تفارق مدارها ، فى مقابل الاضطراب (مستسلمة لأمره) فهى تطيع الله سبحانه كما قال سبحانه : ((فقال لها و للأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين)) ٠

(و جعل) الله سبحانه (شمسها آية) اى دليلا على وجوده تعالى

مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا ، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا ،

(مبصرة) اى توجب ابصار الناس للأشياء (لنهارها) اللام متعلق بجعل ، اى جعل لأجل النهار الشمس مبصرة .

(و) جعل (قمرها آية ممحوة) قد محى فيه النّور فليس له نور كالشمس ، او المراد المحو الذى يشاهد فى القمر (من ليلها) الظاهر ان الجار متعلق ب ((ممحوة)) اى المحو من الليل (فاجراهما) اى حركت الشمس و القمر (فى مناقل) جمع منقل ، وهو محل الانتقال ، والمراد به البروج التى يسير فيهما النيران (مجراهما) اى محل جريانهما (وقدر سيرهما) التقدير جعل الشئ بقدر معلوم (فى مدارج درجهما) مدارج جمع مدرج ، وهو محل الدرج بمعنى الحركة ، ودرج بمعنى الدرجة ، اى ان الله سيرهما فى درجاتهما فى السماء .

(ليميز بين الليل و النهار بهما) فاذا طلعت الشمس كان النهار ، و اذا غابت ، وظهر القمر كان الليل .

(وليعلم عدد السنين و) ليعلم (الحساب بمقاديرهما) فان كل دور يوم وكل ادوار خاصة للقمر شهر ، وهكذا ، وبهما يعرف السنة ، كما يعرف اوقات المحاسبة ، فى مواعيد الآجال (ثم علق) الله سبحانه (فى جوها) اى فى جو السماء ، اى وسطها ، والمراد بالسماء الفضاء (فلكها) اى افلاك السماء والمراد بالأفلاك مدارات الكواكب (وناط بها) اى علق بالسماء (زينتها)

مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا ، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاها عَلَى أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا .

اى ما هو زينة السماء ، والمراد الكواكب ، كما قال سبحانه ((انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)) (من) بيان لـ ((زينتها)) (خفيات دراريها) جمع درى ، وهو الكوكب الوضاء كالدر والظاهر ان المراد بها النجوم الصغار (و مصابيح كواكبها) اى الكواكب التى هى كالمصابيح اشراقا ، والمراد بهاالكواكب الكبار التى تضئ فى الليل .

(و رمى مسترقى السمع) اى الشياطين الذين يعلون الى قرب الملائكة فيستمعون الى كلامهم ، خفية ، ولذا سمى اشراقا فان الملائكة لا تريد ان يسمع الشياطين كلامها (بثواقب شهبها) اى الشهب الثاقبة كما تقدم (واجراها) اى سير الكواكب (على اذلال) جمع ((ذل)) بالكسر وهو محجة الطريق (تسخيرها) اى سخرها فى الطرق المقدرة لها ، بحيث لا تحيد عن تلك الطرق (من ثبات ثابتها) فان بعض الكواكب ثابتة فى محلاتها كأكثر الكواكب (ومسير) اى سير ، فانه مصدر ميمى (سائرها) وهى الكواكب السبع السيارة ـ او الأكثر من السبع ـ كما فى العلم الحديث .

(وهبوطها وصعودها) فان الكوكب ما دام لم يصل الى خط نصف النهار فهو صاعد فاذا انحدر عنه فهو هابط (ونحوسها وسعودها) فان بعض الكواكب علامة السعد وبعضها علامة النحس ، كما ان الهواء الشرقية ـ فى بلادنا ـ علامة الأمراض ، والغربية بالعكس ، فقد جعل الله سبحانه لكل شئ

ومنها : ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَىٰ مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ ، وَسُتُرَاتِ

علامة ، لا ان الكوكب بنفسه سعد او نحس .

((ومنها)) فى صفة الملائكة عليهم السلام (ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته) اى الفضاء ، كما قال سبحانه ((وانزلنا من السماء ماءاً طهورا)) وقال فى وصف الطير ((مسخرات فى جو السماء)) .

(وعمارة الصفيح الأعلى) اى الصفحة الأعلى مقابل الصفيح الأسفل ، وهو الأرض (من ملكوته) اى من ملكه ، فان ((ملكوت)) لتعظيم الملك (خلقا بديعا اى قسما جديدا (من ملائكته) فان الملائكة قسم جديد من الخلق (وملاء بهم) اى بالملائكة (فروج فجاجها) جمع فج وهو الطريق وفروج جمع فرجة ، وهى السعة ، اى السعة ما بين طرق السماء (وحشا بهم) اى جعلهم فى وسط السماء - من الحشو - (فتوق) جمع فتق وهو الانفصال فى الشئ (اجوائها) اى فضائاتها ، جمع ((جو)) بمعنى الفضاء .

(وبين فجوات تلك الفروج) الكائنة فى السماء (زجل المسبحين منهم) الزجل الصوت المرفوع ، فان الأصوات الملائكة ترتفع بالتسبيح له سبحانه، وعدم سماع الانسان لأصواتهم ، لعدم قابلية صماخه ، كما ان الاصم لا يسمع اصواتنا لعدم قابلية صماخه (فى حظائر القدس) جمع حظيرة ، وهو المحل الخضر الذى يسوّر بسور ، ولذا سمى حظيرة - من حظر بمعنى منع - والقدس بمعنى النزاهة والطهارة (وسترات) جمع سترة وهو الثوب الذى يعلق للستر

ٱلْحُجُبِ ،وَسُرَادِقَاتِ ٱلْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ ٱلرَّجِيجِ ٱلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا ، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَىٰ حُدُودِهَا . وَأَنْشَأَهُمْ عَلَىٰ صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ ،

(الحجب) جمع حجاب ، والاضافة للبيان ، فان هناك حجبا عما ورائه تشبيها بالحجب التى تنصبها الملوك لستر داخلته عن الأعين .

(وسرادقات المجد) جمع سرادق ، وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه عن الريح والحر والبرد والأنظار (ووراء ذلك) الذى ذكر من الحجب والسرادقات (الرجيج) اى الزلزلة والاضطراب من رج بمعنى تحرك (الذى تستك) اى تصم (منه الاسماع) لشدة الصوت او الكيفية ، والمراد بالرجيج ما تقدم من ((الزجل)) و ((الرجيج)) فى الاعراب عطف بيان لـ ((ذلك)) و ((ووراء)) خبر لقوله : (سبحات) اى ان وراء تلك الأصوات طبقات .

(نور تردع الأبصار عن بلوغها) لقوة النور وشدته (فتقف) الأبصار (خاسئة) اى مطرودة ،من خسوء بمعنى طرد (على حدودها) فان العين لا تتمكن ان ترى اكثر من قابليتها .

ولا يخفى انه ليس هناك جسم او ما يشبه بل هذا محل التشريف ، كما جعل سبحانه الكعبة محل تشريفه — فى الأرض — جعل الحجب والأنوار والعرش و ما اشبه محل تشريفه فى السماء ، والا فمن زعم انه سبحانه جسم او له محل ،او انه اقرب الى مكان من مكان ، فقد اشرك بالله ، وتاه فى متاهات الكفر .

(وانشأهم) اى اوجد الله تعالى الملائكة (على صور مختلفات) كما ان

وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، « أُولِي أَجْنِحَةٍ » تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ ، « بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » . جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَىٰ وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ،

الانسان على صور مختلفة (و اقدار متفاوتات) فلكل قدر و مزايا (اولى اجنحة) جمع جناح ، و جناحهم من جنسهم ، لا من جنس اجنحة الطير ، الا اذا شاؤا التشكل بالطيور (تسبح) الملائكة (جلال عزته) اى انهم ينزهون الله سبحانه عما هو اجل و اعز منها — كالجسمية و الولد وما اشبه — .

(لا ينتحلون) اى لا ينسبون لأنفسهم (ما ظهر فى الخلق من صنعته) تعالى كأفراد الانسان الذين ينسبون الى انفسهم خلق الله سبحانه ، كالذين ادعوا الربوبية و نحوهم .

(و لا يدعون انهم يخلقون شيئا مما انفرد) الله تعالى (به) اى بخلقه (بل) الملائكة (عباد مكرمون) اكرمهم الله سبحانه (لايسبقونه بالقول) كناية عن انهم مطيعون له تعالى ، فلا يقولون شيئا قبل ان يريده تعالى (وهم بأمره) سبحانه (يعملون) و هذا اقتباس للآية الكريمة فى وصف الملائكة .

(جعلهم فيما هنا لك) ((ما)) زائدة للتزيين (اهل الامانة على وحيه) فانهم امناء الله سبحانه فى انزال الوحى على انبيائه (و حملهم الى المرسلين) اى جعلهم يحملون من قبله تعالى الى انبيائه (ودائع امره و نهيه) الاضافة للبيان ، اى امره و نهيه التى هى ودائعه عند الملائكة ليؤدوه الى الأنبياء .

وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَىٰ تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَىٰ أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ،

(وعصمهم) اى حفظهم (من ريب الشبهات) اى الشبهة فى الاله ، كما يشك فيه سبحانه بعض الناس (فما منهم) اى ليس احد من الملائكة (زائغ) اى مائل منحرف (عن سبيل مرضاته) مصدر ميمى اى عن طريق رضاه تعالى (وامدهم بفوائد المعونة) بأن اعلنهم على طاعته .

(واشعر قلوبهم) اى الهمها (تواضع اخبات السكينة) الاخبات بمعنى الخضوع ، فانّ النفس الساكنة المطمئنة خاضعة خاشعة ، بخلاف النفس الجموحة (وفتح لهم) تعالى (أبوابا ذللا) جمع ذلول خلاف الصعب (الى تماجيده) جمع تمجيده ، وهو المدح ، فانهم يسهل عليهم تمجيده وتسبيحه تعالى ، وليسوا كالبشر يوجب ذلك صعوبة وتعبا عليهم .

(ونصب لهم منارا) جمع منارة ، وهى المحل المرتفع الذى يوضع فيه المصباح لهداية السائر ليلا (واضحة على اعلام) اى ادلة (توحيده) فكلهم يوحدون الله سبحانه ، وليسوا كالبشر بين شاك ومقر ومنكر (لم تثقلهم موصرات الآثام) اى مثقلاتها ، من ((الاصر)) بمعنى الثقل ، فانهم لا يذنبون لأنهم معصومون (ولم ترتحلهم) يقال ارتحله اذا وضع عليه الرحل ليركبه (عقب الليالى والأيام) جمع عقبة وهى النوبة ، وتضاف الى الليل والنهار لتعاقبهما ، اى لم يتسلط عليهم تعاقب اللّيالى والأيام لتفنيهم وتهرمهم

وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَىٰ مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَىٰ فِكْرِهِمْ . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ

(ولم ترم الشكوك) من ((رمى يرمى)) (بنوازعها) جمع نازعة ، وهى القوس لأنها تنزع الوتر للرمى (عزيمة ايمانهم) اى صلابة ايمانهم ، والمعنى انهم لا يشكون بعد الايمان ، كما يحدث ذلك لبعض الناس .

(ولم تعترك الظنون) اى لم تعرض الظنون والأوهام (على معاقد يقينهم) كان لليقين عقدا فى القلب ــ ولذا يقال له عقيدة ــ (ولا قدحت) اى ظهرت، واصل القدح صك الحجر بعضه ببعض لاخراج النار (قادحة الاحن) جمع احنة وهى الحقد والضغينة (فيما بينهم) فليس بينهم عداوة وبغضاء (ولا سلبتهم الحيرة) فى الله (ما لاق) اى الشئ الذى لصق (من معرفته) سبحانه (بضمائرهم) اى ان الحيرة لا تسلب عقيدتهم بالله ، كما قد يكون فى البشر ، حيث يتحيرون فى الله بعد المعرفة (و) لا سلبتهم الحيرة (ما سكن ــ من عظمته وهيبة جلالته ــ فى اثناء صدورهم) فانهم يعظمونه سبحانه ويهابون منه ولا يزول ذلك من صدورهم (ولم تطمع فيهم الوساوس) الوسوسة التردد فى الامر والشك فيه (فتقترع) من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة .

(برينها) الرين الدنس (على فكرهم) كان الوسوسة تقترع لترى المحل المناسب لدنسها ، والاتيان بالاقتراح ، من جهة شباهة الوسوسة بترديد الاقتراع ، وحاصل المعنى ان الوسوسة لا تدنس افكارهم (منهم) اى بعض الملائكة ، فى الخلقه (من هو فى خلق الغمام الدلح) جمع دالح وهو الغمام

وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ الشُّمَّخِ ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ ٱلْأَيْهَمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُم تُخُومَ ٱلْأَرْضِ السُّفْلَىٰ ، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَىٰ حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ ،

الثقيل بالماء ، اى ان شكله كشكل الغمام ذى المطر (وفى عظم الجبال الشمخ) جمع شامخ وهو المرتفع (وفى قترة) اى خفاء (الظلام الابهم) اى الشديد الظلمة ، يعنى انهم بتلك العظمة سود شديد السواد ، وذلك للارهاب و التخويف ، ولا يخفى ان الأرواح ــ التى من جنسها الملائكة ــ ليست من المادية بحيث تحس بالحواس ، او تصادم مع سائر الماديات المحسوسة . فلا يقال اذا كانت الملائكة هكذا فلماذا لا نحس بها .

(ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الأرض السفلى) تخوم جمع تخم بفتح التاء وهى باطن الأرض ، اى اعماقها ، اى ان اقدامهم فى اعماق الأرض (فهى كرايات) اى اعلام (بيض) جمع بيضاء فى مقابل اولئك الملائكة السود (قد نفذت فى مخارق الهواء) مخارق جمع مخرق ، وهو محل الخرق اى انها تخرق الهواء ، حيث تخرج من الأرض الى ناحية الفضاء (و تحتها) اى تحت اولئك الملائكة (ريح هفافة) اى الساكنة الطيبة (تحبسها) اى تحبس تلك الريح اولئك الملائكة (على حيث انتهت) تلك الملائكة ، اى تحبسها على منتهاها ، فلا تمتد اولئك الملائكة (من الحدود المتناهية) المعينة لها ، فلا تتحرك عن اماكنها ، كما ان الريح تحبس الراية عن التعدى عن حدودها ، بالالتواء وما اشبه .

قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَىٰ ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَىٰ مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِٱلْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِدْ

(قد استفرغتهم اشغال عبادته) اى ان اشتغالهم بعبادة الله سبحانه افرغهم عن الاشتغال بغير العبادة فلا يشتغلون بشئ آخر (و وصلت حقائق الايمان) اى الايمان الحقيقى (بينهم) اى بين اولئك الملائكة (وبين معرفته) تعالى ، كان الايمان خيط متصل بين الله سبحانه و بينهم (وقطعهم الايقان به) اى اليقين بالله سبحانه (الى الوله) هو شدّة الاشتياق (اليه) تعالى ، و معنى ((قطعهم)) ان اليقين سبب قطعهم عن كلشئ الى الاشتياق فهم مشتاقون الى الاستزادة من معرفته (و لم تجاوز رغباتهم ما عنده) اى ان رغبتهم الى ما عنده تعالى لم تجاوز (الى) رغبتهم فى (ما عند غيره) فهم راغبون اليه فقط (قد ذاقوا حلاوة معرفته) و حلاوة المعرفة ابتهاج يحصل للنفس حتى يرى الانسان ان كل حلاوة ما دونها .

(و شربوا بالكأس الرويّة) التى تروى و تطفئ العطش (من محبته) تعالى (و تعكنت) العكنة الطى الذى فى البطن من السمن (من سويداء قلوبهم) هى مجمع الروح فى القلب ، و تعتبر كمركز للقلب (و شيجة خيفته) الوشيجة عرق الشجرة و اريد بها هنا بواعث الخوف من الله سبحانه ، اى ان بواعث الخوف النابعة من سويداء قلوبهم تجمعت كالعكن (فحنوا) اى ثنوا (بطول الطاعة) الباء سببية (اعتدال ظهورهم) فهم فى حالة ركوع (و لم ينفد) من النفاد

طُولُ الرَّغْبَـةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ ٱلْإِجْلَالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُم فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ

بمعنى الخلاص و التمام (طول الرغبة اليه) تعالى (مادة تضرعهم) فان رجائهم لم يعدم خوفهم منه سبحانه .

(و لا اطلق عنهم عظيم الزلفة) اى قربهم منه تعالى ـ قربا معنويا ـ (ربق خشوعهم) جمع ربقة و هى حبل فيه عدة عرى تربط فيها الحيوانات المتعددة ، فانهم مع قربهم خاشعون له سبحانه اعناقهم فى ذل العبودية (و لم يتولهم الاعجاب) من اعمالهم (فيستكثروا ما سلف منهم) كما هو الغالب فى افراد الناس حيث يحسنون اعمالهم السابقة فيظنون كثرتها و كفايتها (و لا تركت لهم استكانة الاجلال) اى خضوعهم لجلال الله وعظمته (نصيبا فى تعظيم حسناتهم) فانهم لا يعظمون حسناتهم لما يعلمون من عظمة الله و جلاله فان الشخص اذا نظر الى عظم الطرف يستقل عمله تجاهه (و لم تجر الفترات فيهم) الفترة من الفتور عن العمل كسلا و مللا (على طول دؤوبهم) من دائب فى العمل بمعنى بالغ فيه و اجتهد حتى جهد نفسه .

(و لم تغض رغباتهم) من غاض الماء اذا نزل فى الأرض حتى لم يبق منه شئ اى ان رغبتهم فى الطاعة لا تغنى (فيخالفوا عن رجاء ربهم) فان الرغبة اذا غاضت لم يرج الانسان المرغوب فيه ،فلا يعمل لأجله (و لم تجف) من الجفاف بمعنى

لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ ٱلْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَىٰ رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو عَلَىٰ عَزِيمَةِ جِدِّهِمِ بَلَادَةُ ٱلْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي

اليبس (لطول المناجاة) و التكلم مع الله سرا (اسلات السنتهم) جمع اسلة و هى طرف اللسان ، حتى تقف عن ذكره تعالى ٠

(ولا ملكتهم الاشغال) بمعنى منعتهم اشغالهم (فتنقطع بهمس الجؤار) الهمس الصوت الخفى ، والجؤار الصوت ، الصوت الرفيع تضرعا ، (اليه سبحانه (اصواتهم) اى ان الاشتغال يوجب تبدل ضراعتهم الجهرية الى الهمس فان الانسان المشغول بأمر ما يهمس صوته عادة ، لانصراف القوة الى ناحية اخرى ٠

(ولم تختلف ــ فى مقاوم الطاعة ــ) جمع مقام اى مقامات الطاعة (مناكبهم) جمع منكب ، فانهم فى صفوف معتدلة ، حتى ان مناكبهم مصطفة لا تقدم لبعضها على بعض ، وهذا يدل على التأدب ٠

(ولم يثنوا الى راحة التقصير فى أمره رقابهم) فان الشخص اذا اراد الاستراحة ثنى رقبته لتمديدها و دفع الكسل و النصب عنها ، وهذا تقصير بالنسبة اليه سبحانه فالملائكة لم يفعلوا ذلك وانما رقابهم ممتدة دائما فى الضراعة و الاستكانة ٠

(ولا تعدو) اى لا تسطو (على عزيمة جدهم) اى جهدهم فى الطاعة (بلادة الغفلات) اى الغفلة البليدة ، فانهم دائمو الجد بغير غفلة و فتور ٠

(ولا تنتضل) يقال انتضلت الابل اذا رمت بايديها فى السير سرعة (فى

هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ . قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ،وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ ،

هممهم) فى العبادة و الطاعة (خدائع الشّهوات) اى الشّهوات الخادعة للانسان ، والمعنى ان الشّهوات لا تسير سيرا سريعا فى اهتمامهم بالعبادة ، حتّى تنقص من طاعتهم .

(قد اتّخذوا ذا العرش) اى الله سبحانه (ذخيرة ليوم فاقتهم) اى حاجتهم و لعل المراد بذلك يوم العرض الأكبر ، اذ كل نفس تحضر هناك للمحاسبة ، وهو اشدّ ايّام الأنفس حاجة و فقرا (و يمّموه) اى قصدوه (عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم) فهم يرغبون اليه تعالى بينما سائر الخلق يرغبون الى مخلوق مثلهم لقضاء حوائجهم ، فقوله ((برغبتهم)) متعلق ب ((انقطاع)) .

(لا يقطعون امد) اى طول (غاية عبادته) اى ان عبادتهم لا تنتهى الى الغاية حتى يستريحوا بأنهم عملوا الى الغاية المطلوبة منهم (ولا يرجع بهم) رجوعا من الطاعة الى الكسل (الاستهتار بلزوم طاعته) الاستهتار التولع الزائد، اى انّ ولعهم بلزوم الطاعة لا يسبب لهم رجوعا ، كما هى العادة فى الناس، فان الولع الزائد بالشئ يولّد فى أنفسهم غفوة و اشمئزازا .

(الاّ الى موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه و مخافته) مواد جمع مادة و هى التى تمد الشئ ، والاستثناء منقطع ، اى انهم كلما اطاعوا اذ دارت فهم بواعث الاطاعة من الرغبة و الرهبة الموجودتين فى قلوبهم ، والحاصل انه لا

لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ ، فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ،

يرجع ولع الملائكة بالطاعة ، الا الى الزيادة ، وذلك للمواد الموجودة فى قلوبهم الموجبة للزيادة (لم تنقطع اسباب الشفقة منهم) الشفقة الخوف (فينوا) من ((ونى)) بمعنى كسل وضعف (فى جدهم) واجتهادهم فى الطاعة ·

(ولم تأسرهم الأطماع) اى اطماع خارجية (فيؤثروا) ويقدموا (وشيك السعى) اى السعى الوشيك وهو السعى الضعيف ، مقابل السعى الحثيث ، فان الوشيك بمعنى القريب (على اجتهادهم) وسعيهم الحثيث فى الطاعة فان الانسان اذا طمع فى شئ قل سعيه فى غيره ، والملائكة لا طمع لهم فى غير الله سبحانه كى يخف سعيهم فى طاعة الله تعالى ·

(ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم) اى لا يعدونه عظيما (ولو استعظموا ذلك) العمل الماضى منهم (لنسخ الرّجاء منهم) اى ابطل الرجاء – الذى يحدث من استعظام العمل ، فانّ الشّخص اذا رأى عمله عظيما صار رجائه كبيرا – (شفقات وجلهم) اى تارات خوفهم ، جمع شفقه ، وهى التارة من الخوف ، فانّ الرّجاء اذا عظم ، قل الخوف ·

(ولم يختلفوا فى) محبة (ربّهم) وطاعته (ب) سبب (استحواذ الشّيطان) واستيلائه (عليهم) فانّ الشّيطان لا يجد اليهم سبيلا (ولم يفرقهم سوء التقاطع) اى التحاسد والتشتت فيما بينهم ·

وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَلَا شَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ، وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً،

(ولا تولاّهم) اى اخذهم (غلّ التّحاسد) اى الحسد الكائن فى النفس فانّ الغل هو الحسد الكامن فى النّفس .

(ولا شعبتهم) اى فرقتهم (مصارف الريب) جمع ريبه ، اى صروف الريبة الذى يصرف بالانسان ، فان الشّك يوجب صرف الانسان عن اتجاهه، و ذلك يوجب التّفرّق .

(ولا اقتسمتهم اخياف) جمع خيف بمعنى النّاحية (الهمم) جمع همة اى انّ النّواحى المتشتة من الأفكار و الاهتمامات لا توجب تفرّقهم ــ كما فى البشر ــ اذ لا همم مختلفة لهم ، وانماهم جميعهم شئ واحد (فهم اسراء ايمان) قد جمع الايمان بالله كلّهم تحت لواء واحد ، كالأسير الّذى لا يتمكّن من الانفكاك و الانطلاق (لم يفكهم من ربقته) اى ربقة الايمان وهى الحبل فيه عرى لاعناق البهم تربط بها لتنخرط فى حبل واحد و يسهل سوقها (زيغ) اى انحراف (و لا عدول) عن الحق (ولا ونى) اى وهن وضعف (ولا فتور) اى فاصلة وكسالة بين العمل .

(وليس فى اطباق السماء) اى طبقاتها المختلفة ، والمراد اجزائها (موضع اهاب) هو جلد الحيوان ، اى قدر جلد (الا وعليه ملك ساجد) لله (اوساع حافد) خفيف سريع السير فيما امره الله فالسّماء ممتلئة بالملائكة (يزدادون على طول الطّاعة) اى على انّهم فى الطّاعة طول اوقاتهم (بربّهم علما)

وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً .

و منها فى صفة الارض و دحوها على الماء

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَىٰ مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا ، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ

و هذا خلاف الانسان فان طول طاعته لاحد ، يزداده تنفرا و اشمئزازا ، لما يبدو له من نقائصه (و تزداد عزة ربهم فى قلوبهم عظما) فعظمته سبحانه لا تزال تنمو فى انفسهم .

(و منها فى صفة الأرض و دحوها على الماء) اى بسطها عليه (كبس) الله (الأرض) اى ضغط بالأرض و جعلها (على مور) المور التحرك الشديد (أمواج مستفحلة) اى هائجة صعبة ، فان الله سبحانه خلق الماء اولا ثم جعل فوقه الأرض ضاغطا للأرض على الماء ، حيث كانت الأمواج الهائجة تعلو الماء (و) على (لجج) جمع لجة ، و هى معظم الماء و وسطه (بحار) من الماء ، و الاتيان بالجمع باعتبار قطعها المختلفة و الا كانت بحرا واحدا (زاخرة) من زخر اذا امتلأ (تلتطم اواذى) جمع اذى و هو اعلى الموج (امواجها) جمع موج و هو ما يعلوا البحر من المياه المختلطة بالهواء ، و معنى التطامها ضرب بعضها بعضا بشدة (و تصطفق) اى تضطرب و تهتز (متقاذفات اثباجها) جمع ثبج ـ كفرس ـ ما بين الكاهل و الظهر ، و استعير لاعالى الموج ، و معنى اصطفاقها اضطرابها الموجب لقذف بعضها على بعض .

(و ترغو) تلك البحار ، اى تعطى الرغوة (زبدا) بيان لترغو ، اى تخرج الزبد (كالفحول) من الابل (عند هياجها) فان الابل اذا اهتاج اخرج من فمه الزبد لما يخلط من الهواء باللعابات اللزجة الكائنة فى فمه (فخضع جماح) اى

ٱلْمَاءِ ٱلْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ٱرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً ، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ ، سَاجِياً مَقْهُوراً ، وَفِي حَكَمَةِ ٱلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً ، وَسَكَنَتِ ٱلْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَٱعْتِلَائِهِ ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ

استعلاء (الماء المتلاطم) الذى يلطم بعضه بعضا (لثقل حملها) اى حمل الارض (و سكن هيج) اى هيجان (ارتمائه) من ((رمى)) اى اضطرابه و قذفه للامواج (اذ وطئته) اى وطئت الأرض الماء (بكلكلها) بمعنى الصدر (وذل) الماء (مستخذيا) اى منكسرا مسترخيا (اذ تمعكت) التمعك تمرغ الدابة في التراب (عليه) اى على الماء (بكواهلها) اى كواهل الأرض ، والكاهل بين العضد و العنق ، و المراد هنا الثقل ، يعنى ان الأرض لما القت بثقلها على الماء ، ذل الماء فلم يضطرب ولم يهتز ــ كما كان ــ

(فأصبح) الماء (بعد اصطخاب) افتعال من الصخب بمعنى رفع الصوت (امواجه) فان للأمواج صوتا و صياحا (ساجيا) من سجى بمعنى سكن (مقهورا) ذليلا قد قهرته الأرض (و فى حكمة الذّل) الحكمة ما احاط بحنكى الفرس من لجامه (منقادا اسيرا) لا يقدر على التحرك و الاضطراب ٠

(و سكنت الأرض مدحوة) من الدحو بمعنى البسط (فى لجة تياره) اى معظم تيار الماء ، و التيار هو الماء الجارى بشدة (وردت) الأرض (من نخوة بأوه) اى زهوه (و اعتلائه) اى تعاليه ، فان الماء كان كالزاهى المتعال ، فلما القيت الأرض عليه رجع عن ذلك ، بل سكن و هدء ٠

(و شموخ انفه) يقال شمخ بأنفه اذا تكبر (و سمو) اى ارتفاع (غلوائه) اى

كَعَمَتْهُ عَلَىٰ كِظَّةِ جَرْيَتِهِ ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ . فَلَمَّا سَكَنَ هَيَاجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا ، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ الشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ عَلَىٰ أَكْتَافِهَا ، فَجَّرَ يَنَابِيعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا

نشاطه و تكبره ، فان الغلواء بمعنى تجاوز الحد .

(وكعمته) اى كعمت الأرض الماء ، يقال كعم البعير اذا شد فاه لئلا يعض او يأكل (على كظة جريته) الكظة ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ، فالماء الذى كان يجرى فى تياره ، كان كثيرا متراكما كالشخص الممتلئ طعاما (فهمد) اى سكن الماء (بعد نزقاته) النزقة الطيش (ولبد) اى قام و سكن (بعد زيفان و ثباته) الزيفان التبختر فى المش ، و الوثبة الطفرة ، كأنّ الماء كان يطفر من هنا الى هنا متبخترا .

(فلما سكن هياج الماء) اى اضطرابه (من تحت اكنافها) اى اطراف الأرض ، فان الاكناف جمع كنف بمعنى الطرف و الناحية (و) من (حمل) الماء ل (شواهق الجبال) جمع شاهقة و هى المرتفعة (الشمخ) جمع شامخ و هو المرتفع (البذخ) جمع باذخ و هو المرتفع الضخم (على اكتافها) اى اكتاف الأرض ، الموجب لثقل الأرض على الماء .

(فجر) اى اظهر الله سبحانه (ينابيع العيون) جمع ينبوع و هو محل الماء العذب المجتمع تحت الأرض (من عرانين انوفها) عرانين جمع عرنين ـ بالكسر ـ و هو ما صلب من عظم الانف ، و المراد اعالى الجبال (وفرقها) اى الأنهار النابعة (فى سهوب) جمع سهب بمعنى الفلات (بيدها) جمع بيداء

وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا، وَرُكُوبِ ٱلْجِبَالِ أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا

و هى الصحراء ، وكأنّ المعنى الصحارى الواسعة (واخاديدها) جمع اخدود و هى الحفر المستطيلة فى الأرض ، كمجارى الأنهار .

(وعدل حركاتها) اى حركات الأرض ، فان الأرض لوجود ثقل عليها تتحرك و تضطرب ، اضطراب السفينة فى الماء (بالراسيات) جمع راسية و هى الجبل (من جلاميدها) جمع جلمود و هو الحجر الصلب .

(وذوات الشناخيب) جمع شنخوب و هو رأس الجبل (الشم) جمع اشم و هو الرفيع (من صياخيدها) جمع صيخود و هو الصخرة الشديدة (فسكنت) الأرض (من الميدان) اى التحرك و الاضطراب (لرسوب الجبال) اى نفوذ الجبال فى اعماق الأرض (فى قطع) جمع قطعة (اديمها) اى سطحها ، تشبيها بالجلد (و تغلغلها) التغلغل المبالغة فى الدخول ، و الضمير للجبال (متسربة) التسرب الدخول فى الشئ (فى جوبات خياشيمها) جوبات جمع جوبة و هى الحفرة ، و خياشيم جمع خيشوم و هو منفذ الانف الى الرأس .

(و ركوب الجبال اعناق سهول الأرضين) السهل ضد الجبل ، و ركوب الأعناق كناية عن التسلط ، فان الراكب على عنق البعير اكثر تسلّطا عليها (و جراثيمها) هى ما سفل عن السطح فان الجبال داخلة فى اجواف الأرض ، و الأرضين ـ جمعا ـ باعتبار قطعها المختلفة .

وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَىٰ تَمَامِ مَرَافِقِهَا. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا ، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَىٰ بُلُوغِهَا ، حَتَّىٰ أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا ، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا .

(وفسح) الله سبحانه ، اى اوسع (بين الجو) اى الفضاء (و بينها) اى بين الأرض (و اعد الهواء متنسما) آلة للتنفس ، و النسيم ما يشرح النفس و يبرّد حرارة البدن و القلب (لساكنها) اى ساكن الأرض و لو لا الهواء لم يتمكن الانسان من العيش على وجه الأرض .

(و اخرج اليها) اى الى الأرض (اهلها) من الانسان و الحيوان و النبات (على تمام مرافقها) اى بعد ان اكمل جميع وسائل الحيات و العيش اخرج و اظهر سكان الأرض ، و مرافق جمع مرفق ، بمعنى اسباب الرفق ، و المراد اسباب العيش و وسائل الحياة المريحة .

(ثم لم يدع) سبحانه (جرز الأرض) و هى الأراضى التى لا تمر عليها مياه العيون فتنبت النبات (التى تقصر مياه العيون عن روابيها) جمع رابية و هى الأرض المرتفعه التى لا يصل اليها مياه الأنهار و العيون .

(و لا تجد جداول الأنهار) جمع جدول و هو النهر (ذريعة) اى وسيلة (الى بلوغها) لارتفاع الأرض و انخفاض النّهر (حتّى انشأ لها) و اوجد من اجل تلك الأراضى المرتفعة (ناشئة سحاب تحيى مواتها) الموات ما لا يزرع من الأرض ، و ناشئة بمعنى المنشائة ، و انما جئ بهذه اللفظة ، لأن السحاب ينشاء رويدا رويدا حتى يكون ركاما كثيفا (و تستخرج) تلك الناشئة (نباتها)

أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّىٰ إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً،

بالهطول عليها (الف) الله سبحانه (غمامها) هو السحاب (بعد افتراق لمعه) جمع لمعة و هى القطعة البيضاء من السحاب ، سميت بها لأنها تلمع لبياضها (و تباين قزعه) جمع قزعة و هى القطعة من الغيم ، فان قطع السحاب تتجمع من هنا و هناك و يتصل بعضها ببعض حتى تكون سحابا كثيفا .

(حتى اذا تمخضت) اى تحركت تحركا شديدا كما يتحرك اللبن فى السقاء (لجة المزن) اللجة معظم الماء ، و المزن السحاب ، وضمير (فيه) راجع الى المزن ، فانّ الماء يتمخّض فى السّحاب ، حتى يهطل ، وحيث ان السّحاب ماء مخلوط بالهواء صحّ جعل السّحاب ظرفا ، و الماء مظروفا (و التمع برقه فى كففه) جمع كفه و هى الحاشية و الطرف ، فانّ البرق يظهر من اطراف السحاب غالبا.

(و لم ينم وميضه) اى لمعانه (فى كنهور) كسفرجل القطعة العظيمة من السحاب (ربابه) هى السحاب الأبيض ، اى لم يسكن البرق فى هذا السحاب المحمّل بالماء ، بأن تتابعت البروق ــ و ذلك قرب نزول المطر ــ .

(و متراكم سحابه) السحاب المتراكم هو الكثير الذى اجتمع من تجمّع القطع الكثيرة (ارسله) اى ارسل الله تعالى المطر (سحّا) اى صبا متلاحقا (متداركا) يدرك بعضه بعضا .

قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ

(قد أسفّ) اسف : دنا من الأرض لثقله (هيدبه) ما تهدب منه الى الأرض اى ما تدلّ (تمريه الجنوب) اى تستخرج رياح الجنوب ما فى السحاب من الماء ، من مرى الناقة اذا مسح على ضرعها ليحلب لبنها (درر) جمع ((درّة)) بالكسر ، وهى اللبن (اهاضيبه) جمع اهضاب ، وهو جمع هضبة ، وهى المطرة فالسحاب كالبقرة ، وما تدل منه كالضرع ، والجنوب كالحالب ، والأمطار التى تنزل متداركة ، كالحليب .

(ودفع شآبيبه) جمع شئبوب ، وهى الدفعة القوية ، من المطر (فلما القت السحاب) وحيث ان السحاب للجنس . جئ بالفعل مؤنثا (برك بوانيها) البرك الصدر والبوانى ما يلى الصدر من الأعضاء ، فالسحاب كالحيوان الذى يلقى على الأرض بصدره واضلاعه ــ والمراد بذلك انه انزل ما فيه من الأمطار ــ .

(و) القت (بعاع) الثقل الكائن فيه من الأمطار (ما استقلت) السحاب (به) اى بذلك البعاع ، اى حملته (من العبئ) اى الحمل (المحمول عليها) فقد حمّلها الله سبحانه المطر .

(اخرج) الله سبحانه (به) اى بذلك المطر النّازل (من هوامد الأرض) جمع هامدة وهى الميتة التى لا نبات فيها (النبات) وهو كل ما ينبت مأكولا كان او غير مأكول (ومن زعر الجبال) جمع ازعر وهو الموضع القليل نباته

ٱلْأَعْشَابَ ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا ، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا ، وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ، وَأَقَامَ ٱلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .

(الاعشاب) جمع عشب و هو النبات الذى لا ساق له (فهى) اى الأرض (تبهج) من البهجة و هى الفرح و السرور (بزينة رياضها) فكأنه فرحة مسرورة بالبساتين و الاعشاب المزينة لها .

(و تزدهى) اى تعجب و تتبختر (بما البسته) الفعل مبنى للمجهول ، و الملبس هو الله سبحانه ، او السحاب (من ربط) جمع ربطة بالفتح وهى **كل** ثوب رقيق ليّن (ازاهيرها) جمع ازهار و هو جمع زهرة بمعنى النبات، اوبمعنى الوردة (و حلية ما سمطت) الأرض (به) الضمير عائد الى ((ما)) و سمط بمعنى علّق عليه (من ناضر انوارها) جمع نور بالفتح بمعنى الزهر ، و الناضر ذو النضرة ، اى البهجة و الجمال (و جعل ذلك) الذى يخرج من الأرض (بلاغا للأنام) البلاغ ما يتبلغ به الانسان من القوت ، و الانام بمعنى الناس (و رزقا للأنعام) جمع نعم من غنم و ابل و بقر و ما اشبه (و خرق الفجاج) الطرق (فى آفاقها) اى آفاق الأرض ، او آفاق الفضاء ، جمع افق ، و معنى خرق ، اوجد الطرق التى تخرق الهواء او الارض .

(و اقام المنار) اى محل الانارة (للسالكين) الذين يريدون الذهاب من محل الى محل (على جوادّ طرقها) جواد جمع جادة ، و هى الطريق **الواضح** ، و الضمير للأرض ، و المراد بالمنار العلائم الدالة على الطريق ، من الكواكب ، و

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، اَخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي اَلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَاَلْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهَبَطَهُ

الجبال ، والرياح ، وما اشبه مما تدل على اتجاه الطرق والبلاد .

(فلما مهّد ارضه) جعلها قابلة للسكنى (وانفذ امره) بمعنى خلق ما اراد (اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه) ((خيره)) مصدر تأكيدى (وجعله اول جبلته) اى اول خليقته ، فانه اول جنس البشر (واسكنه) اى آدم عليه السلام (جنّته) وهل هى جنّة الدنيا او جنّة الآخرة فيه خلاف (وارغد) اى اوسع فى هناء (فيها) اى فى الجنة (اكله) اى ما يأكله (وأوعز اليه) اى اخبره وانبأه (فيما نهاه عنه) من اكل الشجرة . فقال ((لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) .

(واعلمه ان فى الأقدام عليه) اى على ما نهاه (التعرض لمعصيته) والمراد عصيان الأمر الارشادى لا المولوى الذى هو معصية حقيقية (والمخاطرة بمنزلته) اى جعل منزلته فى خطر الزوال ، لأنه اذا اكل من الشجرة خرج من الجنّة .

(فأقدم) آدم عليه السلام (على ما نهاه) الله (عنه) من اكل الشجرة ، وذلك بتغرير الشيطان وحلفه له بأنه له عليه السلام لمن الناصحين (موافاة لسابق علمه) تعالى ، اى كان الاقدام موافقا لما علمه سبحانه من السابق ، فانه تعالى يعلم كل شئ يقع فى المستقبل (فأهبطه) اى انزل آدم عليه السلام من درجته

بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِٱلْحُجَجِ عَلَىٰ أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْناً فَقَرْناً ؛ حَتَّىٰ تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ ٱلْمَقْطَعَ عُذْرُهُ

(بعد التوبة) اى تاب آدم عن زلته (ليعمر ارضه بنسله) وذريته ، والا كانت الأرض خالية عن البشر .

(وليقيم الحجّة به) اى بواسطة آدم عليه السلام (على عباده) فان الأنبياء حجّة على الخلق اذا عصوا (ولم يخلهم) اى العباد (بعد ان قبضه) اى امات آدم عليه السلام (مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته) فانّ العقل دلّ على الربوبية ، و الانبياء يؤكدون ذلك (ويصل بينهم) اى بين العباد (وبين معرفته) بسبب الأنبياء .

(بل تعاهدهم) الله سبحانه (بالحجج على السن الخيرة من انبيائه) اى ارسل على العباد الحجة بعد الحجة على لسان المختارين من الأنبياء (ومتحملى ودائع رسالاته) فانّ الرسالة وديعة من الله سبحانه عند انبيائه ليؤدوها الى عباده (قرنا فقرنا) والمراد به مدة عمر جيل من الناس ، وسمى قرنا لاقتران اعمار بعضهم ببعض ، وفى مدته خلاف من ثلاثين ، الى المائة ، وذلك بمختلف الاعتبارات ، والمشهور عند الآن اطلاقه على المائة .

(حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته) اذ لا نبى بعده يأتى بحجة جديدة (وبلغ المقطع) اى النهاية التى لا شئ بعده (عذره) فانغيما

وَنُذُرُهُ . وَقَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَّمَهَا عَلَىٰ الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا

لو خالف الناس لم يكن من الله سبحانه .

(ونذره) جمع النذير ، الذى يخوف بالعقاب على المخالفين .

(وقدّر) سبحانه (الأرزاق فكثرها) لبعض (وقللها) لآخر ، ومعنى التقدير التخطيط كراكب السيارة الذى هو مضطر فى السير الى اتجاه السيارة ، بينما هو مختار فى عمله داخل السيارة ، ولذا ورد لا جبر ولا تفويض بل امر بين الأمرين .

(وقسمها) اى الأرزاق وذلك بعد التقدير — (على الضيق والسعة فعدل فيها) فلم يكن احد الأمرين ظلما اذ الظلم ان يمنع الانسان احدا حقه ، ولا حق لأحد على الله سبحانه ، وانما قسم بالاختلاف (ليبتلى) اى يمتحن (من اراد) امتحانه (بميسورها ومعسورها) فهل يصبر المعسور له وهل يشكر الميسور لأجله ؟

(وليختبر بذلك) الاختلاف (الشكر والصبر من غنيها وفقيرها) الضمير راجع الى العباد ويجوز الاتيان بضمير المؤنث باعتبار ((الجماعة)) كما قال ابن مالك ((والتاء مع جمع سوى السالم من)) ((مذكر كالتا مع احدى اللبن)) او راجع الى الأرزاق — مجازا — .

(ثم قرن) سبحانه (بسعتها) اى سعة الأرزاق (عقابيل) جمع عقبولة بمعنى الشدائد (فاقتها) اى الفقر ، فان السعة دائما معرضة للزوال واتيان

،وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ،وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا . وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا ،وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا

الضيق مكانها (و بسلامتها) اى سلامة الأرزاق (طوارق آفاتها) جمع طارقة و هى المصيبة النازلة دفعة فقد لا يتضيق الرزق و لكنه يكون بشدة و صعوبة ٠

(و) قرن سبحانه (بفرج) جمع فرجة (افراحها) جمع فرح و انما قال ((فرج)) لأن الانسان يفرح فى الفرجة و السعة (غصص أتراحها) جمع غصة ، و اتراح مقابل افراح ٠

(وخلق) سبحانه (الآجال) اى مدة اقامة كل انسان فى دار الدنيا (فأطالها و قصرها) بأن جعل مدة بعض طويلا ، و مدة بعض قصيرا (وقدّمها و اخّرها) فذو الآجال القصيرة يقدم اجل هذا على ذاك ، وكذلك فى الآجال الطويلة ٠

(ووصل بالموت اسبابها) اى حبال الآجال ، كان لكل مدة موصولة بحبل حتى ينتهى الحبل بيد الموت ، فاذا انتهت العدة جرّ الموت الحبل و اختطف الانسان المنقضى أجله ٠

(وجعله) اى الموت (خالجا) اى جاذبا (لأشطانها) جمع شطن على وزن فرس بمعنى الحبل الطويل ، شبّه به الأعمار الطويلة ــ كما ذكرنا ــ (و قاطعا لمرائر) جمع مريرة و هى الحبل يفتل على اكثر من طاق (اقرانها) جمع قرن و هو الحبل يقرن به بعيران ، و هذا من اقوى الحبال ، و مع ذلك الموت يقطعه فيقع الانسان المتصل به فى هوّة الفناء ٠

عَالِـمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ ٱلْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى ٱلْمُتَخَافِتِينَ ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَـاتِ ٱلْيَقِينِ ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ ٱلْجُفُونِ وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَـانُ ٱلْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ ٱلْغُيُوبِ

هو سبحانه (عالم السر من ضمائر المضمرين) الذين يضمرون الأشياء في مكنونهم فانه سبحانه يعلمها ٠

(و) من (نجوى المتخافتين) التخافت المكالمة سرا يعنى انه سبحانه يعلم نجواهم٠

(و) من (خواطر رجم الظنون) فان الظن اذا وقع على شئ ، فكأنه قد رجم ذلك الشئ ، والخاطر هو الشئ يخطر ببال الانسان ٠

(وعقد) جمع عقدة (عزيمات) جمع عزيمة مما يعزم الانسان عليه (اليقين) فاليقين كالشئ المعقود بالقلب الذى ينوى الانسان له ويعزم عليه ، يعنى انه سبحانه يعلم الظنون ويعلم اليقين ، وهما سران فى ضمير الانسان ٠

(ومسارق) جمع مسرق ، وهو مصدر ميمى (ايماض) اللمعان الذى يأتى من اشارة العين ، قال الشاعر :

امرئة فى الرمضان العاضى ... تقطع الحديث بالايماضى

اى باشارة العين (الجفون) جمع جفن ، يعنى انه سبحانه يعلم سرقة النظر ، وان لم يدرك ذلك الناس الذين بحضرة من يسرق فى نظره ٠

(و) يعلم (ما ضمنته اكنان القلوب) جمع كن بالكسر ، وهو كل ظرف يستتر فيه الشئ والمراد انه يعلم المعلومات الموجودة فى زوايا القلوب (وغيابات) اى اعماق (الغيوب) التى هى غائبة عن الحواس كالأشياء المستورة تحت الأرض

وَمَا أَصْغَتْ لِٱسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ ٱلْأَسْمَاعِ ، وَمَصَائِفُ ٱلذَّرِّ ، وَمَشَاتِي ٱلْهَوَامِّ ، وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ مِنَ ٱلْمُولَهَاتِ ، وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ ، منفسحُ ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ ،

و نحوها ·

(و) يعلم (ما اصغت) الاصغاء بمعنى الاستماع (لاستراقه مصائخ الاسماع) مصائخ جمع مصاخ ، و هو محل الاصاخة ، اى ثقبة الاذن ، اى انه يعلم ان فلانا يسترق السمع ، او يعلم المطلب الذى يسترق السمع لأجله ·

(و مصائف) جمع مصيف ، و هو محل الاقامة فى الصّيف (الذّر) النّمل ، اى يعلم محل النمل فى الصيف ـ تحت الأرض ـ فانّ النّمل تغير مكانه فى الصّيف عن مكانه فى الشّتاء ·

(و مشاتى الهوام) جمع هامة ، و هى كل حيوان صغير يعيش فى الحجر ، و المشاتى جمع مشتى ، و هو محل الاقامة شتاءاً ·

(و) يعلم (رجع الحنين) اى ترديد الحنين الذى يظهرها اصحاب المصائب (من المولهات) اى النساء الوالهة الحزينة التى اصيبت بمصيبة ·

(و) يعلم (همس) اى الصوت الخافت من (الأقدام) فانه سبحانه يعلمها و يسمعها ·

(و) يعلم (منفسح الثمرة) مكان نموها ، من فسح (من ولائج) جمع وليجة بمعنى البطانة (غلف) جمع غلاف و هو القشر المحيط به (الاكمام) جمع ((كم)) بالكسر ، و هو غطاء الفؤاد و وعاء الطلع ، يعنى انه سبحانه يعلم محل نمو الثمرة فى داخل غلاف الوعاء المقرر للثمار ·

وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا ، وَمُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا ، وَمَغْرِزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ ، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا ،

(و) يعلم (منقمع الوحوش) اى موضع اختفاء الحيوانات الوحشية ــ غير الانسية ــ من انقمع بمعنى اختفى ٠

(من غيران الجبال) جمع غار ، وهى الثقبة الواسعة فى الجبل يختفى فيها الحيوان (واوديتها) جمع الوادى ، وهو المحل المنفسح فى الجبال و ((من)) بيان لمنقمع ٠

(و) يعلم (مختباء) اى محل اختباء ــ بمعنى الاختفاء ــ (البعوض بين سوق الأشجار) جمع ساق وهو اسفل الشّجرة (والحيتها) جمع لحاء وهو قشر الشجرة ٠

(و) يعلم (مغرز الأوراق) اى محل غرزها اى نباتها (من الافنان) اى الغصون ٠

(و) يعلم (محط الامشاج) جمع مشيج ، من مشج اذا خلط ، والمراد المنى ، لأنه مخلوط من اجزاء مختلفة ــ انفصلت كلّ جزء من جزء من البدن ــ لتكوّن بها اجزاء مختلفة للانسان والحيوان ، و ((محط)) بمعنى المحل الكائن فيه المنى (من مسارب الأصلاب) جمع مسرب ، وهو المحل الذى يتسرب ويدخل فيه المنى ، واصلاب جمع صلب ، فى ظهر الرجل ٠

(و) يعلم (ناشئة الغيوم) اى المنشأ من السّحاب ، الذى لم يتلاحم بعد (ومتلاحمها) اى ما اتصل بعضه ببعض كاللحم المتصل اجزائه ٠

وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا ، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا ، وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا ، وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ ،

(و) يعلم (درور) اى الهطول و النزول ـ كدر الحليب ـ (قطر السحاب) اى الأمطار (فى متراكمها) اى السحاب الذى بعضه فوق بعض .

(و) يعلم (ما تسفى الأعاصير) يقال سفت الريح التراب ، اى ذرته و حملته ، والأعاصير جمع اعصار ، وهى ريح تثير السحاب ، او تقوم من الأرض كالعمود (بذيولها) فان ذيول الريح تعمل ما تعمل ، اما معظمها فهى فى الفضاء .

(و) يعلم ما (تعفو الأمطار) اى تمحو (بسيولها) وهو المطر الغزير الذى يشكّل مياها كثيرة تسيل ، فتخرب البناء وماشبه .

(و) هو عالم بـ (عوم) من عام اذا دخل ، وجر ((عوم)) لأنه عطف على قوله ((السر)) المضاف اليه لـ ((عالم)) وانما جئنا بـ ((يعلم)) فى الجمل السابقة ، للايضاح ، والا فالكل عطف على ((السر)) (نبات الأرض فى كثبان الرمال) جمع كثيب ، وهو التل الصغير من الرمل .

(و) عالم بـ (مستقر ذوات الأجنحة) اى محل الطيور (بذرا) جمع ذروة وهى القمة بأعلى الشئ (شناخيب الجبال) جمع شنخوب بمعنى الرأس .

(و) عالم بـ (تغريد ذوات المنطق) يقال غرد الطّائر اذا رفع صوته كأنّه يغنّى (فى دياجير الأوكار) جمع ديجور وهو شدّة الظلمة ، واوكار جمع

وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ وَسُبُحَاتُ النُّورِ ؛ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ

وكر بيت الطّائر ، وانّما سمّى ((ذوات المنطق)) لأنه نطقها .

(و) يعلم (ما اوعبته) اى جمعته (الأصداف) جمع صدف وهو القشرة التى يخرج منها اللؤلؤ (وحضنت عليه امواج البحار) يعنى ان الأمواج تحضنت ذلك الشئ كتحضن الأم ولدها ، وذلك مثل العنبر الذى تربيه البحار .

(و) يعلم (ما غشيته سدفة ليل) اى ظلمته ، وغشاه بمعنى حواه (أو ذرّ) اى طلع (عليه شارق نهار) اى ضياء النهار .

(و) يعلم (ما اعتقبت) اى تعاقبت وتوالت (عليه اطباق الدياجير) جمع طبق ، ودياجير جمع ديجور بمعنى الظلمة ، كان ظلمات الليل كالأغطية التى تغطى على الأشياء طبقا بعد طبق (وسبحات النور) جمع سبحة اى درجاته واضوائه .

(و) هو سبحانه عالم بـ (اثر كل خطوة) اى ما يبقى بعدها على الأرض مما يدل على مرور ذى روح هنا .

(و) عالم بـ (حس كل حركة) المراد بحسّها صوتها ، او حالتها الموجودة فيها (ورجع كل كلمة) اى جواب الكلمة ، او ترديدها فى الهواء .

(و) عالم بـ (تحريك كل شفة) بالكلام (ومستقر كل نسمة) اى كل

وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ؛ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ ؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ ،

انسان ، اى يعلم ان كل انسان اين يستقر فى حال سكونه ٠

(و) عالم بـ (مثقال) اى ثقل (كل ذرة) وهى التى ترى فى ضوء الشمس الداخل من كوة فى محل مظلم ٠

(و) عالم بـ (هماهم) جمع همهمة ، وهى الصوت الذى لا يميز (كل نفس هامة) اى التى تهم ٠

(و) يعلم سبحانه (ما عليها) اى على الأرض (من ثمر شجرة) حين وقوعه عليها (او ساقط ورقة) اى اوراق الأشجار التى تسقط على الأرض (اوقرارة نطفة) اى قرارها فى الرحم (او نقاعة دم) ما ينقع من الدم فى اجزاء البدن ، اى يجتمع فى النقرة التى فى العروق وما اشبه (ومضغة) وهى اللحمة التى تشبه اللحم الممضوغ بالأسنان ، فان المضغة تنقع فى الرحم ، اوانها عطف على نقاعة ، اى يعلم سبحانه كل مضغة ٠

(او ناشئة خلق) اى الخلق الذى ينشأ ويخرج من العدم الى الوجود (و سلالة) اى الخلاصة التى تخلص من الأشياء ، او المراد الاصفاء (لم يلحقه) سبحانه (فى ذلك) العلم بهذه الأشياء (كلفة) وصعوبة كما هو كذلك فى الانسان فانّ الانسان لا يعلم شيئا الاّ بعد تكلف ومشقة (ولا اعترضته فى حفظ ما ابتدعه) واوجده (من خلقه عارضة) تمنعه عن الابتداع والايجاد ، كما قد

وَلَا ٱعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ ٱلْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ ، بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ ، وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ،وَلَا أُثْنِي بِهِ

يمنع الانسان شئ عما يريد ان يعمله و يوجده (ولا اعتورته) الاعتوار العروض (فى تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة) اى كسل و ضعف كما يعترض الانسان ، اذا استمر فى عمل طويل (بل نفذ فيهم علمه) اى علم الأمور داخلها و خارجها ، كالشئ الذى ينفذ فى شئ ، فيدخل باطنه (واحصاهم عده) فانه سبحانه يعلم عددهم (ووسعهم عدله) فانه يعدل بالنسبة الى جميع المخلوقين ، و معنى العدل وضع كلشئ موضعه (وغمرهم فضله) فان احسانه سبحانه شمل جميعهم (مع تقصيرهم عن كنه) اى ما يستحق من (ما) اى العبادة التى (هو اهله) .

((دعاء)) (اللّهم انت اهل الوصف الجميل) اى اهل لأن توصف بالجميل (والتعداد الكثير) فان اوصافه سبحانه كثيرة (ان تؤمل) اى يرجو فضلك الناس (فخير مؤمل) لأنه لا افضل منه سبحانه فى الرجاء و الأمل (وان ترج فاكرم مرجو) هو الذى يترقب الانسان منه الخير (اللهم و قد بسطت لى) من فضلك (فيما) اى فى النعم التى (لا امدح به) الضمير عائد الى ((ما)) المراد به ((النعم)) (غيرك) فانك المتفضّل فكيف امدح سواك (ولا اثنى) اى لا امدح ، من الثناء بمعنى الاطراء (به) اى بسبب تلك النعم ، و الضمير

عَلَىٰ أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَىٰ مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلْآدَمِيِّينَ؛ وَٱلثَّنَاءِ عَلَىٰ ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَىٰ مَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَىٰ ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ

عائد الى ((ما)) (على احد سواك) و المراد انقطاعه عليه السلام بالحمد له وحده .

(ولا اوجهه) اى اوجه المدح (الى معادن الخيبة) اى المحلات التى تخيّب الانسان اذا رجاها و المراد منهم ما سوى الله سبحانه (و مواضع الريبة) اى الشك ، فان المخلوق موضع شك فى انه هل يتفضل ام لا ؟

(و) قد (عدلت) يا رب (بلسانى عن مدائح الآدميين) اى المنسوبين الى آدم عليه السلام (و الثناء على المربوبين المخلوقين) و انما نسب العدل اليه تعالى ، لأنه وحده تفضل ، فلم يبق مجالا لتفضل غيره حتى يستحق المدح معه تعالى ، وهذا من باب النسبة الى السبب ، و المراد بهذه الجمل ، السبب الأول الحقيقى فى الانعام ، والا فلكل منعم من النّاس حق المدح و الثناء .

(اللهم ولكل مثن) اى عامل للثناء ، مادح لشخص (على من اثنى عليه مثوبة) اى ثواب و جزاء ، فانه مصدر ميمى (من جزاء) بقدر الثناء (او عارفة من عطاء) اى عطاء معروف اكثر من الجزاء (وقد رجوتك) يا الهى (دليلا على ذخائر الرحمة) اى ان الرجاء هو ان تدلنى على الرحمة المدخرة عندك للصالحين (و كنوز المغفرة) اى غفران الذنب .

(اللهم و هذا مقام) اى انا قائم فى هذا المقام (من افردك بالتوحيد) اى

الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ المَحَامِدِ وَٱلْمَمادِحِ غَيْرَكَ ؛ وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلأَيْدِي إِلَىٰ سِوَاكَ ؛ « إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ! »

جعلك واحدا لا شريك لك (الذى هو لك) وهذا لتأكيد ان التوحيد ليس اغراقا ، وانما حقيقة واقعة فى مقابل صفات المخلوقين التى قد يدعى الانسان انها لهم ، وليست واقعا بل اغراقا و مبالغة وتملقا (و لم ير مستحقا لهذه المحامد) جمع محمدة ،مصدر ميمى بمعنى الحمد (و الممادح غيرك) و قوله ((ولم)) عطف على ((افردك)) ·

(وبى فاقة) اى حاجة شديدة (اليك لا يجبر مسكنتها) المسكنة شدة الفقر التى توجب سكون صاحبها عن الحركة التجارية و الزراعية و ما اشبه — مما يتحرك بها اهل الثروة — (الا فضلك) واحسانك (ولا ينعش من خلتها) اى فقرها ، والانعاش ما يوجب النشاط و الحركة (الا منك) اى احسانك (وجودك) بالاعطاء و الاكرام (فهب لنا فى هذا المقام) الذى انا فيه (رضاك) بأن ترضى عنّا (و اغننا) باعطائنا حوائجنا (عن مد الايدى) اى بسطها للاستعطاء (الى سواك) اى غيرك (انّك على كل شئ قدير) ·

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي ؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ ؛ لَا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ. وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَ

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

(لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان)

(دعونى و التمسوا غيرى) اى اطلبوا للبيعة غيرى ، ليكون رئيسا على المسلمين (فانّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان) اى فى الخلافة ــ بعد مقتل عثمان ــ اضطرابات و ارتباكات ، فان اراد الخليفة ان يعمل بالكتاب و السّنة و العدل و الحق ، يقوم فى وجوهه المعارضون الذين اعتادوا الرشوة و الظلم وهضم حقوق الضّعفاء ، و ان اراد الخليفة الانحراف و مسايرة الظّالمين كما فعل عثمان، كان حائدا عن الكتاب و السّنة ٠

و حيث انّ الامام لا يريد الاّ الحق كان يعلم عدم استقامة الأمر له ف (لا تقوم له) اى لهذا الأمر الّذى هو الخلافة (القلوب) اى لا تتّحد فى الالتفاف حوله (و لا تثبت عليه العقول) بل العقول الّتى تقبله اول الأمر ترده آخر الأمر (و ان الآفاق قد اغامت) اىغطيت بالغيم ، و هذا كناية عن خروج الأمرعن الحالة الطّبيعيّة ، كما تخرج الآفاق بالغيم عن ذلك ٠

(و المحجّة) اى الطّريق (قد تنكّرت) اى ذهبت معالمها فلا تعرف (و

اَعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً !

اعلموا انّى ان اجبتكم) الى قبول الخلافة الظّاهريّة (ركبت بكم ما اعلم) اى سرت بكم فى طريق الحق ، كما يركب القائد النّاس فى مراكبه (و لم أصغ) اى لا أسمع (الى قول القائل) الذى يقول فىّ ما يشاء (وعتب العاتب) الذى يعتب لماذا تركت سيرة الخلفاء (و ان تركتمونى) ولم تبايعونى (فأنا كأحدكم) فى انه لا تبعة عليكم منى ، ولا افسد الأمر عليكم .

(و لعلّى اسمعكم و اطوعكم لمن ولّيتموه أمركم) اى للخليفة الذى تنصبونه (و أنا لكم وزيرا) بأن تجعلون الخليفة غيرى (خير لكم منّى أميرا) اى خليفة .

ولا يقال : كيف جاز للامام ان يرفض الخلافة ؟ .

لأنه يقال : الامام لم يرفض وانّما بيّن طريقته فى هذا الأسلوب ـ فالأسلوب مجاز عن الطريقة لا انّه رفض حقيقى ـ ولذا قال فى الأخير ((خير لكم)) أى من جهة الدنيا ، لا انه خير فى نظر الواقع و الحقيقه ، و اللّه اعلم .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَّا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[١] ، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(اما بعد) اى بعد الحمد و الصّلاة (ايّها النّاس فانى فقأت عين الفتنة) فقأ العين بمعنى قلعها ، و الظاهر ان المراد بالفتنة فتنة الخوارج ، حيث ان اجتثاثهم كان صعبا جدّا ، اذا انهم كانوا يتظاهرون بالاسلام و الزّهد فلم يكن احد يجترئ على تكفيرهم و محاربتهم لو لا الامام الذى كان اشد ملازمة منهم لأحكام الاسلام ، و أزهد منهم عند الخاص و العام ، و هذا شئ واضح فان الذين يتظاهرون بالدّين لا يتمكن من اسقاط منزلتهم و زحزحتهم الا الأشد تمسكا والأقوى اخذا و احتمل ان يراد بالفتنة جميع الفتن الّتى وقعت فى زمان الامام ، التى لو لا الامام لم يتمكن احد من قلعها .

(و لم يكن ليجترى عليها) اى على الفتنة و اجتثاثها (احد غيرى) لماذكرنا (بعد ان ماج) شمل و اضطرب (غيهبها) اى ظلمتها ، بأن شملت ظلمتها النّاس حتّى الأخيار ، فانّ بعض الفتن تشمل الخواص كما تشمل العوام .

(و اشتدّ كلبها) الكلب داء يصيب الكلاب و يسمى حينئذ بالكلب العقور ، فاذا عضّ أحدا مات ، ان لم يسرع الى الدّواء ، و كان أمر الخوارج هكذا يفسد

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِئَةً وَتُضِلُّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ،

النّاس بمجرّد وصوله اليهم ٠

و اذا كنت الامام القادر على امور الدّنيا و الدّين (فاسالونى) عن كلّ ما تشائون (قبل أن تفقدونى) بالموت و الخروج من بين أظهركم ٠

(فو الّذ ى نفسى بيد ه) قسم بالله سبحانه الّذ ى نفس الامام بيد ه يوجهها كما يشاء (لا تسالونى عن شئ فيما بينكم و بين السّاعة) اى يوم القيامة ، وانّما سمّيت بالسّاعة ، لتجدّد الساعة هناك ــ وكما يقال فعلا ((ساعة الصفر)) لابتداء الثورات ــ

(ولا) تسئلونى (عن فئة) اى جماعة (تهد ى مئة و تضل مئة) الواو بمعنى او ، وانما خصص هذا بالذكر ، لأن ابتداء الكلام كان فى الخوارج الذين اضلوا الناس ٠

(الا انبأتكم) اى أخبرتكم (بناعقها) اى الداعى الى تلك الهداية ، او الضلالة ــ المفهوم من قوله تهد ى و تضل ــ ٠

(وقائدها) الذ ى يقود اولئك المائة ، ويحتمل ان يراد بالضمير فى ((ناعقها)) : المائة ، على ضرب من المجاز (وسائقها) والفرق ان القائد هو الذ ى يتقدم ، والسائق هو الذ ى يتأخر ٠

وانما لم يذكر الامام عليه السلام متعلق ((لا تسألونى)) اكتفاءا بذكر متعلق ((ولا عن فئة)) على حد قول الشاعر ((نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضو الرأى مختلف)) وقوله ((علفتها تبنا و ماءا باردا)) ٠

وَمُنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً . وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ . وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ ،

(ومناخ ركابها) المناخ بضم الميم محل بروك القافله ، من اناخ ، و ركاب الراكب ، مقابل راجل .

(و محط رحالها) اى المحل الذى يحط رحل الابل والفرس و من المعلوم ان محل الاناخة ، غير محط الرحال .

(و من يقتل من اهلها) اى اهل تلك الفئة (قتلا) فى مقابل الموت (ومن يموت منهم موتا) فى مقابل القتل (و لو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الأمور) جمع كريهة و هى الأمور الشديدة التى لا يعلم حلّها وعلاجها (و حوازب الخطوب) جمع حازب و هو الأمر الصعب ، وخطوب جمع خطب و هى الداهية و الأمر الشديد .

(لأطرق كثير من السائلين) اطرق برأسه اذا نكسه فلم يرفعه تحيّرا ، وهذا كناية عن تحيّرهم فى الأمر لا يدرون من يحل لهم المشكلة و يرشدهم طريق الصواب .

(و فشل كثير من المسؤولين) لا يعلمون الجواب ولا يهتدون الى طريق الصواب (و ذلك اذا قلصت حربكم) اى تمادت و استمرت ، و اصل التقلص التقبّض يعنى عدم انفراجها و انكشاف غمتها .

(و شمرت عن ساق) فان الانسان اذا اراد الجدّ فى العمل رفع ثوبه عن ساقه ــ و هو التشمير ــ لئلا يمنعه فاضل الثوب عن الاسراع فى العمل ، والجملة تشبيه بهذا الانسان ، كناية عن جدّ الحرب و استعارها .

وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً ، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّىٰ يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ ٱلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ . وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً

(وضاقت الدنيا عليكم ضيقا) بأن لا تجدوا مفرا و ملجأ عن المشكلة والكارثة (تستطيلون معه) اى مع ذلك الضيق .

(ايام البلاء عليكم) فانّ الانسان الواقع فى البلية يستطيل الأيام ، و بالعكس الانسان الذى فى الهناء و الرفاه .

(حتّى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم) و الفتح و ان كان عاما لكنه انما يأتى بملاحظة الأبرار و لذا نسب اليهم .

(انّ الفتن اذا اقبلت شبّهت) يعنى يشتبه فيها الحق بالباطل ، و يلبس الباطل لباس الحق فيغر به من قلت معرفته ، و ضئلت تجربته .

(واذا أدبرت) بأن انزاحت (نبّهت) و دلّت على مواقع الخطا فيها فانّ الانسان يفكر و يرجع اليه صوابه فيرى موقع الحق من الباطل .

(ينكرن) اى الفتن ، و المعنى لا يعرف كونها فتنة و باطلا (مقبلات) اى فى حال اقبالها (و يعرفن مدبرات) فيعرف النّاس ــ لدى ادبار الفتن ــ انها كانت فتنة و باطلا (يحمن) اى الفتن .

(حوم الرياح) اى مثل حركة الرياح ، من حام بمعنى دار .

(يصبن) الفتن (بلدا و يخطئن بلدا) فتشمل الفتنة بلدا دون بلد كما ان الرياح تشمل بلدا دون بلد .

أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ . مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ

(ألا ان أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أميّة) و ذلك لانّهم حرّفوا الاسلام باسم الاسلام ، وحيث كانت السّلطة بأيديهم ، تمكنوا من ارساخ قواعد الكفر فى المجتمع ، مما كوى المسلمون بنارها الى يومنا هذا بعد اربعة عشر قرنا ــ و قد كانت الجمل السابقة من قوله ((ان الفتن)) مقدمة لهذه النتيجة ــ .

(فانها فتنة عمياء) كالأعمى الذى لا يبصر الطريق فيضل و يسقط فى المهاوى (مظلمة) و هذان وصفان لشدّة جهالة الحقّ فيها و اختلاطه بالباطل .

(عمّت خطّتها) لأنها كانت رئاسة عامة للبلاد الاسلامية فلا منجى لأحد منها (و خصّت بليّتها) لآل البيت عليهم السّلام ، حيث انها كانت ضدهم ، او المراد خصت بليتها اهل الحق ، و ليست كالفتن التى تشمل اهل الحق و اهل الباطل .

(و أصاب البلاء من أبصر فيها) اى فى تلك الفتنة ، فانّ من عرف انّها فتنة و أراد تجنّبها الى الحق نزل به بلاء الاضطهاد من بنى أمية .

(و أخطأ البلاء من عمى عنها) اى من لم يبصر أنها فتنة فجاراها و سايرها، فانّهم لم يكونوا يتعرضون لمن لم يعارضهم .

(و ايم الله لتجدنّ) ايّها المسلمون (بنى أميّة لكم أرباب سوء بعدى) اى قادة سوء يعملون سوءا و يأمرونكم بالسوء .

(كالنّاب الضّروس) النّاب الناقة المسنة ، و الظروس السيّئة الخلق التى

تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لَا يَتْرُكُوا مِنكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً ، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ،

تعض بضرسها حالبها (تعذم) اى تعض (بفيها و تخبط بيدها) اى تضرب الأرض و تخلط الحسن بالسيّئ ٠

(و تزبن) اى تضرب (برجلها) فترفس الناس و تكسر الأشياء و هكذا ٠

(و تمنع درّها) اى حليبها فلا تعطى اللبن (لا يزالون بكم) اى بنو أميّة (حتّى لا يتركوا منكم) أحدا (الآ نافعا لهم) يؤيدهم (او غير ضائر بهم) لا ينهاهم عن المنكر ٠

(ولا يزال بلاؤهم) يتمادى و يستمر (حتى لا يكون انتصار احدكم منهم) اذا أراد كفهم عن ظلمه ، او اخذ حقّه منهم ٠

(الا كانتصار العبد من ربّه) اى سيّده فكما لا يتمكن العبد ان ينتصر من سيّده كذلك لا تتمكّون من الانتصار عليهم ٠

(و) انتصار (الصّاحب من مستصحبه) اى التابع من متبوعه و الذليل ممّن اذلّه (ترد عليكم) ايّها النّاس (فتنتهم) اى فتنة بنى أمية (شوهاء) قبيحة المنظر ، اى مشوّه الخلقة (مخشية) . اى مخوفة مرعبة ٠

(و قطعا جاهلية) فانّهم يعيدون الاخلاق الجاهلية ، فكل خلق منها كقطعة من قطع الجاهلية قبل الاسلام (ليس فيها) اى فى فتنتهم (منار هدى) محل للنور يعرف به الطريق ٠

وَلَا عَلَمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ ٱلْأَدِيمِ : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا ٱلسَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ

(ولا علم يرى) اى دليل يسير عليه السائر ، يراه فيسير نحوه لئلا يضل ٠

(نحن أهل البيت) المراد الأئمّة الطّاهرون (منها) اى من فتنة بنى أميّة (بمنجاة) اى فى محل نجاة لا تشملنا ، وهذا تحريض للنّاس للتمسك بأهل البيت اذا أرادوا النّجاة من تلك الفتنة ــ بمعنى عدم الوقوع فى الباطل و الاثم ــ ٠

(ولسنا فيها بدعاة) جمع داعى ، فانّ اهل البيت كانوا مخالفين لبنى أمية لا داعين اليهم ٠

(ثم يفرجها الله عنكم) بزوال ملكهم (كتفريج الاديم) هو الجلد ، اى كما يسلخ الجلد عن اللحم (بمن) اى يكون الفرج على يد من (يسومهم خسفا) اى يذل بنى امية ، يقال سامه خسفا اذا اذله (ويسوقهم عنفا) يريد بالسوق تنحيتهم عن اريكة السلطة و المراد بأولئك آل عباس ، وليس هذا مدحا لهم بل نقلا وحكاية ، كما قال سبحانه عن بخت نصّر ((بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد)) ٠

(ويسقيهم بكأس مصبّرة) اى مملوئة الى اصبارها ــ جمع صبر بمعنى الحاشية و الطرف ــ وهذا كناية عن الوان الانتقام منهم وتعميم التعذيب و الاستيصال لهم (لا يعطيهم الآ السّيف) كناية عن سعة القتل فيهم فلا امان لهم (ولا يحلسهم) اى لا يلبسهم ــ يقال احلس البعير اذا البسه الحليس و

إِلَّا ٱلْخَوْفَ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ ـ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ـ لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي

هو الكساء الذی یوضع علی ظهره ـ (الاّ الخوف) یعنی انه یغشی فیهم الخوف ۰

(فعند ذلك تود قریش ـ بالدنیا و ما فیها ـ لو یروننی) فان ابا مسلم انما قام فی مقابلة الأمویین لنصرة العلویین ، فكانت قریش تودّ ان تری الامام لتعطیه حقّه ، و قوله : ((بالدّنیا)) ای كانوا یحبّون رویته علیه السلام فی مقابل اعطائهم الدّنیا و ما فیها ۰

(مقاما واحدا و لو قدر جزر جزور) الجزور الناقة التی تجزر ای تنحر ، ای ان قریش تود رویتی و لو بمقدار نحر بعیر ـ فی مقام واحد ـ فان الانسان فی السراء یحب ان یری اصحابه و اهله لیری سرورهم خصوصا اذا كان السرور لمن ظلم (لأقبل منهم) ای اتسلّم و آخذ من قریش ۰

(ما اطلب الیوم بعضه فلا یعطوننی) هولاء القوم ـ من النصفة و الحق ـ ای یحبون ان یرونی لا قبل منهم السلطة العامة مما اطلب الیوم بعضه ، فان الامام علیه السلام كان یطلب ضم الشام ـ الذی هو بعض السلطة ـ فلا یعطیها معاویة ، و فی بعض الشروح تفسیر ((تود قریش)) بحب بنی امیة لذلك ـ لكن ما ذكرناه أظهر ، و اللّه العالم ۰

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

فيها وصف الله والرسول وآل البيت عليهم السلام ، ثم الوعظ والارشاد

فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ ٱلْفِطَنِ ، الْأَوَّلُ ٱلَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ .

منها : فَٱسْتَوْدَعَهُمْ فِي

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

وفيها وصف الله والرّسول وآل البيت عليهم السّلام ، ثم الوعظ والارشاد.

(فتبارك الله) من برك بمعنى ثبت ، اى انه سبحانه ثابت لا يزول ، و منه سميت البركة ، لأنها تبقى ولا تفنى بسرعة (الذى لا يبلغه بعد الهمم) جمع همه ، اى ان الهمة البعيدة لا تبلغ كنه معرفته سبحانه لتعذرها على البشر (ولا يناله حدس) هو الظن (الفطن) جمع فطنة بمعنى الذكاء .

(الأول الذى لا غاية له) اى لا آخر لوجوده تعالى (فينتهى) وينعدم (و لا آخر له فينقضى) وكأنه بالنسبة الى ذات الشئ ، والوصف السابق باعتبار ظرفه ، مثلا اذا سار زيد الى الكوفة فالكوفة غاية ، واذا كان عمره الى ذلك الوقت فله آخر هناك — والا فالوصفان بمعنى واحد ، او يتكلف : بأن لا غاية بمعنى ((لا ابتداء)) .

((منها)) فى وصف الأنبياء (فاستودعهم) الله ، اى اودعهم (فى

أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ إِلَىٰ مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، كُلَّمَا مَضَىٰ مِنْهُمْ سَلَفٌ ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ. حَتَّىٰ أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ مَغْرِساً ؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَٱنْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ .

أفضل مستودع) اى اصلاب الرجال (و أقرّهم فى خير مستقرّ) اى ارحام النّساء .

(تناسختهم) اى تناقلتهم (كرائم الأصلاب) اى الأصلاب الكريمة ، والصلب فى ظهر الرجل موضع مائه (الى مطهّرات الأرحام) اى ارحام النّساء المطهّرة عن الزنا و الكفر و ما اشبه ، فمثلا الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اودع فى صلب آدم عليه السلام ثم انتقل الى رحم ((حواء)) و هناك اودع فى صلب ((هابيل)) و انتقل الى رحم ((زوجته)) و هلّم جرّا .

(كلما مضى منهم) اى من الأنبياء (سلف) بأن مات احدهم (قام منهم بدين الله) اى لأقامة دينه (خلف) يخلف مكانه ليودّى رسالة ربّه (حتى افضت) اى انتهت (كرامة الله) بالنّبوة (الى محمد صلى الله عليه و آله فأخرجه) اى الرسول (من افضل المعادن منبتا) المنبت اسم مكان بمعنى محل النبات ، و المراد ((بنى هاشم)) .

(و اعز الأرومات) جمع ارومة بمعنى الأصل (مغرسا) موضع الغرس (من الشجرة التى صدع منها انبياءه) يقال صدع فلانا اذا قصده لكرمه ، اى خصهم بالنّبوة و المراد بها شجرة ابراهيم عليه السلام الذى تفرع منه انبياء بنى اسرائيل الكثار و غيرهم .

(و انتخب) اى اختار (منها) اى من تلك الشجرة (امناءه) المأمونين

عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ؛ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ ؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى ، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ؛ سِيرَتُـــهُ ٱلْقَصْدُ ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ،

على تبليغ الشريعة (عترته) عترة الرجل اهله الأقربون ، اى ان اهل بيت الرسول صلى الله عليه و آله (خير العتر) جمع عترة (و أسرته) رهطه وجماعته (خير الأسر) جمع اسرة (و شجرته خير الشجر) الشجر للجنس و الشجرة للفرد نحو تمر و تمرة ، و بقر و بقرة (نبتت) شجرة الرسول صلى الله عليه و آله (فى حرم) مكة (و بسقت) اى ارتفعت (فى كرم) فكلهم كرماء اذكياء (لها فروع طوال) لامتداد ذرّية الرسول صلى الله عليه و آله ٠

(و ثمرة لا تنال) اى انّ عزه و سؤدده لا ينال فلا يتمكن احد من الوصول الى هذه المرتبة الرفيعة (فهو امام من اتقى) لأنه صلى الله عليه و آله المعلم والمرشد و الأسوة ٠

(و بصيرة) اى سبب بصيرة (من اهتدى) الى الحق (سراج) اى مصباح (لمع) و اشرق (ضوؤه) فكما يضئ المصباح كذلك الرسول صلى الله عليه و آله يضئ بالارشاد و الهداية ٠

(و شهاب) هو النيزك يرى باللّيل ينقض فى السماء (سطع) اى ارتفع (نوره) فرآه كل احد (و زند) هو ما يقدح من الحجر لاخراج النّار (برق لمعه) اى نوره (سيرته القصد) يعنى التّوسط فى الأمور بلا افراط و لا تفريط (و سنّته) اى طريقته (الرّشد) لاغى فى سنّته صلى الله عليه و آله و سلم ٠

وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ ؛ أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ . اَعْمَلُوا ، رَحِمَكُمُ ٱللهُ ، عَلَىٰ أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَىٰ مَهَلٍ وَفَرَاغٍ ؛ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ

(وكلامه الفصل) بين الحق و الباطل (وحكمه العدل) لا يجور فى الحكم او انّ احكامه كلها عادلة لا انحراف فيها (ارسله) الله سبحانه (على حين فترة من الرسل) الفترة الزمان بين الرسولين (و هفوة) اى انحراف الناس (عن العمل) الصالح (وغباوة) اى جهل (من الأمم) بما يصلح دنياهم و آخرتهم .

(اعملوا) ايّها النّاس (رحمكم الله) دعاء فى صورة الجملة الخبرية (على اعلام بينة) اى واضحة ، و المراد بالأعلام ، احكام الكتاب و السنّة ، فانّها اعلام لطريق الحق و الهدى .

(فالطريق) الى الحق (نهج) واضح مستقيم (يدعو الى دار السلام) فاعل يدعو ((الطريق)) و دار السلام هى الجنّة ، لأنها دار سلامة ، كما قال سبحانه : ((لهم دار السلام عند ربّهم)) .

(و انتم فى دار مستعتب) اى طلب العتبا ــ بمعنى الرضا ــ فان الدنيا دار يطلب من الانسان ــ فيها ــ اى يرضى ربه ، و هذا كناية عن ان للانسان وقتا للعمل الصالح .

(على مهل) اى مهلة من العمل (و فراغ) فلا اشتغال للانسان لا يتمكن من العمل الصالح بسببه (و الصحف) جمع صحيفه ــ التى يكتب فيها عملكم ــ (منشورة) فلكم امكان ان تزيدوا و تنقصوا فى أعمالكم .

(و الأقلام جارية) بالكتابة لكم اوعليكم ، فيمكنكم التدارك (و الأبدان

صَحِيحَةٌ ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ ، وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ ،

صحيحة) لا مرض فيها (والألسن مطلقة) لا خرس لها ، والجملتان من باب الغالب — كما لا يخفى — (والتوبة مسموعة) لا كالآخرة التى لا تقبل التوبة فيها (والأعمال مقبولة) فمن عمل صالحا قبل منه و رفع به درجته .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله

(بعثه) الله سبحانه (والنّاس ضلّال) جمع ضالّ (فى حيرة) لا يعرفون طريق الصواب (وخابطون فى فتنة) اى كانوا يخوضون فى الفتن لا يهتدون الى الحق ، ولا يجدون للخلاص سبيلا (قد استهوتهم الأهواء) اى ان الميول و الشهوات اخذتهم الى جانبها (واستزلتهم الكبرياء) اى ادت كبريائهم وانصرافهم عن الحق الى الزلة و السقوط فى المفاسد .

(واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء) اى جعلتهم الجاهليّة خفيفا ، تسوق بهم الى المهالك و المضار ، والجاهلية صفة لاقوام ما قبل الرسالة ، حيث كان النّاس يخوطون فى بحار الجهل و الآثام ، والجهلاء مبالغة فى وصفها بالجهل .

حَيَارَىٰ فِي زَلْزَالٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ ،وَبَلَاءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ ، فَبَالَغَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَىٰ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ، وَدَعَاإِلَىٰ ٱلْحِكْمَةِ، وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ.

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليه السَّلام

فيها حمد الله ،و تمجيد الرسول صلى الله عليه وآله

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ،

(حيارى) جمع حيران (فى زلزال من الأمر) اى انّ أمورهم لم تكن مستقرّة بل مضطربة ٠

(و بلاء من الجهل) فجهلهم كان بلاءا عليهم (فبالغ) الرسول (صلى الله عليه و آله فى النّصيحة) لهم بترك الكفر و الآثام (و مضى على الطريقة) الصحيحة يدعو الناس لاتباعه ٠

(و دعا الى الحكمة و الموعظة الحسنة) اى دعا النّاس بأن يكونوا حكماء عارفين ، و يعظون النّاس موعظة حسنة ، لا عنف فيها و لا تجهّم ، و لا ايذاء

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليه السَّلام

(فيها حمد الله ، و تمجيد الرّسول صلى الله عليه وآله)

(الحمد لله الأول فلا شئ قبله) فهو واجب الوجود ، فهو ازل ، و لا شئ غيره الا ممكن الوجود ، فيسبق عدمه وجوده ، مهما طال به الزمن فى طرف الأزل٠

(و الآخر فلا شئ بعده) لأنه سبحانه يبقى بعد فناء جميع الأشياء والدليل

وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَٱلْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ ، وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ ،

عليه هو ((وجوب الوجود)) كما ذكرنا ٠

(و الظاهر فلا شئ فوقه) و المراد بالظاهر العالى منزلة الرفيع قدرا ، ولذا وصفه عليه السلام بقوله ((فلا شئ فوقه)) اى من حيث الرتبة و الشرف ٠

(و الباطن فلا شئ دونه) فى تبطن الأشياء وعرفان كنهها ، و المراد البطون بالعلم ، لا بالمكان ــ كما هو واضح ٠

((منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه و آله))

(مستقرّه) صلى الله عليه وآله و سلم ، اى محل قراره ، و هو مكة ، اوالمراد رحم امه صلى الله عليه و آله (خير مستقر) فان مكة هى ام القرى ، و بيت اللّه الحرام ، و ان اريد قرار نطفته ، فلطهارة والدة الرسول صلى الله عليه وآله و اصالتها ٠

(و منبته) اى آبائه الذين نبت صلى الله عليه و آله منهم (اشرف منبت) لأنهم المختارون لهذا الرّسول العظيم (فى معادن الكرامة) فأجداده صلى الله عليه و آله كانوا كرماء اذكياء ، كأنهم معدن لهذا الوصف ٠

(ومماهد) جمع ممهد ، و المراد المهد ــ فهو اسم مكان من امهد اى هيئ المكان الحسن للاستقرار ــ (السلامة) فانّ الرسول صلى الله عليه و آله كان من آباء كلهم سالمون عن الكفر و السفاح و سائر الأرجاس ٠

(قد صرفت نحوه افئدة الأبرار) اى انّ قلوبهم مصروفة نحوه صلى الله عليه و

وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً ، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ بَيَانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

آله لاتخاذ العلم و العمل منه ، فانهم يأتسون به و يقتدون بسيرته و سنّته (و ثنيت اليه) صلى الله عليه و آله ٠

(أزمة الأبصار) ازمة جمع زمام ، و انثناء الأزمة كناية عن تحوّل الأبصار اليه ، كما ان انثناء ازمة الدابة انما يكون اذا اريد تحولها الى اتجاه آخر ٠

(دفن) اللّه سبحانه (به) اى بالرسول صلى الله عليه و آله (الضغائن) اى الأحقاد ، بما اوجد فى قلوبهم من المحبّة و الألفة ٠

(و اطفأ به الثوائر) جمع ثائرة ، و هى العداوة التى تثور و تثب للاضـرار (ألّف) الله سبحانه (به) صلى الله عليه و آله (اخوانا) فجعل كل مسلم أخا للآخر ــ كما قال تعالى : ((انّما المؤمنون اخوة)) ٠

(و فرق) سبحانه (به) صلى الله عليه و آله (اقرانا) الذين كانوا يألفون على الشّرك و العصيان ، فمن آمن منهم فرق عمن بقى على كفره ٠

(اعزّ) سبحانه (به) صلى الله عليه و آله (الذلّة) الّتى كانت تشمـــل العرب و سائر النّاس ، فيما قبل الاسلام ٠

(و أذلّ) سبحانه (به) صلّى اللّه عليه و آله (العزّة) للكافرين و العصاة فأصبحوا اذلاّء بعد ان كانوا أعزّة ٠

(كلامه) صلى الله عليه و آله (بيان) للحق ، ليس هدرا و لغوا ٠

(و صمته لسان) فانّ سكوته صلى الله عليه و آله دليل على العدم و الترك ، فاذا سكت عن شئ دلّ على انّه ليس بمنكر ، لأن قوله و فعله و تقريره كلّها حجّة ٠

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

في حال أصحابه ، وحال أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله

وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِـمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،

وَمِن خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

في حال أصحابه ، وحال أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله

(ولئن امهل) الله (الظالم) ولم يعجل في عقابه (فلن يفوت أخذه) اي لا يذهب عنه تعالى ان يأخذه وينتقم منه (وهو) سبحانه (له) اي للظالم (بالمرصاد) هو موضع الرصد والترقّب ، كأنه سبحانه واقف في طريق الظّالم يراقبه حتى اذا وصل اليه ــ وحان وقته ــ اخذه اخذ عزيز مقتدر .

(على مجاز طريقه) المجاز محل العبور ، من جاز بمعنى مرّ (وبموضع الشجا) الشجى ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه (من مساغ ريقه) اي ممره من الحلق ، فان ماء الفم يمرّ من الحلق بسهولة الى الباطن ، وهذا تمثيل لقرب ترقّب الله سبحانه للظّالم ، حتّى كأنه سبحانه في حلقه ، فاذا اراد اخذه جعل هناك شجى فلا يتمكن من شرب الماء .

(اما والّذي نفسي بيده) اي الله سبحانه الذي روح الانسان تحت قدرته وهذا حلف فيها نكتة لطيفة ــ .

لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا ، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ ،

(ليظهرنّ) اى ليغلبنّ و ليتسلطن (هؤلاء القوم) معاوية و اتباعه (عليكم ليس لأنهم اولى بالحق منكم) حتى ينطبق عليهم ((الحق يعلو و لا يعلى عليه)) .

(و لكن لا سراعهم الى باطل صاحبهم) معاوية اى انه اذا امرهم بأمر اسرعوا فى تلبيته فينتهزون كل فرصة ، و العامل ــ دائما ــ مقدم على الكسول العاطل

(و ابطائكم عن حقّى) اى عن الحق الذى آمركم به .

(و لقد اصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها) جمع الراعى ، اى حكّامها ، فان النّاس يخافون من ظلم السلاطين و الحكام .

(و اصبحت) بالعكس من ذلك (اخاف ظلم رعيتى) بأن تظلمنى فى عدم الاطاعة ، وعدم السير على الخطة التى انهجها لهم (استنفرتكم للجهاد) اى طلبت منكم النفر و السير للجهاد مع اهل الشام (فلم تنفروا) و لم تسيروا .

(و اسمعتكم فلم تسمعوا) اى اسمعتكم سوء العاقبة اذا لم تحاربوا هؤلاء ، لكنّكم ما اطعتم كالذى لا يسمع .

(و دعوتكم) الى الحق (سرّا) فرادى و فى الخلوات (و جهرا) جماهيرا و فى الاجتماعات (فلم تستجيبوا) و لم تقبلوا النصح و الارشاد .

(و نصحت لكم) فيما ينفعكم (فلم تقبلوا) نصحى و لم تسيروا وفق منهجى (أشهود كغياب) ؟ استفهام انكار ، اى كيف انتم حاضرون فى حال كونكم ــ

وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً ، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ ، عَجَزَ

فى عدم الانتفاع ـ كالغائبين الذين لا يسمعون الكلام (وعبيد كأرباب) ان العبد يحتاج الى الاخافة فى الاطاعة ، وهؤلاء كانوا عبيدا لكنهم كأرباب لا رب لهم و هذا الكلام فى غاية الجمال و البلاغة فى الازدراء بهم ٠

(اتلو) اى اقرء (عليكم الحكم) جمع حكمة و هى الموعظة (فتنفرون منها) بعدم العمل بمضامينها (واعظكم بالموعظة البالغة) التى تبلغ غاية الارشاد و الايضاح (فتتفرقون عنها) اى لا تجتمعون على الأخذ بها و الاتعاظ منها ٠

(واحثكم) اى احرضكم (على جهاد اهل البغى) اى اهل الظلم و هم معاوية و اتباعه (فما اتى على آخر قولى) فى الحث و التحريض (حتى أراكم متفرقين) يذهب كل فريق الى داره و محله (ايادى سبا) جمع ايدى ، وهى النعمة ، اى كما تفرقت نعم ((سبا)) وهى مدينة فى اليمن ، حكا القرآن الحكيم قصّتها فى قوله ((لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية)) ، وقيل غير ذلك ، ثم صار ((ايادى سبا)) مثلا فى شدة التفرق و الاختلاف ٠

(ترجعون الى مجالسكم) بلا اهتمام للجهاد (و تتخادعون) اى يخدع بعضكم بعضا (عن مواعظكم) التى وعظتكم بها ، فلا ترون لها قيمة و ثمنا ٠

(اقومكم) بالنصح و الارشاد و جمعكم (غدوة) اى صباحا (و ترجعون الى عشية) اى ليلا (كظهر الحنية) اى القوس ، سميت بها لانحنائها (عجز

ٱلْمُقَوَّمُ ، وَأَعْضَـلَ ٱلْمُقَوَّمُ أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، ٱلْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، ٱلْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ. صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي ٱللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَٱللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ !

المقوم) عن تقويمكم ، و هذا جملة خبر للتأفيف و التضجر (و اعضل المقوم) اى استصعب وعصى من يراد قوامه و استقامته ٠

(ايها) الجماعة (الشاهدة أبدانهم) اى الحاضرة فى محضرى (الغائبة عقولهم) كناية عن عدم رشدهم و ادراكهم (المختلفة اهواؤهم) فلكل هوى و ميل و اتجاه ، بلا اجتماع على الحق (المبتلى بهم امراؤهم) فان امراء العراق ما كانوا يعلمون ماذا يصنعون بهؤلاء ، و لذا دل التاريخ على كثرة التقلبات فى هذه البلاد بما يقل مثلها فى سائر المدن و البلاد ٠

(صاحبكم) يعنى الامام بـ ((الصاحب)) نفسه الطاهرة (يطيع الله) فى أوامره و نواهيه (و أنتم تعصونه) بالمخالفة و التّفرق و اتباع الاهواء ٠

(و صاحب اهل الشام) و هو معاوية (يعصى الله) فلا يطيع اوامره و زواجره (و هم يطيعونه) فى باطله (لوددت) اى احببت ٠

(ــ و الله ــ ان معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدّرهم) المصارفة تعويض نقد بنقد آخر (فأخذ منّى عشرة منكم و اعطانى رجلا منهم) فان الدينار ــ كان ــ يعادل عشرة دراهم و المراد ان رجلا من اهل الشام ــ فى الاطاعة ــ خير من عشرة منكم ، فالجيش المكون من مائة منهم ــ مثلا ــ افضل فى القوة و المنعة من جيش مكوّن من ألف منكم ٠

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ : صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِندَ اللِّقَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِندَ ٱلْبَلَاءِ ! تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ ! يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا !

(يا أهل الكوفة منيت منكم) اى امتحنت بواستطكم و ابتليت بكم (بثلاث) من الخصال السيّئة التى فيكم (واثنتين) اى خمس خصال سيئة ، وانّما فرقّهما لأن الاثنتين شكل آخر ، من غير شكل الثلاث ، وان كان الجميع خصال سوء .

اما الثلاث (صم ذوو أسماع) اى انّ اسماعكم لا تنفع ، فأنتم كالانسان الأصم الذى لا ينتفع بسمعه وصم جمع اصم ، وهو من فقد حاسّة السّمع .

(وبكم) جمع ابكم وهو الذى لا يقدر على التّكلّم (ذوو كلام) وحيث انّ كلامهم لا ينفع فهم كالأبكم الذى لا يتكلم اذ عدم الكلام و الكلام غير المفيد سواء .

(وعمى) جمع أعمى (ذوو أبصار) والحاصل انّ اسماعكم و أبصاركم و ألسنتكم لا يأتى منها الخير فوجودها كعدمها ... واما الاثنتان (لا أحرار صدق) اى ليس احدكم حرّا صادقا ، وانما حريتكم مكذوبة لأن عملكم عمل العبد (عند اللّقاء) فى الحرب ، فالعبد يفر ، لأنه لا يهمه من كان سيده ، سيّده الأوّل او خصمه ، اما الحرّ فانّه يعلم اذا غلب يكون عبدا لخصمه ، ولذا يصمد امام الأعداء (ولا اخوان ثقة) اى اخوان يثق بكم الانسان (عند البلاء) فانكم تتجانبون اصدقائكم اذا نزلت بهم البلاء ، لانطوائكم على الرذيلة .

(تربت أيديكم) اى اصابت التراب ، وهذا دعاء عليهم بعدم الخير ، لأن الانسان اذا ذهب الى العمل فقد يجد العمل ، وقد لا يجد فكأنه اصابت يده التراب الذى لا ينفع ، ولم تصب عملا نافعا .

(يا اشباه الابل) المتصفة بأنها (غاب عنها رعاتها) فانّ الابل اذا غاب

كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا أَخَالُ: أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَىٰ، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، وَقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا. وَإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَىٰ الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً

عنها الراعى تفرّقت اشدّ التفرّق (كلّما جمعت من جانب) فيما كان الجمع من غيرالراعى لها (تفرقت من جانب آخر) لعدم انتظام امرها . وعدم اتّحاد اهوائها .

(ــ والله ــ لكأنى بكم) اى هكذا اراكم و اظنّكم (فيما اخال) اى فيما اظن ، فان ((خال)) بمعنى ((ظن)) (ان لو حمس) اى اشتدّ (الوغى) اى الحرب (وحمى) اصار حارا (الضرّاب) اى القتال ، وحرارته كناية عن شدّته (وقد انفرجتم) اى تفرّقتم (عن ابن أبى طالب) يعنى الامام عليه السلام نفسه .

(انفراج المرأة عن قبلها) كما تبدى النساء عورتها لدى الوضع عند الولادة ، اولدى ملاقات السلاح ، لأنها تذهل عن امرها ، حتى انها لا تعرف انكشاف قبلها اذا فرت وقد صرّح الامام بهذا اللفظ ليوجد فيهم الانفة و الحميّة لعلّهم يأنفون عن مثل هذا التشبيه القبيح ، والمراد التشبّه فى فرارهم بالمرأة المنفرجة لا انّ المقصود جميع اطراف التشبيه فتأمل .

(وانى) لا يهمّنى امركم فى ذات نفسى ، و انّما أنصح لكم ، اذ انّى (لعلى بينة من ربى) فأنا أعرف احكام الله سبحانه .

(ومنهاج من نبيّى) اعلم سنّة الرّسول صلى الله عليه و آله .

(وانى لعلى الطريق الواضح القطه لقطا) اى آخذ الحق كما يأخذ الانسان

اُنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا. وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً

اللّقطة الثّمينة من بين ما لا ثمن له ، فانّ الحق واحد و الباطل ضروب مختلفة ٠

(أنظروا) الى (أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم) اى طريقهم (واتّبعوا أثرهم) فى الأعمال و الأقوال و العقائد (فلن يخرجوكم من هدى) الى الضلالة (و لن يعيدوكم فى ردى) اى الهلاك ، و الاعادة باعتبار ما كان النّاس عليه فى زمن الجاهليّة ٠ (فان لبدوا) اى اقاموا على امر (فالبدوا) اى أقيموا عليه من ((لبد)) بمعنى ((اقام)) ٠ (و ان نهضوا) بالحرب ، او ما اشبه (فانهضوا) و هذا كناية عن اتباعهم فى كل الأمور (و لا تسبقوهم) بأن تسرعوا فى الأمر فيما تأنوا فيه ، كان يحاربوا و أهل البيت يرون وجوب المسالمة (فتضلّوا) عن الطريق ٠

(و لا تتأخّروا عنهم) كما لو قام اهل البيت بالحرب ، فلم ينهض معهم النّاس ، فانّهم تأخّروا عنهم ــ فان التقدم و التأخّر يعتبر بالسّلوك ، تشبيهاله بالمشى ــ (فتهلكوا) بالعصيان و توجبوا على أنفسكم العقاب و النّيران ٠

(لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم فما أرى أحدا منكم يشبههم) فى الطّاعة و السّبق الى الخير و الفضيلة ــ و المراد بهم المؤمنون حقّا، لا المنافقون ، ــ كما لا يخفى ــ ٠

(لقد كانوا يصبحون شعثا) جمع اشعث و هو الذى لم يمشط رأسه فتداخل

غُبْراً، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ ، وَيَقِفُونَ عَلَىٰ مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَىٰ مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّىٰ تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ ،

شعره (غبرا) جمع اغبر و هو المعفر الرأس ، فانّ القيام باللّيل و كثرة الركوع و السجود يسبب ذلك ، و المراد انهم كانوا عبّادا زهّادا (و قد باتوا) ظلوا الليل كله (سجّدا) جمع ساجد (و قياما) جمع قائم (يراوحون) المرواحة بين عملين هى ان يعمل هذا مرة و ذاك مرة (بين جباههم) جمع جبهة (و خدودهم) جمع خد ، يعنى انّهم كانوا يضعون جبهتهم و خدّهم على الأرض خضوعا ـ هذه مرّة ، و ذاك اخرى ـ و ذلك كناية عن ادمان الصلاةوالاستكانة

(و يقفون على مثل الجمر) اى مثل الواقف على جمر النّار (من ذكر معادهم) فانّ الانسان اذا خاف شديدا ، كان كالواقف على الجمر فى ضربان القلب، وعدم استقرار الجسد .

(كأنّ بين أعينهم) اى فى جباههم (ركب المعزى) جمع ركبة ، والمعزى، جمع معز ، فانّ كثرة السّجود توجب يبس الموضع و استدارته و انعقاد الثفنة ، و تخصيص المعزى لأن ركبها اشدّ يبوسة (من طول سجودهم) للّه سبحانه .

(اذا ذكر الله هملت) اى جرت (أعينهم) دموعا (حتى تبل) اعينهم (جيوبهم) من كثرة البكاء ، فان الخائف الشديد الخوف ، و الراغب الشديد الرّغبة ، اذا ذكر لديهم المخوف منه او المرغوب اليه بكوا .

(و مادوا) اى اضطربوا ـ عند ذكر الله سبحانه ـ (كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف) اذا هبت الرّياح الشّديدة (خوفا من العقاب) لئلا يكون من

وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى وصف بنى أمية

وَٱللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلَّا ٱسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ ، وَحَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ ،

أهله (و رجاءً للثواب) تمنيا ان يكونوا من مستحقيه ·

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى وصف بنى أمية

(و اللّه لا يزالون) اى يبقون (حتّى لا يدعوا) اى لا يتركوا (للّه محرّما الاّ استحلوه) اى اتوا به كأنه حلال (ولا عقدا) ممّا عاهد اللّه البشر (الاّ حلّوه) ولم يفوا به ، او المراد عقودهم مع النّاس ، وهذا اضافى بمعنى انهم لا يبالون بالمحرّمات و العقود ، لا استغراقى حقيقى ·

(وحتّى لا يبقى بيت مدر) وهو المبنى من طوب وحجر و نحوهما (ولا وبر) وهو الخيام المضروبة من أوبار الابل و نحوها (الاّ دخله ظلمهم) فانّ الضّرائب وما أشبه تدخل كلّ بيت ·

(و نبا به سوء رعيهم) يقال نبا به المنزل اذا لم يوافقه فارتحل عنه ، يعنى ان

وَحَتَّىٰ يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ ، وَحَتَّىٰ يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِٱللهِ ظَنًّا ، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَٱقْبَلُوا ، وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَٱصْبِرُوا ، وَ« ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ » .

سوء ادارة بنى اميه يوجب ابتعاد النّاس عن دارهم فرارا من الظّلم .

(وحتّى يقوم الباكيان يبكيان) المراد جنسان من الباكى (باك يبكى لدينه) حيث ان بنى امية يحاربون الدين (وباك يبكى لدنياه) حيث يستبدون بالسيطرة على الدّنيا فلا يجعلون لأحد منها نصيبا .

(وحتّى تكون نصرة احدكم من احدهم) اى اذا أراد الانتصار (كنصرة العبد من سيّده) الّذى لا يتمكّن الانتصار منه و التّغلّب عليه (اذا شهد أطاعه واذا غاب اغتابه) هذا بيان لكيفية النّصرة ، فانّ العبد حيث لا يتمكّن من الانتصار يكون حاله هكذا ، اذا حضر المولى أطاعه ــ خوفا و جبرا ــ و اذا غاب المولى ، اغتابه العبد و بين مظالمه و اذاه له .

(وحتّى يكون اعظمكم فيها) اى فى حكم بنى امية (عناءً) تعبا و صعوبة (احسنكم باللّه ظنّاً) اذ الانسان الحسن الظّن باللّه يعمل من اجله سبحانه ، و بنو اميّة مخالفون لمن أطاع اللّه سبحانه و لذا يضطهدوه و يؤذوه اكثر من غيره .

(فان اتاكم اللّه بعافية) سلامة عن شرّهم (فاقبلوا) و اشكروا اللّه عليها (و ان ابتليتم) ببلائهم (فاصبروا) حتّى يأتى اللّه بأمره (و العاقبة للمتّقين) الذين يتّقون الآثام و المعاصى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التزهيد في الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَىٰ مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ .

عِبَادَ اللهِ ، أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التّزهيد في الدّنيا

(نحمده) تعالى (على ما كان) من تهطال نعمه علينا قديما (ونستعينه من أمرنا على ما يكون) ليكون سبحانه عونا لنا في ما يأتي (ونسأله المعافاة في الأديان) بأن يتفضل علينا بعافية ديننا عن الاخطار (كما نسأله المعافاة في الأبدان) بأن يعافي بدننا من الأمراض .

يا (عباد الله اوصيكم بالرّفض لهذه الدّنيا) اى تركها وعدم الاقبال عليها (التاركة لكم وان لم تحبوا تركها) فان الدنيا تترك الانسان عند الموت وتأخذ عنه نعيمها ، وان لم يحب الانسان الا البقاء ، ودوام النعمة (والمبلية لأجسامكم) فانّ الانسان يبلى في القبر ويصير ترابا .

وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَـا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى ٱلْمُجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا ! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا

(وان كنتم تحبّون تجديدها) اى تجديد الدنيا ، فهى من النقيض لكم حيث انكم تخدمونها و هى نسئ اليكم فما اجدر بالانسان ان يترك ما هذا شأنه .

(فانما مثلكم ومثلها) اى مثلكم فى الدنيا (كسفر) بمعنى جماعة مسافرين (سلكوا سبيلا) اى ساروا فى طريق (فكأنهم قد قطعوه) و وصلوا الى الغاية التى من أجلها سافروا (و امّوا علما) اى قصدوا جبلا ــ اوعلامة ــ (فكأنهم قد بلغوه) وهكذا الدنيا حيث انها محدودة لا بد و ان تنتهى عن قريب ، ولذا فمن الأفضل ان لا يعتمد الانسان عليها (وكم عسى المجرى) مركوبه (الى الغاية ان يجرى اليها) اى الذى يريد ان يجرى الى تلك الغاية (حتى يبلغها) متعلق بـ ((كم عسى)) اى ، اىّ مقدار من المدّة يرجو ــ الذى يجرى مركوبه الى غاية يريد ان يجرى اليها ــ حتّى يبلغ تلك الغاية ؟ وهذا استفهام للتحقير ، فان ماله غاية لابد من الوصول اليها ، وان كانت المسافة بعيدة .

(وما عسى) اى ما يومل (ان يكون بقاء) اى بقائه (من له يوم لا يعدوه) فان لكل انسان يوم لا يعدو ذلك اليوم ، بل اذا وصل اليه انتهى عمره وانتقل الى الآخرة ، والاستفهام للتّحقير لبيان قلّة الأمر المؤمّل اذا كان له آخر وغاية (و) الحال انه (طالب حثيث) يحث ويحرض على السير (يحدوه) يسوقه ويسيّره (فى الدّنيا حتّى يفارقها) والطّالب الحثيث هو امر الله سبحانه فالأمر

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَىٰ انْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَىٰ زَوَالٍ ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَىٰ نَفَادٍ ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَىٰ انْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ

آخر ، وطالب يحدو ... فكم يبقى الانسان والحال هذه ؟ .

(فلا تنافسوا) التّنافس التّغالب على الشّئ (فى عزّ الدّنيا و فخرها) بأن يريد كل منكم ان يعلوا على صاحبه فى العزّ و الفخر .

(و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها) اى لا تفرحوا و لا ترضوا عن زينة الدّنيا و نعيمها ، لأنه سراب خادع لا دوام له ولا بقاء (و لا تجزعوا) الجزع ضدّ الصبر (من ضرّائها) اى الأضرار التى تلحق بكم من الدنيا (وبؤسها) شدائدها (فانّ عزّها و فخرها الى انقطاع) فلابد ان يأتى زمان لا عزّ لكم فيه و لا فخرحيث ذهبا بسبب او بالموت (و ان زينتها و نعيمها الى زوال) وفناء (و ضرّاءها و بؤسها الى نفاد) اى خلاص و تمام ، من نفد اذا فنى (و كلّ مدّة) خيرا كانت او شرّا (فيها) اى فى الدّنيا (الى انتهاء) قال الشاعر :

رأيت الدّهر مختلفا يدور — فلا حزن يدوم و لا سرور
وقد بنت الملوك به قصورا — فما بقى الملوك ولا القصور

(و كل حى فيها الى فناء) فكيف يعتمد العاقل على مثل هذه الدنيا ؟ أم كيف يحزن لبؤسها ؟ او يفرح لنعيمها ؟ .

(او ليس لكم فى آثار الأولين) ممّن كان من قبلكم (مزدجر) اى ما يسبب الانزجار و الارتداع عن الاقبال على الدنيا ، فها هم قد فنوا و مضوا و هذه آثارهم .

وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، وَإِلَىٰ ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَىٰ أَحْوَالٍ شَتَّىٰ : فَمَيِّتٌ يُبْكَىٰ، وَآخَرُ يُعَزَّىٰ ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَـا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؛

(وفى آبائكم الماضين) الذين ماتوا (تبصرة و معتبر) اى ما يوجب التبصّر والاعتبار ، بأن تعرفوا من مضيّهم حال الدّنيا وانّها لا تفى ولا تبقى على احد (ان كنتم تعقلون) اى ان كنتم تعقلون لاعتبرتم بآبائكم والأولين ممن كان قبلكم .

(او لم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون) ؟ فهل ترجعون رجوعا لكم اذا فنيتم ولذا تعتمدون على الدّنيا (والى الخلف الباقين لا يبقون) فهل ترجون بقاءاً بعد ما ترون من هلاك خلفاء السّابقين — الذين يعاصرونكم — ؟ .

(اولستم ترون أهل الدنيا يصبحون و يمسون على احوال شتّى) ؟ جمع شتيت بمعنى احوال مختلفه ، وذلك مما يدل على عدم بقاء الدنيا على حال وانمـــا انتقالها من حال الى حال (فميّت يبكى) له (وآخر يعزّى) وهو من يرتبـــط بالميّت حيث يعزّونه النّاس ويسلّونه فى مصابه (وصريع) اى من نام على فـــراش العلة ، كأنّ المرض صرعه (مبتلى) ابتلى بالداء والمرض .

(وعائد) للمريض (يعود) اى يزوره و يسأل من أحواله (وآخر) محتضر فى آخر ساعاته (بنفسه يجود) اى يعطى نفسه لله سبحانه ، يقال جاد بنفســـه اذا قارب الموت .

(وطالب للدنيا والموت يطلبه) فهو فى عين الا يغال فى الدنيا يبتعد عنها بطلب الموت له (وغافل) عن الآخرة (وليس بمغفول عنه) بل له حســـاب

وَعَلَىٰ أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي ! أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ ؛ وَاسْتَعِينُوا اللهَ عَلَىٰ أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

دقيق (وعلى اثر الماضى) من النّاس (ما يمضى الباقى) ((ما)) مصدرية ، اى يكون مضّى الباقين فى الدّنيا .

(الا) للتّنبيه (فاذكروا) ايّها النّاس (هادم اللّذات) وهو الموت الذى يهدم لذّات الانسان فى هذه الحياة ، ومن المعلوم انّ ذكر الموت يوجب ابتعاد الانسان عن الشّهوات لأنه يوجد فى نفس الذاكر ملكة عزوف عن الدنيا (و منغّص الشّهوات) يقال نغّص عيشه اذا افسده (وقاطع الأمنيات) جمع امنيّة بمعنى الآمال ، فكأن الأمانى متّصلة بالانسان والموت يقطع خيوطها (عند المساورة) متعلّق بهاذكروا ، والمساورة المواثبة كأنّ الانسان يثب على العمل القبيح فيأتى به (للأعمال القبيحة) المحرّمة فى الشّريعة .

(واستعينوا الله على اداء واجب حقّه) اى اطلبوا منه سبحانه الاعانة كى يودّوا حقّه حتّى يعينكم (و) اداء الواجب (مالا يحصى من اعداد نعمه و احسانه) فانّ الانسان لا يتمكن ان يحصى عدد نعم الله سبحانه .

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَليْهِ السَّلام

في رسول الله و اهل بيته الأطهار

اَلْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَليْهِ السَّلام

فى رسول اللّه و أهل بيته الأطهار

(الحمد للّه النّاشر فى الخلق فضله) فانّه سبحانه عمّ فضله و احسانه فى جميع خلقه (والباسط فيهم بالجود يده) فكما انّ الانسان اذا أراد ان يعطى احدا شيئا مد يده - اى بسطها - ليناوله ، كذلك الله سبحانه، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس تقريبا الى الذّهن و الاّ فلا يد للّه سبحانه فانّه منزّه عن الجسم وعن عوارض الجسم .

(نحمده فى جميع أموره) من نعمة او بلاء فانّه لا يفعل شيئا الاحسب الصلاح فيستحقّ بذلك حمدا و ثناءا (و نستعينه على رعاية حقوقه) اى نطلب منه تعالى ان يعيننا حتّى نودّى حقّه - الذى هو اطاعته وعبادته .

(و نشهد ان لا اله غيره و انّ محمّدا عبده و رسوله) و تقديم ((عبده)) للاعتراف بمقام الالوهية و التّخضّع لدى جنابه تعالى .

أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَّى أَمِيناً . وَمَضَى رَشِيداً ؛ وَ خَلَّفَ فِينَا رَايَةَ ٱلْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ ،

(أرسله) سبحانه (بأمره صادعا) يقال صدع بالأمر اى قام به ، واصل الصدع الكسر كأنه يكسر الباطل ليبنى مكانه صرح الحق .

(وبذكره ناطقا) اى بأن يذكره سبحانه ، او بذكره الذى هو قرانه (فادى) رسالةربه (أمينا) بغير ان يزيد فيه او ينقص .

(ومضى رشيدا) اى مع الرّشد لم يتغيّر عمّا كان عليه ، وهذا خلاف كثير من الناس الذين يبتدئون فى الأعمال بنظافة و نزاهة ، لكن فى آخر الأمريتورطون و يرتطمون فى الغى والانحراف .

(وخلف فينا راية الحقّ) وهى الكتاب والعترة كما قال ((صلى الله عليه وآله)) انى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبدا .

(من تقدمّها مرق) اى خرج عن الدّين ، ومعنى التّقدّم الزّيادة على ما شرّعه الله سبحانه .

(ومن تخلّف عنها زهق) اى اضمحلّ وهلك ، والتّخلّف بعدم اتيان ما شرع الله من الأحكام .

(ومن لزمها) اى لزم الراية (لحق) بالحق بدون تقدّم أو تأخّر(دليلها) شرع الامام عليه السلام فى بيان دليل يعرف به راية الحق حتّى لا يجتمع النّاس تحت راية الباطل بظنّ انّها الحق .

(مكيث الكلام) اى رزين يمكث فى قوله ، فلا يسرع فى الجواب ، وذكر

بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللهُ حَتَّىٰ يُطْلِعَ ٱللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَىٰ أَنْ تَزِلَّ إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ ، وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَىٰ ،

الحلول للمشاكل و انما يمكث .

(بطئ القيام) اى لا يقوم بأمر الا بعد بطئ و تريث و تفكر .

(سريع اذا قام) فاذا تبين وجه الحق نهض فى تنفيذه مسرعا بلا تلكوء و بطوء ــ و كأنّ الامام عليه السلام يصف بذلك حال نفسه .

(فاذا انتم النتم له رقابكم) الان رقبته كناية عن الخضوع له عليه السلام ، لأن الرقبة تكون طوع امره و نهيه ، لا تبقى صلبة لا تعتنى بأمره و نهيه .

(و اشرتم اليه بأصابعكم) بأن كان مشهورا بينكم يشار اليه بالاصابع (جاءه الموت فذهب به) يعنى اذا تم الاسلام بالامام بأن صار مطاعا مشتهرا توفّى .

و بعد الوفاة تمضى مدة حتى يقوم قائم آل محمد عليه السلام (فلبثتم بعده ما شاء الله) من المدة الطويلة بلا امام قائم (حتى يطلع الله لكم) اى يخرج لكم (من يجمعكم) تحت لواء الحق (و يضم نشركم) يجمع المتفرق منكم (فلاتطمعوا فى غير مقبل) الى الزعامة ، كالأئمة الذين لم يقوموا بالأمر ، فانهم لم يقبلوا نحو الزعامة و انما لزموا دورهم (و لا تيأسوا من مدبر) كالامام المهدى الذى ادبر بغيبته عنهم (فان المدبر عسى) اى لعل (ان تزل احدى قائمتيه) اى رجليه و الزلة كناية عن عدم القيام بالأمر . (و تثبت الاخرى) كناية عن عدم الانقطاع مطلقا و انما التأخير لمصالح .

وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

(و) بعد ذلك (ترجعا) القائمتان (حتّى تثبتا جميعا) بأن تكمل شرائط القيام فيقوم باذن الله سبحانه ٠

ولا يخفى ان الكلام لا يدل على عدم قيام لواء الحق قبل ظهور الامام عليه السلام وانما الحق الكامل يكون بظهوره ، ثم ذكر عليه السلام لزوم استمرار الحجة وان لم يقم الامام بالزعامة ٠

(الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السّماء) ثم بين وجه التمثيل بقوله : (اذا خوى) اى غاب (نجم طلع نجم) والنجوم لا تزال فى السماء سواء كان الليل وكانت ظاهرة او كان النهار وكانت مستورة ٠

(فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع) جمع صنيعه بمعنى النعمة ، اى النعم (واراكم) الله سبحانه (ما كنتم تأملون) بظهور الامام المهدى عليه السلام ٠

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهى تشتمل على الملاحم

اَلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهى تشتمل على الملاحم ، وتسمى الحرب بالملحمة ، لأنها محل اللحم الذى يحصل من القتل ، فان اجزاء الانسان اذا قطعت كانت لحما وسميت به ، وملاحم جمع ملحمة .

هو سبحانه (الأول قبل كل اوّل) فكلما يسمى بالأول ، يكون الله سبحانه ((اوّلا)) قبله (والآخر بعد كل آخر) فكلما يسمى بالآخر يكون الله سبحانه ((آخرا)) بعده (بـ) سبب (اوليته) وقدمه على الاشياء (وجب ان لا اول له) اذ لو كان له تعالى اول ، لم يكن هو الأول ، بل ما سبقه الأول ـ بقول مطلق ـ .

(وبـ) سبب (اخريته) وبقائه بعد الأشياء (وجب ان لا آخر له) اذ لو كان له تعالى آخر ، لم يكن هو الآخر ، بل مايتاخرعنه هو الآخر ـ بقول مطلق ـ .

(وأشهد أن لا اله الاّ الله شهادة يوافق فيها السّر الأعلان) لا كشهادة

وَٱلْقَلْبُ اللِّسَانَ أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي . فَوَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ ٱلْمُبَلِّغُ ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ .

المنافقين الذين يشهدون ظاهرا لا باطنا ، او شهادة الكفار الذين ((جحدوا بها و استيقنتها انفسهم)) يشهدون باطنا لا ظاهرا .

(و القلب اللسان) فكلاهما يشهدان بالوحدانية و يعترفان بالربوبية .

(ايّها الناس لا يجرمنّكم) اى لا يسبب جرمكم وعصيانكم (شقاقى) اى معاندتى ، فانّ الانسان ربما يريد معاندة غيره فيوقعه العناد فى الاثم و عصيان الله سبحانه .

(و لا يستهوينّكم) يقال استهواه اذا اماله عن طريق الصواب ، اى لا يميلكم عن طريق الحق (عصيانى) بأن يكون عصيانكم لى سببا لميلكم عن الحق ، كما ربما يوقع المعاند نفسه فى العصيان و المهلكة عنادا لشخص آخر ، وقد كان فى الكوفة اناس يعاندون الامام فيركبون كلّ صعب و ذلول فى سبيل معاندته .

(و لا تتراموا بالأبصار) اى تغامز بعضكم ببصره مع بعض اشارة الى كذبى (عند ما تسمعونه منّى) من الأخبار المغيبة .

(فو الذى فلق الحبّة) اى شقّها ليخرج منها النّبات .

(و برأ النسمة) اى خلق الانسان (ان الذى انبئكم به) اى اخبركم من الأمور المستقبلة ، انما هو (عن النّبىّ الأمى) منسوب الى ام القرى (صلى الله عليه و آله ما كذب المبلّغ) اى الرسول ، فيما اخبرنى (و لا جهل السامع ـ) يعنى نفسه عليه السلام .

وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلىٰ ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ.
فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ،

(ولكأنّى) اللام للقسم ، لتأكيد الأمر (انظر الى ضلّيل) شديد الضّلا ل (قد نعق بالشام) اى صاح ، والغالب استعماله فى الاهانة ، لأن النعيق صوت الحمار ، وفى المراد ب ((الضليل)) خلاف والا شبه انه عبد الملك ، و انما كان مبدء نعقه بالشام ٠

(وفحص براياته) اى ركز لها ، كما يفحص الطائر ــ اى يبحث بحرجوئه ــ عن الأرض ، ليزيح التراب عنها ليبيض (فى ضواحى) جمع ضاحية ، بمعنى الطرف (كوفان) اى الكوفة ، وقد كان عبد الملك قد خرج امر العراق والحجاز وفارس ومناطق اخرى من يده ، وخلع بقية ولات فلسطين وغيرها ، و وثب فى الشام بعض الأمويين ضده ، فتمكن من استرداد الملك من ايديهم بالبطش و الشدّة ، وهذا كناية عن استيلائه على العراق بعد قتله لمصعب بن الزبير الذى كان واليا من قبل اخيه عبد الله ٠

(فاذا فغرت فاغرته) اى انفتح فمه ، يقال فغر الفم اذا انفتح ــ وانما جئ بالمؤنث باعتبار النفس ، كأنها تريد الالتهام لكل شئ ــ والفم دليل على فغر النفس ــ

(واشتدّت شكيمته) الشكيمة هى الحديدة المعترضة فى اللجام فى فم الدابة ، واذا كانت الدابة قوية تكون شكيمتها شديدة وهذا كناية عن قوة ((الضليل)) ٠

(وثقلت فى الأرض وطأته) اى عظم سلطانه حتى كبّ على الناس ، كأنه

عَضَّتِ ٱلْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ ٱلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَامِنَ ٱلْأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا.فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ عَلَىٰ يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ،عُقِدَتْ رَايَاتُ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُعْضِلَة ، وَأَقْبَلْنَ

شئ ثقيل واقع عليهم (عضت الفتنة ابناءها) و المراد بأبناء الفتنة الداخلين فيها ممن وثب على الأمر و خالف سلطته (بأنيابها) جمع ناب ، وهو الضرس المتصلة بالضواحك و انما نسب العض اليها ، لأنها اشد فى الايلام و القطع ، لحدة رأسها .

(و ماجت الحرب) اى اضطربت الحرب فى كل مكان ، كما يموج البحر (بأمواجها) و انما شبه بالموج ، لأن الفتنة تبتدئ صغيرة ثم تكبر و تتوسع ، و هكذا الموج .

(و بدا) اى ظهر (من الأيام كلوحها) اى عبوسها و شدائدها ، من عبس وجهه اذا قبضه اشمئزازا .

(و من الليالى كدوحها) جمع كدح و هو الجرح و اثر الخدش ، و هوكناية عن الشدة (فاذا اينع زرعه) اى نضج و كمل ، و هو كناية عن كمال استيلاء ((الضليل)) .

(و قام على ينعه) اى حالة نضجه بأن استقام الأمر له (و هدرت شقاشقه) الشقشقة هو ما يخرج البعير من الزبد لدى هياجه ، و هدرت اى خرجت، وهذا كناية عن كمال الفتنة و وصولها حال الاهتياج .

(و برقت بوارقه) جمع بارقة و هى البرق ، او السيف لأنه يبرق و التأنيث باعتبار كونه حديدة .

(عقدت رايات الفتن المعضلة) اعضل الأمر اذا اشكل (و اقبلن) تلك

كَاللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ . وَٱلْبَحْرِ ٱلْمُلْتَطِمِ هٰذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ ٱلْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ ٱلْقُرُونُ بِٱلْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ ٱلْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ ٱلْمَحْصُودُ !

الرايات (كالليل المظلم) فى عدم رؤية الانسان وجه الحق لكثرة اضطراب الأمور وتداخل الحق و الباطل ٠

(و البحر الملتطم) الذى يلتطم بعض مائه ببعض و يتداخل امواجه من كثرة الاضطراب و الحركة ٠

(هذا) اى خذ هذا الخبر عن المستقبل ، وقد كان الأمر كما اخبر الامام عليه السلام فان عبد الملك لما سيطر على الأمر بعث الحجاج واليا على العراق فعقد رايات الفتن واخذت عراق تموج بمظالم الحجاج من قتل و نهب و ما اشبه ذلك ، وحارب الخوارج عدة مرّات ، ثم عطف الامام عليه السلام الى الكوفة يخبر عما تكون عليه فى المستقبل بقوله : (وكم يخرق الكوفة من قاصف) من قصف اذا اشتد صوته ، يقال قصفت الريح اذا اشتد صوتها ٠

و المراد ان الكوفة ترى اضطرابات وفتنا (و يمر عليها) اى الكوفة (من عاصف) وهو الريح الشديد ٠ سمى به ، لانه يعصف اى يهب بشدة وقد كان كما قال الامام عليه السلام ، فبعد الامام جاء معاوية ثم المختار ثم مصعب ، ثم عبد الملك ، وهكذا ٠

(وعن قليل تلتف القرون بالقرون) ، لعل المراد قرون اهل الحق من الشيعة بقرون اهل الباطل من اتباع معاوية (ويحصد القائم) فانّ معاوية اخذ يحصد الحكم القائم فى زمان الامام عليه السلام ٠

(و يحطم المحصود) فقد كان معاوية يحطم الشيعة بالقتل و الاسر و حرق

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ ٱلْحِسَابِ وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِياماً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ ،

الدور و ما اشبه ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الخطبة و العلم عند الله وعند اوليائه عليهم السلام ٠

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

((يجرى هذا المجرى)) ـ اى فى ذكر الملاحم و الأخبار المستقبلة

(و ذلك) اى يوم القيامة (يوم يجمع الله فيه الأولين و الآخرين) فـانّ جميع الخلائق يجتمعون فى يوم القيامه (لنقاش الحساب) اى الاستقصاء والدقة فى المحاسبة ، من ناقشه اذا داقه و حاسبه حسابا دقيقا ٠

(و جزاء الأعمال) ليجزى كل انسان بما عمل ان خيرا فخير و ان شرا فشر، فى حال كون النّاس (خضوعا) كأنهم من شدّة خضوعهم قطعة من الخضوع ،نحو ((زيد عدل)) و فى حال كونهم (قياما) جمع قائم ، و هذا دليل الشدة ، اذ الانسان الذى فى الأمن و الرفاه يجلس وقت المحاسبة اما الخائف فهو يقف٠

(قد الجمهم العرق) اى وصل العرق الى افواههم من الكثرة كأنه لجام فى فمهم ٠

وَرَجَفَتْ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً ، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً. ومنه : فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً :

(و رجفت) اى اضطربت (بهم الأرض) كما قال سبحانه ((اذا زلزلت الأرض زلزالها)) .

(فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا) يستقر فيه ، وهذا اما على الحقيقة لبيان ضيق المحشر ، واما على المجاز لبيان الاضطراب ، فان المضطرب لا يدرى اين يقف فهو كمن لا يجد لقدميه موضعا (و لنفسه متسعا) اى مكانا وسيعا لا يتأذى بضيقه .

(و منه) ثم عطف الامام عليه السلام الى ذكر الملاحم ــ بعد ذكر بعض احوال القيامه ــ وكأنه عليه السلام ذكر احوال القيامه تمهيدا ليتخذ الانسان حذره ــ فى الفتن ــ من ذلك اليوم ، فلا يخوض فى الفتنة خوضا بلا مبرّرمشروع (فتن كقطع الليل المظلم) فكما لا يرى الانسان مقصده فى الليل ، كذلك لا يرى الانسان الحق فى الفتنة .

(لا تقوم لها قائمة) اى لا تنجح تلك الفتنة ، ولعل المراد بها فتنة صاحب الزنج الذى زعم انه من آل الرسول ، والتف حوله العبيد ، واخذ يقتل وينهب ويسلب فى البصرة وما والاها ، ولكنها لم تنجح اخيرا ، فقد حاربها الأخيار و الأشرار على حد سواء حتى سقط قتيلا و ذهبت حركته ادراج الرياح .

(ولا تردّ لها راية) اى ان اعلامها لا تردّ وانما تتقدم الى حيث يريد ، و ذلك كناية عن عموم فسادها و توسعها (تأتيكم) هذه الفتنة (مزمومة) تشبيه لها بالناقة المهيئة للركوب التى لها زمام (مرحولة) اى ولها رحل ، وذلك

يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ. وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ،

كناية عن استعدادها التام للافساد (يحفزها) اى يحثها و يحرضها ·

(قائدها) وهو صاحب الزنج ـ على ما ذكر ـ (و يجهدها راكبها) اى ان راكبى تلك الفتنة يجهدونها للتغلب على الأمر ـ و هذا كناية عن شدة بأسهم و اهتمامهم البالغ فى الحركة و الوثوب على البلاد (اهلها) اى اهل تلك الفتنة القائمون باشعالها (قوم شديد كلبهم) اى ضراوتهم و قساوتهم، كالكلب المتهارش (قليل سلبهم) اى ملكهم الذى يستولون عليه او المراد انهم ليسوا من اهل الثروة و المال، و قد كان كذلك فان غالب احزاب صاحب الزنج كانوا من العبيد الاشداء القليلى المال ·

(يجاهدهم فى سبيل الله قوم) كأنّ المراد بهم الاهالى الخيّرون، لا ان القصد حربهم مع الخلفاء (اذلة عند المتكبرين) فان ذوى الدين من اهل البصرة و ما والاها حاربوهم، لما رواؤا فيهم من الانحراف عن الشريعة ـ كما ذكر فى التواريخ ـ وكونهم اذلة، باعتبار ان السلطات الجبارة ـ غالبا ـ لا تهتم بحركات اهل الدين و لا ترى فيها فائدة، اذ ان اعتمادها على رجالها و سلاحها، فلا ترى للدين اهمية و لذويه غنى و فائدة ·

(فى الأرض مجهولون) ليس لهم معروفية اصحاب المناصب و الرتب من اهل السلطان ·

(وفى السماء معروفون) لانهم اخيار ابرار لهم قيمتهم عند الله سبحانه (فويل لك يابصرة عند ذلك) فقد كانت الفتنة فى البصرة و امتدت الى اهواز و

مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ ! لَا رَهَجَ لَهُ، وَلَا حَسٍّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِٱلْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ، وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ !

عبادان و اخيرا قضى عليها الموفق العباسي .

(من جيش من نقم الله) كان الله سبحانه اراد الانتقام من اهل البصرة ، فقد كثر فيها الفساد قبل ظهور صاحب الزنج ، كما هو العادة فى الثورات ، فانها ولائد فساد عام فى السلطة و الاجتماع .

(لا رهج له) اى لا غبار لهذا الجيش ، فانه كانت ثورة داخلية ،لا عساكر و جيوش (ولا حس) اى الجلبة و الاصوات المختلفه التى تتولد من حركة الجيش .

(و سيبتلى أهلك) يا بصرة (بالموت الاحمر) على يد صاحب الزنج ،ففى بعض التواريخ انه قتل ثلاثمائة الف شخص (و الجوع الأغبر) الموجب لتغير الوجه ، كأن عليه غبار ، اذ الجوع يذهب بطلاوة الوجه و نضارته ، فقد فقد الناس فى فتنة صاحب الزنج اقواتهم ، حتى اشتد بهم الجوع ، وقد ذكر ابن ميثم فى الشرح تمام هذه الخطبة و هى طويلة فلتراجع .

وَمِنْ خُطبة لهُ عَلَيهِ السَّلام

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، اُنْظُرُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِفِينَ عَنْهَا ؛ فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ ، وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ ٱلْآمِنَ ؛

وَمِنْ خُطبة لهُ عَلَيهِ السَّلام

في التزهيد في الدنيا

(ايّها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها) و الزهد في الدنيا عبارة عن اتخاذها مقرا دائما و التناول منها كيف ما كان من دون رعاية الحلال و الحرام ، اما التمتع بطيبات الدنيا فان ذلك لا ينافي الزهد قال الله سبحانه : ((قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا)) .

(الصادفين عنها) من صدف بمعنى اعرض (فانها) اى الدنيا (ـ والله ـ عما قليل) ((ما)) زائدة لتأكيد معنى القلة (تزيل) اى تفنى و تهلك (الثاوى) اى الذى اتخذها مثوى و محلا (الساكن) فيها (و تفجع) افجعه الأمر اذا نزل به ما يوجب ذهاب مال او اهل او ما اشبه .

(المترف) الذى له ترف و هو التزيد من التمتع و الاسراف فيه (الآمن)

لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّىٰ مِنهَا فَأَدْبَرَ ، وَلَا يُدْرَىٰ مَـا هُوَ آتٍ مِنهَا فَيُنْتَظَرَ . سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَىٰ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُـوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ،

فى محله و مكانه (لا يرجع ما تولى منها) اى من الدنيا (فادبر) عن الانسان.

(ولا يدرى) اى لا يعلم (ما هو آت منها) اى بماذا يأتى الدنيا بخير او شر (فينتظر) اى حتى ينتظره الانسان (سرورها مشوب بالحزن) فان الانسان لا بد و ان يحزن لجانب من جوانب الدنيا و انكان فرحا بجانب آخر .

(و جلد الرجال) اى قوّتهم و منعتهم (فيها) اى فى الدنيا ، ينتهى (الى الضعف و الوهن) عطف بيان للضعف .

(فلا يغرّنكم كثرة ما يعجبكم فيها) اى اذا حصل لديكم كثرة من النعم الموجبة لرضاكم لا يغرّكم ذلك (لقلة ما يصحبكم منها) من تلك الكثرة ، او من الدنيا ، فان اصطحاب الدنيا للانسان فى مدّة قليلة .

(رحم الله امرءا تفكر) فى امر نفسه و زوال الدنيا (فاعتبر) اى اخذ العبرة ، و هى معرفة حقيقة الدنيا ، و انها دار انقضاء لا دار بقاء (و اعتبر فابصر) فانّ الابصار يأتى بعد الاعتبار .

(فكأن ما هو كائن من الدنيا) و موجود فعلا (عن قليل لم يكن) لأنـه يفنى و الفانى كأنه لم يكن ابدا ، اذ لا اثر له .

(و كأنّ ما هو كائن من الآخرة) مما سيصل الى الانسان (عما قليل لم يزل) اذ يبقى الى الأبد .

وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

ومنها : اَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ ؛

(وكل معدود) اى ما يعد ، وله اخر (منقض) اى ينقضى و يغنى كالدنيا (وكل متوقع) ما يترقب وقوعه ـ كالآخرة ـ (آت) يأتى لا محالة (وكل آت قريب دان) من ((دنى)) بمعنى اقترب ·

(ومنها) (العالم من عرف قدره) بأن علم بأن له قيمة و وزنا ، وانه يتمكن ان يحصل على اعالى الدرجات بسبب العمل الصالح ·

(وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره) لأن هذا اعظم انواع الجهالة ، و انكان عالما فى جميع العلوم ·

(وان من ابغض الرجال الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه) بأن لم يلطف به الالطاف الخفية ، لتركه طريق الهدى ، ومثله مثل انسان له ولدان اعطى واحد منهما الف دينار ليتجر به فاتجر احدهما و ربح فاحبه الوالد و زاد له فى الاعطاء و الاكرام ، وقامر الآخر فخسر فتركه الوالد و شأنه لا يأبه به و لا يعطيه بعد ذلك شيئا ، فانه سبحانه اعطى الانسان القوة و العقل فان صرفهما فى سبيل الخير زاده هدى و تقوى و ان صرفهما فى الشر تركه و ما يعمل حتى يوصله الى آخر درك فى الهاوية ·

فى حال كون ذلك العبد (جائرا) اى مائلا (عن قصد السبيل) اى وسط طريق الهدى (سائرا بغير دليل) فلا يتبع الأنبياء و الأئمة فى سيره فى الحياة ·

إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَىٰ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ !

ومنها : وَذٰلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ ، « إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولٰئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ . »

(ان دعى الى حرث الدنيا) اى زرعها و ما يوجب انمائها (عمل) طلبا للدنيا (وان دعى الى حرث الآخرة) و ما يوجب الفوز بها من الأعمال الصالحة (كسل) و وهن لعدم رغبة له فيها (كأن ما عمل له) من امور الدنيا (واجب عليه) حتى اذا لم يعمله عوقب (وكان ما ونى) وكسل (فيه) من عمل الآخرة (ساقط عنه) مع انّ الأمر بالعكس .

(ومنها) (و ذلك) اى آخر الزمان (زمان لا ينجو فيه) اى من شره (الا كل مؤمن نومة) اى كثير النوم ، و ذلك كناية عن عدم مشاركة الأشرار ، كالانسان النائم الذى لا يشارك الناس فى اعمالهم (ان شهد) اى حضر فى مجتمع الناس (لم يعرف) اى لا يعرفه الناس لعدم اختلاطه بهم .

(وان غاب لم يفتقد) اى لم يسأل عن احواله احد لعدم صداقتهم معه ، و هكذا يكون الأخيار عند غلبة الاشرار ، لأنهم يقطعون عنهم بعد رؤيتهم عدم فائدة النصح فيهم ، وهذا لا ينافى وجوب التصدى لأحكام الاسلام الموجب للشهرة و العزّ ، فان لكل واحد من الأمرين ظرفا خاصا ، بل ينبغى للمؤمن ان يتصدى لأن يكون اماما للمتقين كما قال سبحانه : ((واجعلنا للمتقين اماما)) .

(اولئك) الموصوفون بتلك الأوصاف (مصابيح الهدى) فكما يوجب المصباح هداية الناس الى حوائجهم فى الظلمة ، كذلك هؤلاء ادلة الناس الى الحق فى ظلمة الجهل و الاثم .

وَأَعْلَامُ السُّرَىٰ لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ ، وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّـاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ ، كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَافِيهِ أَيُّهَاالنَّاسُ ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ .

(واعلام السرّى) هو السير ليلا ، شبه به السير فى ظلمة الكفر والعصيان فانهم اعلام و ادلة لمن يريد الاستنارة و الهداية فى ظلمات الجهل و الباطل ٠

(ليسوا بالمسابيح) جمع مسياح و هو الذى يسير فى الناس بالفساد (ولا المذاييع) جمع مذياع و هو من يذيع الفاحشة (البذر) جمع بذور و هو كثير السفه (اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته) فى الدنيا بالسلامة ، وفى الآخرة بالجنة ٠

(و يكشف عنهم ضراء نقمته) فلا تنزل عليهم نقمته سبحانه اذا نزلت بالاشرار بل ينصرف عنهم ضر النقم و اذاه ٠

(ايّها الناس سيأتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام) اى يترك الاسلام فلا يعمل به (كما يكفأ الاناء بما فيه) فكما ان الانسان اذا كفئ جعل اعلاماسفله ، كذلك يقلّب الاسلام ــ و هو مجاز عن انقلاب اهل الاسلام ــ و هذا كزماننا حيث ان الاسلام لا يعمل به الا فى مجال بعض العبادات ٠

(ايّها الناس انّ الله قد اعاذكم) اى امنكم (من ان يجور عليكم) فانه سبحانه لا يظلم احدا (و لم يعذكم من ان يبتليكم) اى يمتحنكم فانه سبحانه يمتحن كل احد ، فاللازم ان يخاف الانسان من الفشل فى الامتحان ، و يأخذ عدته و يعمل صالحا لينجح لدى الامتحان ٠

وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» .

قال السيد الشريف الرضي : أما قوله عليه السلام : «كلّ مؤمِنٍ نُوَمَة» فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، والمساييح : جمع مِسياح ، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع : جمع مِذْياع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها، ونوّه بها ، والبُذُرُ : جمع بَذُور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد تقدم مختارها ، بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً ،

(وقد قال جل من قائل) : ((ان فى ذلك لآيات و ان كنا لمبتلين)) ((ان)) مخففة من الثقيلة و الابتلاء بمعنى الامتحان .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(وقد تقدم مختارهاب) شكل(خلاف هذه الرواية)

(اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد و الصلاة ، ثم خفف الى لفظة ((اما بعد)) (فان الله سبحانه بعث محمّدا صلى الله عليه و آلـه و) الحال انه (ليس احد من العرب يقرأ كتابا) سماويا قرائة صحيحة ، فان الكتب السابقة قد حرفت و بدّلت فما كان منها فى ايدى الناس كانت محرفة باطلة .

(ولا يدعى نبوة ولا وحيا) اليه من جانبه سبحانه ، و مراد الامام عليه السلام بهذه الجملة بيان حالتهم فى الضلالة و الجهالة ، فان خبر السماء اما ان

فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ. فَاسْتَدَارَتْ

يصل بواسطة الوصى و النبى ، و اما بواسطة الكتاب الصحيح و كلاهما كان مفقودا فى زمان بعثة الرسول (ص) (فقاتل) صلى الله عليه و آله (بمن اطاعه) اى بسبب المؤمنين (من عصاه) من الكافرين ·

(يسوقهم) اى الناس (الى منجاتهم) مصدر ميمى اى الى نجاتهم (و يبادر بهم الساعة ان تنزل بهم) اى يعجّل بهم السير حتى يؤمنوا و يعملوا صالحا، حتى لا يفاجئهم الموت قبل التنزيه و التزكية ، فكأنه صلى الله عليه و آله و الساعة يبادر كل منهما لاختطاف الناس ·

(يحسر الحسير) اى يكمل الذى يكل عن العمل للآخرة ، من حسر فلان اذا اعيى و كل (و يقف الكسير) اى المكسور بعض اعضائه (فيقيم) صلى الله عليه و آله (عليه) اى على كل واحد منهما (حتى يلحقه غايته) التى هى الايمان والعمل الصالح ، و المعنى ان من ضعف ايمانه او فسد عمله فتراخى فى السير فى سبيل المؤمنين للوصول للسعادة و النجاة فان النبى صلى الله عليه و آله كان يقيم عليه و ينتظره و يعالج مرضه حتى يوصله بقافلة المؤمنين ، تشبيها بقائد القافلة الذى يلاحظ الضعفاء واهل المرض لئلا يبقوا فى الطريق ، و يكونوا عرضة الهلاك (الا هالكا لا خير فيه) فمن دعاه صلى الله عليه و آله و سلم فلم تنفع فيه الدعوة و عاند و اصرّ فانه يتركه و شأنه ، و تسمية هالكا على نحو المجاز بالمشارفة ·

(حتى اراهم) صلى الله عليه و آله و سلم (منجاتهم) مصدر ميمى اى نجاتهم (و بوأهم) اى احلهم (محلتهم) اى المحل اللائق بهم (فاستدارت

رَحَاهُمْ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَٱيْمُ ٱللهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَٱسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا؛ مَا ضَعُفْتُ، وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ، وَٱيْمُ ٱللهِ، لَأَبْقُرَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قال السيد الشريف الرضي : وقد تقدم مختار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان ، فأوجبت الحال إثباتها ثانية .

رحاهم) كناية عن حسن احوالهم ، فان دوران الرحى يوجب الطحن الموجب لرفاه الانسان فى مأكله وطعامه (واستقامت قناتهم) هى الرمح ، فاذا كان معوّجا لم يتمكن المحارب من الغلبة ، اما اذا استقام تمكن من الغلبة على عدوّه .

(وايم الله) قسم بالله سبحانه (لقد كنت من ساقتها) اى ساقة جيش الكفر ، يعنى كنت فى آخرها اضربها وافتك فيها ، وكونه فى الساقة كناية عن مطاردها بأجمعها ، لا مطاردة جانب خاص فقط (حتى تولت) اى الجيش ، والتأنيث باعتبار الجماعة ، او الكتيبة ، اوما اشبه ، ومعنى تولت ((انهزمت)) (بحذافيرها) اى بأجمعها (واستوسقت) اى اجتمعت (فى قيادها) اى قياد الرسول صلى الله عليه وآله لها بمعنى اطاعة العرب للرسول صلى الله عليه وآله فى ما يأمر وينهى .

(ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت) فلم يكن لى نكوص عن الجهاد فى سبيل الاسلام بسبب ضعف فى البدن ، اوضعف فى النفس ، اوضعف فى الايمان ، فان الجبن من ضعف النفس ، والخيانة من ضعف الايمان (ولا وهنت) الوهن اعم من الضعف ، فان الانسان قد يتكاسل عن امر وان لم يكن ضعيفا فى بدنه وقوته .

(وايم الله لأبقرنّ) اى اشقّن (الباطل) كأنه غلاف على الحق ، فاذا شق ظهر الحق (حتى اخرج الحق من خاصرته) اى جانبه ، يعنى انا فى هذا الحال كما كنت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا اهتم بالباطل الملتف

وَمِنْ خُطبة لهُ عَلَيه السَّلام

حَتَّىٰ بَعَثَ ٱللَّهُ مُحَمَّداً ، صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيداً ، وَبَشِيراً ، وَنَذِيراً ، خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً ، وَأَطْهَرَ ٱلْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً ،

على الحق ، كما لم اكن اهتم بالباطل المحارب مع الحق ·

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَلَيهِ السَّلام

فيها صفات الرسول صلى الله عليه وآله وتهديد بنى امية ، وموعظة الناس

(حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله) اى كانت الأحوال مظلمة حتى بعث صلى الله عليه وآله (شهيدا) يشهد على النّاس بما عملوا (وبشيرا) يبشر من امن واطاع بالثواب (ونذيرا) ينذر من خالف بالعقاب ، فى حال كونه صلى الله عليه وآله (خير البرية طفلا) اذ كان صادقا امينا طاهر المولد ، كريم الأصل (وانجبها كهلا) اى اكثرها نجابة فى حال تقادم السن لم يقترف اثما او باطلا او ما يخالف العفاف ــ كما كان الشأن لدى كهول الجاهلية ــ ·

(واطهر المطهرين شيمة) الشيمة الخلق ، اى انه صلى الله عليه وآله وسلم كان متحليا بطهارة الاخلاق ، وعدم دنسه بالرذائل

وَأَجْوَدَ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً.

فَمَا ٱحْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا،

(و اجود المستمطرين ديمة) المستمطر السحاب الذى يطلب منه المطر ، و ((ديمة)) بمعنى السحاب ، اى انه صلى الله عليه و آله كان اجود الناس فى الاعطاء لمن طلب منه العون و العطاء ، قالوا : الديمة المطر الذى لا رعد فيه ولا برق ، فهو افضل انواع السحاب ـ لأنه يشبه المتواضع فى مطره ـ و لعل الاتيان بهذه اللفظة للدلالة على اعطاء الرسول و فيضه بلا منّ اواذى او جلبة .

(فما احلولت لكم) يا بنى امية (الدنيا) بأن صارت لكم حلوا ، من زمان عثمان (فى لذّتها و لا تمكنتم من رضاع اخلافها) جمع خلف بالكسر حلمة ضرع الناقة ، اى ما تمكنتم من درّ لذات الدنيا و جمع مشتهياتها .

(الا من بعد ما صادفتموها) اى الدنيا (جائلا خطامها) تشبيه للدنيا بالناقة التى لا راكب لها فهى تحول الحبل الذى يوضع فى انفها كالزمام لتقاد به (قلقا وضينها) الوضين حزام الناقة الذى يشد تحت بطنها لبقاء السرج عليها حتى لا يتأذى الراكب ، و لا يقلق من ركوبها ، يعنى ان الدنيا كانت قلق الوضين لا صاحب لها يسوّى سرجها .

و الحاصل انكم لم تحصلوا على الدنيا بالاتعاب و الجهد ـ كما فعل الرسول صلى الله عليه و آله ـ و انما حصلتم عليها حين لا داعى لها ، و هى مستعدة لالقاء زمامها بكل ايدى ، فقد كان عثمان هكذا غير مبال بالأمر يتسلطوا عليه كل حيّال انتهازى .

قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَاللهِ، ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ؛ وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ. وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ،

(قد صار حرامها) اى حرام الدنيا (عند اقوام) كعثمان وحاشيته (بمنزلة السدر المخضود) السدر هو النبق ، والمخضود المقطوع الشوك ، ومنشى الاغصان من ثقل الجمل لكثرة الثمرة ، والمراد كثرة لذتها ، يعنى انه قد اختلط الحرام بالحلال ، وصار الحرام شيئا سائغا شهيا لديهم ، فان الركوب على الدنيا فى هذا الحال ايسر لأن الجائى يتمكن من نيل اللذة كيفما كانت ، بخلاف ما لو كان الحرام محظورا فان الوصول الى اللذة المحللة شئ صعب ٠

(وحلالها بعيدا غير موجود) اى ليس بموجود فى قربكم ، لا انه ليس بموجود اطلاقا (وصادفتموها) اى وجدتموا الدنيا ٠

(ــ والله ــ ظلاً ممدودا) يتهنّى المتفىّ فيه ، وذلك كناية عن لذتها وسعتها (الى اجل معدود) اى مدة قد عدّت تعدادا ، فلا بقاء لها ــ وهذا لبيان واقع حال الدنيا ، لا من تتمة المطلب ــ ٠

(فالأرض لكم شاغرة) اى فارغة ، قد شغرت وخلت عن القائد المحامى (وايديكم فيها) اى فى الدنيا ، او فى الأرض (مبسوطة) قد وسع عليكم عثمان بما تشتهون بلا حساب ولا عقاب (وايدى القادة) جمع قائد (عنكم مكفوفة) مقبوضة ، فان عثمان قد منع الناس العلماء كالامام ، وابى ذر وامثالهما من وضع حدّ لاستهتار بنى امية ٠

(وسيوفكم عليهم) اى على القادة (مسلطة) بمعنى انه كانت لكم السلطة

وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً. وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ !

بما منحكم الخليفة فالقادة بالحق اتباع و انتم امرائهم ·

(و سيوفهم) اى القادة (عنكم مقبوضة) لا تتمكن من ايقافكم على حدكم و منعكم عن الاستهتار و الالتذاذ بكل ما تشتهون من الحرام و الفساد ·

ثم اشار عليه السلام الى تهديد بنى امية بعقاب الله تعالى (الا ان لكل دم) يراق بغير حق (ثائرا) يثور للانتقام ممن اراق الدم (و لكل حق) مضاع (طالبا) يطلبه ممن قد اضاعه ·

(و ان الثائر فى دمائنا) التى ارتقتموها يا بنى امية ، يوم صفين و الجمل و نهروان (كالحاكم فى حق نفسه) فان دمائنا حق للثائر الذى هو الله سبحانه ، و هذا لبيان انه تعالى لا يسامح فى الطلب و العقاب ، لأنه حكم فى حق هو له سبحانه ، اذ الامام و اصحابه كانوا منفذين لأمره تعالى (و هو) اى الثائر (الله الذى لا يعجزه من طلب) اى لا يتمكن مطلوبه من تعجيزه بالفرار او الاعتصام بالقوّة ، حتى لا يتمكن سبحانه من الانتقام منه وجزائه بالعقاب و الادانة (و لا يفوته من هرب) اذ لا يمكن الهروب منه تعالى ·

(فاقسم بالله ، يا بنى امية عما قليل) ((ما)) زائدة ، لتأكيد التقليل (لتعرفنّها) اى الدنيا (فى ايدى غيركم) كما صارت لبنى عباس وغيرهم (و فى دار عدوكم) اى ان السلطة تكون فى دار اعدائكم الذين هم ((المختار)) و ((المصعب)) و ((آل عباس)) و ((العلويون)) و من اشبههم ·

أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ! أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى ٱلتَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ!

أَيُّهَا النَّاسُ، ٱسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَٱمْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ ٱلْكَدَرِ.

عِبَادَ ٱللهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا ٱلْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ،

(الا و ان ابصر الأبصار) اى اشد الأبصار رؤية (ما نفذ فى الخير طرفه) فكأنّه شعاع يخرج من العين فاذا نفذ طرف الشعاع فى الخير ، كان شديد الابصار و اذا نفذ فى الشر ــ بأن نظر البصير الى الشر و اراده ــ كان البصر ضعيفا كليلا ، و هذا تحريض على ان يصرف الانسان نظره فى الخير و الحق ، لا فى الباطل و الشر (الا ان اسمع الاسماع) اى اشد الاسماع سمعا (ما وعى التذكير) اى احتوى على التذكير (وقبله) بأن عمل به •

(أيّها النّاس) ثم نحى عليه السلام نحو وعظ النّاس و ارشادهم (استصبحوا) اى اطلبوا المصباح و الضياء (من شعلة مصباح واعظ متعظ) اى يعمل هو بوعظه ، فان الاطمينان انما يكون بمثل هذا الواعظ حتى يتبين من عمله انه متأثر بما يقول (وامتاحوا) اى استقوا الماء ، يقال امتاح اذا استقى (من صفو عين) اى الماء الصافى النابع من عين (قد روقت) اى صفت ، من راق (من الكدر) و المراد استقاء الحلم من نفسه الكريمة عليه السلام •

يا (عباد الله لا تركنوا) اى لا تعتمدوا (الى جهالتكم) بأن لا تحصلوا على العلم و انما تسيروا فى جهالتكم (ولا تنقادوا لأهوائكم) تسيّركم حيث تشاء (فانّ النّازل بهذا المنزل) اى المعتمد على هواه (نازل بشفا جرف هار)

يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ ! فَاللّٰهَ اللّٰهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ ،

((شفا)) طرف الوادی ، و ((جرف)) المحل الذی یجرفه السیل وما اشبه و یسقطه و ((هار)) اصله ((هاری)) بمعنی المتهدم او المشرف علی الانهدام ، ای ان المتکل علی هواه فی محلّ السقوط و الانهیار (ینقل الردی) ای الهلکة (علی ظهره من موضع الی موضع) هذا کنایة عن کونه موجبا لأضلال الناس ، لأنه ینقل الجهالة الی المستشیر ، فهو هالك و ینقل الهلاك الی غیره ٠

(لرأی یحدثه بعد رأی یرید ان یلصق ما لا یلتصق) الظاهر ان ((اللام)) متعلق ب ((یرید)) ای ان هذا الجاهل المعتمد علی هواه یرید ـ بسبب ارائه التی یحدثها مرة و مرة ـ ان یلصق الأشیاء و یجمع بین شتاتها ، فان الجهّال لا یعلمون الأسباب و النّتائج ، و انّما یجمعون بین جهالات لا لصاقها ، و حیث لا قدر لهم فی العلم لهم کل یوم رأی فی التوجیه ٠

مثلا من یری الکون و لا علم له بالواقع تارة یقول انه خلیق الصدفة ، و اخری یقول تجمع السدم ، و ثالثة یقول انه من الاثیر ، و هکذا ، والحق فی خلاف ذلك كله ٠

(و یقرب ما لا یتقارب) ای یجعل بعض الأشیاء قریبا الی بعضها الآخر و مرتبطا به ، بینما لا تقارب بینهما ، کما قرب ((دارون)) بین الانسان والقرد ٠

(فاللّٰه اللّٰه) منصوب بفعل مقدر ای اذکروا اللّٰه ، او خافوا الله (ان تشکوا الی من لا یشکی شجوکم) الشجو الهمّ و الحاجة ، و الاشکاء ، ازالة شکوی المشتکی ، ای لا ترفعوا الشکوی الی من لا یزیل همکم و شکواکم ، و هذا لبیان

وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا .

ان لا يأخذوا الحلول فى المشاكل من غيره عليه السلام ، لأنه شكاية الى من لايحل المشكلة و لا يزيل الهم .

(و) الى من (لا ينقض برأيه ما قد ابرم لكم) ((ابرم لكم)) اى المشكلة التى وقعتم فيها كأنها مبرمة مفتوله ، تحتاج الى النقض و الفلّ حتى تنجوا منها ، فلا تشكوا الى من لا يتمكّن من نقض هذه المشكلة ، فلا يقدر ان ينقض برأيه ـ ما قد أبرم و اشكل ، ثم بين عليه السلام دفع ما ربما يتوهم من انه لا يتدخل فى بعض الأمور فكيف يأمر بالارجاع اليه وحده ، وذلك لبيان ان المقصود من الارجاع الى نفسه فى هذه الأمور التى يذكرها ، لا سائر الشئون .

(انه ليس على الامام الا ما حمل من أمر ربه) اى اداء الرسالة التى حمّلها الله سبحانه على لسان نبيّه ، ثم بين ذلك بقوله (الابلاغ فى الموعظة) بأن يبلّغ الناس الموعظة النافعة لهم .

(والاجتهاد فى النصيحة) بأن يتعب نفسه فى نصح الناس وارشادهم (و الاحياء للسنّة) اى طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(واقامة الحدود على مستحقيها) ممن قد ارتكب اثما او جريمة .

(واصدار السهمان) جمع سهم ، بمعنى النصيب من الحقوق المالية (على اهلها) المستحقّين ، ففى هذه الأمور يراجع الامام ولا يرجع الى غيره اما سائر الأمور فليس من مهمة الامام ، فانه ليس على الامام الا ما حمل ، و الاعتراض على الناس انما هو : لماذا ترجعون الى غير الامام فى هذه الأمور ؟ ولا يخفى

فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي !

ان هذه الخمسة شاملة لكل شئون الدنيا والدين ، بضرب من التعميم ، كشمول ((اصدار السهمان)) للمصالح العامة حتى مثل تبليط الشوارع لأن اهل المدينة يستحقّون ذلك ، وهكذا .

(فبادروا العلم) اى اسرعوا فى اخذ العلم من الامام (قبل تصويح) اى جفاف (نبته) بموت صاحب العلم .

(ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم) المستثار مصدر ميمى اى اثارة العلم ، من آثاره ، بمعنى اظهر ، فكأنّ العلم فى العالم مخفى ، يتمكن الانسان من اثارته واظهاره بالسوءال (من عند اهله) والمراد به نفسه الزكية .

(وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه) اى انتهوا بأنفسكم عنه (فانما امرتم بالنهى بعد التناهى) فان النهى عن الشئ انما يؤثر بعد ان يتناهى الانسان ـ بنفسه ـ عن ذلك الشئ قال سبحانه : ((لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)) وقال : ((قوا انفسكم ، واهليكم ، نارا)) فقدم حفظ النفس ـ على حفظ الأهل قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك اذا فعلت ، شديد

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيها فضل الاسلام، وفضائل الرسول، ولوم اصحابه

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَىٰ مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيها فضل الاسلام، و فضائل الرسول، ولوم اصحابه

(الحمد لله الذى شرع الاسلام) اى نهجه و جعله دستورا للحياة (فسهّل شرائعه لمن ورده) حيث رفع العسر و الحرج فضلا منه و منّة ، ولم يشرّع الأحكام الضررية ، الا فى مواضع الضرورة ــ مما خيره اعم ــ كالجهاد و ما اشبه ٠

(و اعز اركانه) اى جعل اركان الاسلام عزيزة (على من غالبه) اى من غالب الاسلام ، و اراد دحضه ، فان احكام الاسلام من القوة و العصمة بحيث لا يتمكن احد من نقضه او دحضه ، او المراد بأركان الاسلام ، حكومته ، يعنى ان الحكومة الاسلامية لا تغالب ٠

(فجعله) اى الاسلام (امنا) اى محل امان و اطمينان (لمن علقه) اى تعلق به (و سلما لمن دخله) فان الداخل فى الاسلام يسعد و يسلم من شرور الدنيا و الآخرة ــ و هذا حكم طبيعى فلا ينافى ذلك عدم انطباق الكليات المذكورة على بعض الافراد ، كما ان قول الطبيب العقار الكذائى مقوّ، طبعى لا

وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ،

ينافيه عدم التقوية فى بعض الامزجة .

(و برهانا) اى حجة (لمن تكلم به) اى من حاجّ بالاسلام غلب على خصمه .

(و شاهدا لمن خاصم به) فان المسلم اذا خاصم احدا فى امر ، و اتى من الاسلام دليلا على وجهة نظره ، صار شاهدا له ، لقوة احكامه و تطابقها للواقع .

(و نورا لمن استضاء به) فمن يريد الضياء للخروج عن ظلمة الجهل ، كان الاسلام مرشدا له الى الخير و الصلاح .

(و فهما لمن عقل) اى موجبا لدرك الأشياء و فهمها على حقيقتها لمن أراد التعقّل و الفهم ، لأن الاسلام بيّن الخطوط العامة للكون و الحياة .

(و لبا) اى عقلا (لمن تدبّر) فكما ان بالعقل يفهم الانسان الأشياء ، كذلك بالاسلام يفهم الحقائق فهو كاللّب فى كونه آلة الادراك .

(و آية) اى دليلا (لمن توسم) اى تفرس و المتوسم هو الذى يدرك الخفايا بالأدلة و العلامة ، و هكذا الاسلام ، فان الانسان يعلم الأمور المستقبلة بواسطة الاسلام .

(و تبصرة لمن عزم) اى من عزم امرا ، و لم يعلم النتيجة كان الاسلام مبصرا له ، لأن الاسلام يرى النتائج المترتبة على المقدمات .

(وعبرة لمن اتعظ) اى من اراد الاتعاظ ، فان الاسلام بما بين من القصص و التواريخ يكون عبرة له .

(و نجاة) عن مشاكل الدنيا و الآخرة (لمن صدّق) بالاسلام بأن يكون عمله

وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ، مُشْرَفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ،

موافقا له .

(و ثقه لمن توكل) على الاسلام ، اى انّ من فوض اموره على الاسلام بأن جعله منهاجه فى الحياة كان الاسلام ثقة له لا يخونه ، و لا يسلّمه الى المعاطب و المهالك .

(و راحة لمن فوض) امره الى الاسلام ، لأنه يعلم ان كلشئ يصيبه ففيه الخير فهو فى راحة و اطمينان .

(و جنّة) اى وقاية (لمن صبر) فانّ الصابر ــ حسب امر الاسلام ــ يقى نفسه من المهالك (فهو) اى الاسلام (ابلج) اوضح (المناهج) جمع منهاج و هو الطريق كأنّ الطرق الى الحياة السّعيدة فى الدنيا و الآخرة كثيرة اوضحها و انورها الاسلام .

(و اوضح الولائج) جمع وليجه ، و هى ما يلج و يدخل فيه الانسان لحفظه عن الاخطار (مشرف المنار) المشرف هو المكان الذى يرتفع عليه الانسان ليطلع على ما ورائه ، و المنار محل الانارة لاضائة الطريق اى ان مناره مرتفع ، فاذا استضاء الانسان به رأى الى آخر الطريق .

(مشرق الجوادّ) جمع جادة و هى الطريق الواضح ، اى ان طريق الاسلام ظاهر ، من اشرق اذا ظهر و استبان و انار (مضئ المصابيح) فان مصابيح الاسلام و هن احكامه تضئ و تنير طريق السعادة لمن طلبها .

(كريم المضمار) المضمار محل تضمير الخيل للسباق ، و معنى كونه كريما ان

رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ ، جَامِعُ ٱلْحَلْبَةِ ، مُتَنَافِسُ ٱلسُّبْقَةِ ، شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ . التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَٱلصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَٱلْمَوْتُ غَايَتُهُ ، وَٱلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ . وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ .

الانسان اذا اضمر خيله هناك ، سبق عند المسابقة ، وهذا كناية عن ان الذى يربى فى الاسلام نفسه يسبق الآخرين فى نيل السعادة .

(رفيع الغاية) فان غايته سعادة الدنيا و الآخرة ، وهذه ارفع الغايات و اسماها (جامع الحلبة) الحلبة خيل تجمع من كل مكان للانتصار كأنها الحليب الذى يجمع من جسد الحيوان عند الدر ، والمراد بكون الاسلام جامع الحلبة انه يجمع جميع فنون السعادة لانتصار الانسان على المشاكل و انواع الشقاء .

(متنافس السبقة) السبقة العوض الذى يعين للسابق فى ميادين التغالب بالخيل و شبهها ، و الاسلام يتنافس و يزاحم الناس بعضهم بعضا فى النيل لسبقته التى هى الجنة ، لأنها انفس الاشياء التى يستبق الناس لأجلها .

(شريف الفرسان) اى ان الداخلين فى الاسلام الذين يتسابقون شرفاء لأنهم انما تسابقوا فى اشرف شئ . (التصديق) لله و الرسول والائمة (منهاجه) اى طريق الاسلام .

(والصالحات مناره) اى الشئ ينير الطريق الى السعادة ـ ليس مصباحا و انما ـ الصالحات ، فانها تنير طريق الحق (والموت غايته) اى ان الاسلام لا ينتهى الا بالموت ، و الا فاللازم على المسلم ان يعمل باستمرار حتى يموت .

(والدنيا مضماره) فاللازم ان يعمل الانسان ما دام فى الدنيا ، لا مثل مضمار الخيل ، الذى هو ايام قلائل .

(والقيامة حلبته) اى محل الحصول على السبقة (والجنة سبقته) اى جزاء

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً .

السابقين العاملين بالاسلام ، ومن المحتمل ان تكون هذه الجمل تفسيرا للجمل السابقة ، لا جملا مستأنفا ـ على نحو ما فسّرناه ـ .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

(حتى اورى) اى اوقد (قبسا) اى شعلة من النور (لقابس) الذى يريد الاقتباس والمعنى ان الرسول صلى الله عليه وآله اظهر الأحكام النيّرة ، التى هى شعلة من النور فى طريق الحق ، لطلاب الحق والسعادة .

(وانار علما) اى وضع له نارا فى رأس علم ـ اى الجبل ـ (لحابس) هو الذى حبس ناقته حيرة لا يدرى اين الطريق ، فقد كانت العرب تضع النيران فى رؤس الجبال للاشارة الى الطريق ـ فى الليل ـ ليستنير بها المتحيرون من القوافل وغيرهم ، وهذا تشبيه لحال الرسول صلى الله عليه وآله ، وحال المتحيّرين فى بيداء الجهل والضلال (فهو) اى الرسول صلى الله عليه وآله .

(امينك المأمون) لا يخونك اذا ائتمنته وقلدته دينك ومنهاجك ، اى اتبعته فى اوامره وزواجره .

(وشهيدك يوم الدين) الدين بمعنى الجزاء ، ويوم الدين هو يوم القيامة ، فان الرسول صلى الله عليه وآله يشهد لمن عمل بما عمل ، كما قال سبحانه : ((ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .

(وبعيثك) اى المبعوث لك (نعمة) اى انعاما من الله سبحانه على البشر (ورسولك) اى المرسل اليك ، ارسالا (بالحق) لا بالباطل (رحمة)

اَللَّهُمَّ اَقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ ، وَاَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اَللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَىٰ بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَآتِهِ اَلْوَسِيلَةَ ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَاَلْفَضِيلَةَ ، وَاَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا ، وَلَا نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ ،

اى ترحّما و تفضّلا من الله على النّاس ·

(اللّهم اقسم له) اى الرّسول (مقسما) اى نصيبا (من عدلك) و هـذا دعاء لاعطائه سبحانه للرسول ما يستحق فى مقابل اعماله ·

(واجزه مضاعفات الخير) اى الخير المضاعف (من فضلك) واحسانـك زيادة على العدل و الاستحقاق ·

(اللهم اعل على بناء البانين بناءه) كناية عن ارتفاع دينه حتى يكون ارفـع الأديان ، كما قال سبحانه : ((ليظهره على الدين كلّه)) ·

(واكرم لديك) المراد القرب معنا لا حسّا ـ لاستحالته فى حقه سبحانـه ـ (نزله) هو ما يهيّئ للضيـف من مأكل و ما اشبه لراحته و معنى اكرامهمايوجب تكريمه و تفضيله ·

(و شرف عندك منزلته) بأن تكون له منزلة شريفة رفيعة (وآته) اى اعطه (الوسيلة) اى السبب الذى يوصله الى ما يشاء (واعطه السناء) الرفعـة و النور (والفضيلة) بأن يكون له فضل وزيادة على من عداه ·

(واحشرنا) اى اجمعنا من حشر بمعنى جمع (فى زمرته) اى فى جماعتـه صلى الله عليه وآله الخاصين به (غير خزايا) جمع خزيان ، من خزى اذا ارتكب شيئا يوجب الخجل و القباحة (ولا نادمين) بأن لا تخذلنا حتى نعمل اعمـالا توجب الخزى والندم ـ فى الآخرة ـ (ولا ناكبين) نكب الطريق اذا عـدل

وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ .

قال الشريف : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف .

وَمِنهَا فِى خِطَابِ أَصْحَابِهِ

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ،

عنه ، اى لا نكون عادلين عن طريق الحق .

(ولا ناكثين) نكث العهد اذا نقضه ولم يف به (ولا ضالين) قد انحرفنا عن الطريق وضللنا (ولا مضلّين) اضللنا الناس (ولا مفتونين) قد فتنتنا الدنيا بزخارفها ، فغررنا بها .

((اقول ولعل الامام ذكرهما فى مناسبتين))

وَمِنهَا فِى خِطَابِ أَصْحَابِهِ

(وقد بلغتم) ايها المسلمون (من كرامة الله لكم) حيث اكرمكم بالاسلام (منزلة تكرم بها) اى بسبب تلك الكرامة (اماؤكم) بعد ما كان السادة ــ فى زمن الجاهليّة فى خوف و اهانة ــ (و توصل بها جيرانكم) اى يتفقد الانسان جاره ، وكل ذلك لأمر الاسلام و تربيته الناس على ذلك .

(و يعظمكم من لا فضل لكم عليه) فانّ الكفّار كانوا يعظمون المسلمين لما رأو فيهم من الرفعة و السمو ، بدون ان يكون سبب ذلك فضلا من المسلمين عليهم (و لا يد) اى لا نعمة (لكم عنده) وانما قيل للنعمة ((يد)) لأنها آلة اعطائها

وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ ،

ـ غالبا ـ .

(ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة) اى بطشا وعقابا ، فان الانسان يحترم العالم ويهابه وان لم يخف بطشه وعذابه ، وقد كان الكفّار يهابون المسلمين بمثل هذه الهيبة (ولا لكم عليه امرة) اى امارة وسلطة (وقد ترون عهود اللّه منقوضة) قد نقضها الكفّار ، لعدم دخولهم فى الاسلام ، او نقضها أصحاب معاوية (فلا تغضبون) ولا تنهون عن المنكر (وانتم لنقض ذمم) جمع ذمة وهى العهد ـ (آبائكم تأنفون) اى تترفعون انفسكم من ان ترى ذمة آبائكم منقوضة فتنهون عن ذلك وتخاصمون الناقض .

(وكانت امور اللّه عليكم ترد) فالنّاس يسألون منكم عن الأحكام (وعنكم تصدر) فأنتم تجيبون عنها (واليكم ترجع) فى موارد اختلاف النّاس فى حكم من احكام اللّه (فمكّنتم الظلمة) جمع ظالم وهو الذى لا يعمل بأحكام اللّه تعالى (من منزلتكم) بأن تركتم منزلتكم حتى استولى عليها الظّالمون (والقيتم اليهم) اى الى الظلمة .

(ازمتكم) جمع زمام وهو ما يقاد به الدابة ، يعنى انكم بعد ان كنتم تأخذون بقياد النّاس اخذ الناس بقيادكم ، وهذا مما يؤيّد كون الكلام فى مقابل معاويه واصحابه ـ لا الكفّار ـ .

وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ!

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

فى بعض ايام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ،

(و اسلمتم امور الله فى ايديهم) بعد ما كانت فى ايديكم (يعملون فى الشّبهات) بدون ان يروا وجه الحق فيتبعوه (و يسيرون فى الشّهوات) يعملون حسب لذّاتهم و شهواتهم لا حسب أوامر الله .

(و أيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب) بأن باعدوا بينكم بهذا المقدار من البعد للخلاص منكم . (لجمعكم الله لشرّ يوم لهم) اى لقهرهم و الانتقام منهم، كما فعل سبحانه فى قصة ((المختار)) و ((التوابين)) وما اشبه ، وهذا الكلام تقوية للشّيعة فى القيام بأخذ حقّهم .

وَمِن خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

فى بعض أيام صفّين

(و قد رأيت جولتكم) معاشر أصحابى اى جولانكم و حركتكم فى الحرب (و انحيازكم) اى تقهقركم و ابتعادكم (عن صفوفكم) خوفا من عسكر الشام (تحوزكم) اى تشتمل عليكم (الجفاة) جمع الجافى : من الجفاء بمعنى الظلم (الطغام)

وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسًّا بِالنِّصَالِ ،وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ ؛تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ ؛

اوغاد الناس .

(و اعراب اهل الشام) الذين لا ثقافة لهم و لا حضارة و هذا عتب على اصحابه بأنه كيف يذلون امام جيش معاوية ، و يبتعدون عن صفوفهم .

(و) الحال (انتم لهاميم) جمع لهميم بمعنى السابق من الخيل و الانسان (العرب) اى السباقون الى كل فضيلة (و يآفيخ الشّرف) جمع يأفوخ و هو فوق الرأس حيث يجتمع عظما المؤخّر و المقدّم .

(و الأنف المقدم) وصف توضيحى لتأكيد معنى الشرف (و السنام الأعظم) السّنام هو ما على ظهر البعير مما هو اعلا اعضائه يشبه به فى الرفعة و السمو .

(و لقد شفى و حاوح صدرى) جمع وحوحة صوت الصدر اذا كان متألما و هو صوت معه بحح (ان رأيتكم بآخرة) اى فى جولة آخرة (تحوزونهم كما حازوكم) بأن اشتلمتم عليهم و احطتم بهم و الاحاطة بالعدو دليل الغلبة اذ لا مفر للمحاط فمن اين توجّه يأتيه الحراب (وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم) فى الجولة السابقة (تحسّونهم (حسا) اى قتلا (بالنصال) هو المبارات فى الرمى (وشجرا) اى طعنا (بالرماح) جمع رمح (تركب اولاهم اخراهم) لفرارهم من ايديكم فان الجمع اذا ارادوا الفرار وقع بعضهم على بعض كأنه راكب عليه (كالابل الهيم) جمع هائمة و هى العطشانه (المطرودة) التي تطرد من الماء فانها من شدّة

تُرْمَىٰ عَنْ حِيَاضِهَا ، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا !

وَمِن خُطبة لهُ عَليه السَّلام

وهى من خطب الملاحم

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ . خَلَقَ اَلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ .

العطش و خوف الطرد اذا فرت ركبت بعضها على بعض (ترمى) تلك الابل (عن حياضها) جمع حوض و هو محل الماء (و تذاد) اى تمنع (عن مواردها) جمع مورد و هو محل ورودها لشرب الماء ٠

وَمِن خُطبة لهُ عَليه السَّلام

(وهى من خطب الملاحم) وقد مر معنى الملاحم

(الحمد لله المتجلّى) اى المظهر نفسه (لخلقه ب) سبب (خلقه) فان الخلق هو الأثر الدال على الخالق (و الظاهر لقلوبهم) لا لأبصارهم لأنه سبحانه لا يرى (بحجته) اى بما استدل به و احتج على وجوده سبحانه ٠

(خلق الخلق من غير روّية) اى تفكّر و تدبّر لأنه لا يحتاج الى الفكر (اذ كانت الرّويّات لا تليق الاّ بذوى الضّمائر) اى الذين لهم قلوب و اجزاء كالنّاس : اما الله المنزّه عن ذلك فلا يتروى و لا يفكر لخلوه سبحانه عن الأعضاء و الجوارح ٠

(و ليس) سبحانه (بذى ضمير فى نفسه) اى ليس لنفسه اى ذاته ضمير و

خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

مِنها في ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .

سر (خرق علمه) اى نفذ (باطن غيب السترات) جمع سترة : و هى ما يستر به اى الباطن الغائب المستور .

(و أحاط) علمه سبحانه (بغموض عقائد السريرات) اى المخفى من عقائد النّاس الكائنة فى سريرتهم — اى ضمائرهم — .

منها في ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله

(اختاره) الله سبحانه (من شجرة الأنبياء) فانّ الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلم ينتهى نسبه الى ابى الأنبياء ابراهيم عليه السلام .

(و مشكاة) الكرة التى يوضع فيها المصباح (الضياء) و الاضافة للبيان كان هذه السلسلة التى منها النبى كون يشع منها ضياء الوحى و النّبوّة (و ذؤابة) الناصية (العلياء) اى العلو فهو صلى الله عليه و آله و سلم فى اعلى مراتب العلو .

(و سرة البطحاء) البطحاء الأرض المستوية و المراد هنا مكة و السرة يراد بها الوسط اى انه صلى الله عليه و آله و سلم من افضل بيت فى مكة .

(و مصابيح الظلمة) فانّ آباء الرسول كانوا اهل حق و دين يضيئون الطريق للجاهل و الضّال .

(و ينابيع الحكمة) جمع ينبوع ، و هو العين ، كأنهم كانوا عيون الحكم يتفجّر منهم ممّا يفيد النّاس و يهديهم الى السّعادة و الخير .

ومنها : طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ ،قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ، يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ ، وَآذَانٍ صُمٍّ ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ ، وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَنْوَارِ ٱلْحِكْمَةِ ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ ؛

(ومنها) ثم وصف الامام عليه السلام نفسه بقوله :

(طبيب دوّار بطبّه) اى انه يدورهنا و هناك ومعه طبّه ـ الذى هو العلمّ ـ لعلّه يجد مريضا يريد العلاج عن مرض الجهل فيشفيه بارشاده و هدايته .

(قد احكم مراهمه) جمع مرهم و هو الدواء الشافى للدّمل و نحوه (واحمى مواسمه) جمع ميسم و هو المكوات التى يكوى بها المريض اذا عجز عن الشفاء بغيره و ((احمى)) بمعنى اوقد عليه النار حتى حمى ، وذلك كناية عن استعداده للشفاء بحيث لا يحتاج الى الاحماء اذا وجد من احتاج الى الكىّ (يضع ذلك) الطب (حيث الحاجة اليه) اى فى كل مكان محتاج الى الشفاء (من قلوب عمى) جمع اعمى و هو القلب المصروف عن الله سبحانه .

(وآذان صم) جمع صماء و هى التى لا تصغى الى الموعظة (والسنة بكم) جمع ابكم و هو اللسان الذى لا ينطق بالحق .

(متتبع) اى ذلك الطبيب (بدوائه مواضع الغفلة) اى انه يذهب الى الناس الغافلين عن الآخرة (و مواطن الحيرة) اى المتحيّرون عن الله وعن احكامه .

(لم يستضيئوا بأنوار الحكمة) اى انهم لم يهتدوا ـ قبله عليه السلام ـ بالنور الساطع من الحكم الاسلامية (ولم يقدحوا) اصله ضرب الحجر على الحجر لاخراج النار (بزناد العلوم الثاقبة) فانهم لم يتناولوا العلوم التى تثقب الجهل لتصل

فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .

قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الطَّرِيقِ لِخَابِطِهَا، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا.

الى محض الحق (فهم فى ذلك) الجهل ــ المستفاد من الكلام ــ (كالأنعام السائمة) التى ترعى الاعشاب بلا علم ولا دراية وانما همها بطنها (والصخور القاسية) اى الصلبة التى لا تتفجر منها الأنهار ولا تنبت النبات فليست محل خير .

(قد انجابت) اى ظهرت (السرائر) جمع سريرة ، والمراد بها الأمور الواقعية المستورة (لأهل البصائر) الذى لهم قلوب وقادة بصيرة ، والمراد بذلك اما نفسه عليه السلام ، اى قد ظهرت لى كوامن الأمور ، فيكون هذا مقدمة لما يخبر به بعد من الاخبار المستقبلة ، اوان المراد ان اهل البصرة ظهر لهم الحق بما بينه عليه السلام فمن لم يظهر له انما كان لتقصيره كقولنا ((وضح الحق لذى عينين)) .

(ووضحت محجة الطريق) اى وسطه الواضح (لخابطها) اى السائر عليها والمعنى ان مريد السير قد وضح له الحق (واسفرت الساعة) اى القيامة (عن وجهها) اى اظهرت عن نفسها وذلك بمجئ علائمها ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((بعثت انا والساعة كهاتين)) واشار صلى الله عليه وآله وسلم الى اصبعيه .

(وظهرت العلامة) للساعة (لمتوسمها) المتوسم هو المتفرس الذى يرى العلامة فيعرف ذا العلامة ، وهذا فذلكة لبيان فتنة مستقبلة هى من اشراط الساعة .

مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ ، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً ، وَشُهُوداً غُيَّباً ،

ثم الظاهر ان الامام وجه الخطاب الى المعاصرين لتلك الفتنة الذين لايقومون باخمادها ، بقوله : ((مالى ...)) لا انه خطاب الى اصحابه لعدم المناسبة اللهم الا ان يقال وجه الخطاب عتابهم فى عدم اخذهم بهذه العلوم التى يفيض بها صدر الامام ، وعدم اعتنائهم لها .

(مالى اراكم) وهذا عتاب لهم ، فى مكان ((مالكم)) وانما ينسب الاستفهام الى نفسه للاشارة الى ان المطلب من الغرابة بحيث يمكن ان يكون المتكلم اشتبه فى الرّؤية فهم غير مقصّرين وانّما رآهم المتكلم مقصرين اشتباها منه (اشباحا) جمع شبح وهو الجسد بلا روح (بلا أرواح) اجسام مرئية بلا أرواح مدركة .

(وارواحا بلا أشباح) هذا من تتمة التأنيب اى انكم ناقصون كالروح بلا جسد ، او الجسد بلا روح الذى لم ينفع كل واحد منهما دون الآخر ، وهذاكما يذم ذا اللسانين ، وانكان احد لسانيه حسنا .

(ونساكا) جمع ناسك وهو الزاهد (بلا صلاح) اى انكم غير زاهدين ، وانما تظهرون الزهد والصلاح (وتجارا بلا ارباح) اى تعملون بلا ثمر ، لأن اعمالكم للدنيا التى لا ربح حقيقى لها .

(وايقاظا) جمع يقظ (نوّما) جمع نائم اى انكم فى الظّاهر ايقاظ لكن لعدم دركم للأمور وعدم عملكم عملا مثمرا ، كالنوم .

(وشهودا) جمع شاهد وهو الحاضر (غيبا) جمع غائب ، اى انكم حاضرون جسما ، غائبون قلبا .

وَنَاظِرَةٌ عَمْيَاء وَسَامِعَةٌ صَمَّاء ، وَنَاطِقَةٌ بَكْمَاء ! رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ ، عَلَىٰ قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَىٰ الضَّلَّةِ، فَلَا يَبْقَىٰ يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ ، أَوْ

(و ناظرة عمياء) تنظرون بالعيون لكنكم كالأعمى لا تدركون الحقائق ، وعمى جمع ((اعمى)) (و سامعة صمّاء) جمع اصم ٠

(و ناطقة بكماء) جمع ابكم و المعنى لا تنتفعون بأبصاركم و اسماعكم و ألسنتكم (رأيت ضلالة قد قامت) لعله اشارة الى آخر الزمان ـ كالوقت الذى نحن فيه ـ (على قطبها) تمثيل الاستحكام اى تلك الضلالة ، حتى ان لها رحى و مدارا و قطبا ، تدور بانتظام ، لا انها شئ وقتى و جولة تنتهى بسرعة ٠

(و تفرقت) تلك الضلالة (بشعبها) اى انتشرت بفروعها فلها شعب و فروع (تكيلكم) اى تأخذكم للهلاك كيلا (بصاعها) آلة الكيل ، كان تلك الفتنة عامة حتى انها تكال الناس كيلا ، لا انها خاصة ببعض الناس كما ان الأمر كذلك فى زماننا هذا ٠

(و تخبطكم) من خبط الشجر اذا ضربه بالعصى ليسقط ورقه ، او من خبط البعير بيده الأرض اذا ضربها بيده ، و هذا اقرب (بباعها) و هومدّ اليدين ، و ذلك كناية عن شمول الفتنة لجميعهم (قائدها) اى قائد تلك الفتنة ، و كأنّ المراد الحكام (خارج من الملة) اى من شريعة الاسلام ٠

(قائم على الضلة) اى الضلالة (فلا يبقى ـ يومئذ ـ) اى فى ذاك اليوم (منكم الا ثفالة كثفالة القدر) الثفالة الثقل الذى يبقى بعد ذهاب الخالص الطيب من الطعام ، يعنى ان الباقين ليسوا الا شرارا قد ذهب خيارهم (او

نُفَـاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ ، وَتَدُوسُـكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ ٱسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ .أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ ،وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ

نفاضة) ما يسقط بالنفض .

(كنفاضة العكم) هو لعظ تجعل فيه المرأة ذخيرتها ، فاذا تمت الذخيرة نفضت العكم لتنفضها من بقايا الزاد الباقية فى ثنايا نسيج العكم .

(تعرككم) الفتنة ، وهو الدلك الشديد (عرك الاديم) هو الجلد ، يدلك شديدا ليمتد و هو كناية عن شدة وطاء الفتنة ، و تحريكها لهم تحريكا عنيفا .

(و تدوسكم) الفتنة (دوس الحصيد) اى الحب المحصود فانه يداس بشدّة ليتفرق قشره عن لبه (و تستخلص) الفتنة (المؤمن من بينكم) و نسبة استخلاص الفتنة المؤمن ، لأنها هى السبب فى كمال ايمانه حيث يبقى فى كل الهزاهز بدون انحراف او تنكّب .

(استخلاص الطير الحبة البطينة) اى السمينة (من بين هزيل الحب)اى غير سمينة .

ثم توجه الامام عليه السلام بالخطاب الى اهل ذلك الزمان الذين يقعون فى الفتنة ، بقوله : (اين تذهب بكم المذاهب) جمع مذهب ، وهى الطرائق التى تتولد فى الفتن و يدعوا كل انسان اتباعه الى طريقة خاصة .

(و تتيه بكم الغياهب) جمع غيهب و هو الظلمة ، كأن الظلمات تسبب ظلالهم و تيههم .

وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ . وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ ، فَلَقَدْ فَلَقَ

(و تخدعكم الكواذب) اى الأقوال الكاذبة (و من اين تؤتون) كان اعوان الفتنة يأتون الى الناس لاظلالهم ، وهذه الاستفهامات للانكار .

(وانّى تؤفكون) اى كيف تنصرفون عن الحق ؟ من افك بمعنى انصرف ، ثم بيّن الامام عليه السّلام ان تلك الفتنة لا تبقى وانما تذهب و تضمحل بعد مدّة بقوله (فلكل اجل) اى مدة (كتاب) قد كتب الأجل فى ذلك الكتاب فلا يزيد على ما كتب و لا ينقص عنه .

(و لكل غيبة) لاحد او شئ (اياب) و رجوع و هكذ يرجع الاسلام بعد الفتنة التى تسبب غياب احكامه و نظامه .

(فاستمعوا من ربّانيكم) العارف بالله سبحانه ، منسوب الى ((رب)) والمراد نفسه الكريمة (و احضروا قلوبكم) للادراك و الفهم ، لتعرفوا ذلك الزمان و علائمه .

(و استيقظوا) اى لا تكونوا كالنائم (ان هتف) اى صاح الربّانى (بكم) لايقاظكم ، حتّى لا تقعوا فى الفتنة من غير دراية (و ليصدق رائد اهله) الرائد هو الذى يتقدم القوم المسافرين يرتاد لهم موضع كلاء و ماء ، وهذا امر بالقادة ، بأن يتحفظوا على الناس فى ذلك الزمان لئلا يضل الاتباع بلا علم (و ليجمع) الرائد (شمله) اى جماعة فلا يتركهم نهبا للفتن و الضلالات (و ليحضر) الرائد (ذهنه) ليعرف مواقع الفتن و الضلالة (فلقد فلق) اى شق و فاعله الضمير

لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ ، وَقَرْفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ ٱلْعَقُورِ ، وَهَدَرَ فَنِيقُ ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ ،

العائد الى الامام عليه السلام (لكم الأمر) اى بينه لكم لئلا تضلوا .

(فلق الخرزة) فكما ان الخرزة اذا شقت روءى ما فى جوفها كذلك اوضح الامام لكم باطن الأمر ، حتى لا يبقى شئ مشتبه (و قرفه) اى قرف الأمر ، اى قشره ، و اوضحه (قرف الصمغة) اى مثل تقشير الصمغة ، فانها اذا تقشر يظهر ما فى بطنها بجلاء ، لكونها شفافة ، ثم بين الامام عليه السلام علائم تلك الفتنة و ما يصحبها من الموبقات و الآثام بقوله : (فعند ذلك) الزمان (أخذ الباطل مآخذه) جمع مأخذه اى جميع المحلات الممكنة اخذها (و ركب الجهل مراكبه) و المراد تفشيه و اتساعه بين الناس (وعظمت الطاغية) اى سلطة السلطان الطاغى ، و التأنيث باعتبار النفس ، او ان التاء للمبالغة .

(و قلّت الدّاعية) الى الهدى (و صال الدّهر) اى هجم على الناس بالفقر و البلاء و المرض و ما اشبه .

(صيال السبع العقور) الذى اذا عقر ، موضعا سبب ألما كثيرا و مرضا ، اى مثل صولة الحيوان المفترس الذى صار مع ذلك عقورا (و هدر فنيق الباطل) شبه الفتنة بالبعير اذا هدر ، فان ((فنيق)) الفحل من الابل (بعد كظوم) اى كظم و امساك ، فان اهل الباطل فى دولة الحق ساكنون خوفا من اهله اما اذا قامت الفتن ، فأهل الباطل يشرعون فى الحركة و الصياح و الدعوة و الافساد (وتواخى الناس) اى آخى بعضهم بعضا (على الفجور) فيتّخذ الخليل خليلة فاجرة ، او

وَتَهَاجَرُوا عَلَىٰ الدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَىٰ الْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَىٰ الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً ، وَالْمَطَرُ قَيْظاً ، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً ، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً ، وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً ،وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً ، وأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً ،

خليلا فاسقا ، حيث لا اخوة تجمعهم الا الفسق (و تهاجروا على الدين) اىاذا كان احدهم متدينا هاجره صديقه ٠

(وتحابوا على الكذب) اى احب بعضهم بعضا ، لأنه كذب فى نفعه(وتبا غضوا على الصدق) اى ان احدهم اذا صدق وقال الحق ، غضب عليه آخر ،و ابغضه لأنه صدق (فاذا كان ذلك) حال الناس (كان الولد غيظا) اى موجبا لغيظ ابويه لأنه يكون للولد اتجاه آخر غير اتجاه الأبوين ، فان الاسلام هو الذى يوحّد الاتجاهات و يظلل العائلة بالألفة و الوداد ، فاذا انفصم انفصمت العلائق (و المطر قيظا) المراد ان المطر يأتى فى الصيف حيث لا ينفع ، او ان المطريكون كالمطر فى القيظ لعدم الاستفادة منه ، حيث تكون الأمور الزراعية بالمكائن و الآلات ــ كما فى حالنا هذا ــ ٠

(و تفيض اللئام فيضا) اى يكثرون كما يفيض الماء و يكثر ، و ذلك لأن المجتمع اذا صار فاسدا كثر فيه الفاسدون و قلّ الصالحون (و تغيض الكرام) من غاض الماء اذا غار فى الأرض (غيضا) و ذلك كناية عن قلّتهم ٠

(و كان اهل ذلك الزمان ذئابا) اى كالذئاب فى اختطاف الخيرات ، و عدم المبالات بالحرام و الحلال ، و سوء العواقب ٠

(و سلاطينه سباعا) كالسبع فى افتراس الناس و قتلهم و نهشهم (واوساطه) اى المتوسطون من اهل ذلك الزمان (أكالا) لا يعرفون الا الأكل و ذلك كناية

وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً ، وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ الْكَذِبُ ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً ، وَالْعَفَافُ عَجَباً ، وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً .

عن عدم اهتمامهم الا بأنفسهم ٠

(و فقراؤه) اى فقراء ذلك الزّمان (أمواتا) اى كالأموات فى عدم وسائل العيش لهم ، اذ الأغنياء لا يرحمونهم ، و الدولة لا تهتم بهم ، بخلاف ما لو كان الاسلام آخذا بالزمام (وغار الصدق) اى نضب و ذهب ٠

(وفاض الكذب) اى كثر و زاد كما يفيض الماء (و استعملت المودّة باللّسان) اى انه يذهب الودّ من القلوب و انما يكون الودّ و الحب باللّسان فقط

(و تشاجر) اى عادى (النّاس) بعضهم بعضا (بالقلوب) و هى صفة النفاق

(و صار الفسوق نسبا) فالفسق يكون هو سبب التواصل ـ كما يكون النسب سبب التواصل ـ فمثلا يتصادق الناس على المنكرات و المحرمات ، و يحتمل ان يكون المراد ان الزنا و ما اشبهه يكون سببا للنسب ٠

(و) يكون (العفاف) و النزاهة (عجبا) اى موجبا لعجب النّاس كيف عفّ و تنزّه فلان ؟ ٠

(و لبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا) فقلب النّاس يحب الاسلام و عليهم اسمه اما ظاهرهم فظاهر كفر و نفاق ٠

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في صفة الله و ذكر الملائكة و بيان الخلق والاشارة الى البعث

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ،

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في صفة الله و ذكر الملائكة و بيان الخلق و الاشارة الى البعث

(كل شئ خاشع) اى خاضع (له) تعالى ، حتى الذين لا يعترفون به خاضعون تكوينا لارادته ٠

(وكل شئ قائم به) اى ان قوام كل شئ و وجوده حسب ارادته سبحانه ،حتى اذا صرف عنهم الارادة فنوا وعدموا ٠

(غنى كل فقير) فان غنى الفقراء ــ فيما هم فيه اغنياء ، كالصحة ،و الأمن ،و الوجود ، وما اشبه ــ انما هو بسببه وفضله تعالى او المراد ان كل شئ فقير في ذاته ــ لكونه ممكنا ــ وانما غناه و وجدانه لشئ من الله سبحانه ٠

(وعز كل ذليل) فان الذليل يعتز بان له الها عظيما عزيزا ، او الذى ذكرنا في الفقرة السابقة بمعنى ان الذليل ذاتا عزه بالله ٠

(وقوة كل ضعيف) فالقوة التى للضعفاء انما هى بالله ، اوعلى المعنى الذى ذكرناه سابقا ٠

وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ . مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ،

(و مفزع كل ملهوف) المفزع محل الفزع و الالتجاء ، و الملهوف، هوالذى نـابه امر و عرضت له كارثة ، فان كل مضطر يلتجأ اليه سبحانه لكشف ضره وتعويض خسارته .

(من تكلم سمع) الله سبحانه (نطقه) اينما كان و كيفما تكلم (و من سكت) و لم ينطق (علم سره) و ما يدور فى ضميره (و من عاش) فى الدنيا (فعليه) تعالى (رزقه) حتّى يموت (و من مات فاليه) سبحانه (منقلبه) مصدر ميمى اى انقلابه و رجوعه و معنى ((اليه)) الى جزاءه و المحل الذى اعده له ، اذ هو سبحانه منزّه عن المكان .

ثم التفت عليه السلام عن الغيبة الى الخطاب ـ الذى هو من فنون البلاغة ـ بقوله : (لم ترك) من ((رأى)) و ((الكاف)) للخطاب (العيون فتخبر عنك) اخبارا بالروية ، بأن تحكى للنفس صورتك و كيفيتك .

(بل كنت) يا رب (قبل الواصفين من خلقك) فانّ النّاس القادرين على الوصف هم مخلوقون لك والاتيان بلفظة ((بل)) لعله لدفع ايهام ان ((ما لا يرى لا يكون)) فعدم رويته ليس لعدم كونه فانه كائن بل قبل كل شئ .

(لم تخلق الخلق لوحشة) كما يتوحش الانسان من الانفراد ، فيكسب مونسا (و لا استعملتهم) اى امرتهم بالعمل ، او جئت بهم الى الوجود و اعطيتهم ما اعطيتهم (لمنفعة) لك من وراءهم (و لا يسبقك) فى الفرار (من طلبت) تشبيه

وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ . كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ . أَنْتَ ٱلْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَىٰ لَا مَحِيصَ

بعن يسبق طالبه فرارا فلا يدركه الطالب عجزا (ولا يفلتك) اى لا ينفلت منك (من اخذت) كما ربما ينفلت الناس من ايدى خصمائهم .

(ولا ينقص سلطانك من عصاك) اذ سلطانه كائن على الجميع ، سواء عصى العاصى ام اطاع المطيع ، لعدم خروج شئ من تحت أمره ، وقبضة قدرته سبحانه .

(ولا يزيد فى ملكك من اطاعك) لأن الملك كائن لا يتسع ولا ينقبض ، و انما الأمر بالاطاعة لمنفعة المطيع (ولا يرد امرك) اى تقديرك (من سخط قضاؤك) فمثلا من سخط لضيق رزقه ، لا يرد سخطه ضيق رزقه الذى قضاه سبحانه له .

(ولا يستغنى عنك من تولى) اى اعرض (عن امرك) بأن عصاك ، فان الانسان احتياج محض اليه سبحانه (كل سر عندك) يا ربّ (علانية) اى ظاهر غير مستور .

(وكل غيب) اى ما غاب عن الحواس (عندك شهادة) اى حاضرمشهود ، لأن الله مطلع على جميع الأشياء ظاهرها و باطنها ، حاضرها وغائبها .

(انت الأبد) اى باقى دائما (لا امد لك) اى لا مدة لك ، حتى اذا بلغت الى تلك المدة انقضى اجلك .

(وانت المنتهى) اى انتهاء جزاء كل انسان اليك (لا محيص) اى لا مفر

عَنْكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ لَا مَنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ ! وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَىٰ مِنْ مَلَكُوتِكَ ! وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ ٱلْآخِرَةِ !

(عنك) ولا يتمكن احد من ان لا يصل اليك (وانت الموعد) الموعد محل الوعد ، اى ان الانسان وعد ان يصل اليك ــ والموعد غير المنتهى مفهوما ــ (لا منجى) اى لا نجات (منك الا اليك) بأن يتضرع الانسان اليك لنجاته من سخطك .

(بيدك) اى بقدرتك و تحت امرك (ناصية كل دابة) الناصية مقدم الجبهة ، وانما خص بذلك ، لأن الشّخص اذا اخذ بشعر انسان لا يتمكن المأخوذ من الانفلات ، و يتمكن من توجيهه كيفما شاء .

(واليك مصير) مصدر ميمى اى صيرورة (كل نسمة) اى كل انسان (سبحانك) مفعول مطلق لفعل محذوف ، اى اسبّحك سبحانك ، والمعنى انزّهك تنزيها عن النقائص (ما اعظم ما نرى من خلقك) فان ما يرى من مخلوقاته سبحانه عظيم فكيف بما لا يرى (وما اصغر عظيمه) اى عظيم المخلوقات (فى جنب قدرتك) فان قدرة الله سبحانه لا تحد بحدّ .

(وما اهول ما نرى من ملكوتك) اى انّ كبر الملكوت ــ بمعنى الملك ــ موجب للهول والدهشة (وما احقر ذلك) الخلق والملك ــ الذى نراه ــ (فيما غاب عنّا من سلطانك) وملكك (وما اسبغ نعمك فى الدّنيا) فانّ نعمه سبحانه فى الدنيا سابغة واسعة (وما اصغرها فى نعم الآخرة) ((فى)) بمعنى

ومنها في وصف الملائكة

منها : مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ؛ لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا « مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » ، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ « رَيْبُ ٱلْمَنُونِ »

النسبة فان نعم الآخرة من الكثرة بحيث ان نعم الدنيا لا شئ بالنسبة اليها .

ومنها في وصف الملائكة

(من ملائكة اسكنتهم سماواتك) فانّ الملائكة اجسام لطيفة مقرها الطبقات العليا من الفضاء (و رفعتهم عن ارضك) فليسوا من سكان الأرض ـ كالانسان ـ

(هم اعلم خلقك بك) هذا اضافى بالنسبة الى عامة النّاس و الأجنة و الحيوانات ، لا انه حتى بالنسبة الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمّة عليهم السلام (و اخوفهم لك) اى اكثر الخلق خوفا منك (و اقربهم منك) قرب منزلة ، لا قرب مكان ـ فانه تعالى منزّه عن المكان ـ .

(لم يسكنوا) اى الملائكة (الأصلاب) جمع صلب و هو محل المنى فى ظهر الرجل (و لم يضمنوا الأرحام) جمع رحم ، و هى محل الولد فى الأم .

(و لم يخلقوا من ماء مهين) اى حقير و المراد به النطفة (و لم يشعبهم) من شعبه بمعنى اهلكه (ريب المنون) المنون الموت ، و ريبه عمله ، و المعنى

وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

انهم لا يموتون ـ كما يموت الانسان ـ اوان ((المنون)) الدهر، و ((ريبه)) صرفه اي لا تنالهم صروف الدهر من قوة وضعف وغنى وفقر وما اشبه

(وانهم) اي الملائكة وهذا متعلق بقوله ((لوعاينوا)) والجملة في الوسط اعتراض (على مكانهم منك) اي قربهم للطفك وفضلك ـ يا رب ـ (ومنزلتهم عندك) اي مكانتهم الرفيعة (واستجماع اهوائهم فيك) اي ليست لهم اهواء متشتة متفرقة ـ كالانسان ـ وانما كل فكرهم ونظرهم عنده سبحانه ومصروفة في عظمته وطاعته .

(وكثرة طاعتهم لك) فانهم دائما في طاعة الله سبحانه (وقلة غفلتهم عن امرك) اما حقيقي ، بأن كان لهم غفلة قليلة منه سبحانه ، اوكنائي ، ان لم تكن لهم غفلة (لوعاينوا) متعلق بقوله سابقا ((وانهم)) .

(كنه ما خفي عليهم منك) اي كنه ذاتك وصفاتك (لحقروا اعمالهم) فان الانسان كلما اطلع على عظمة الله سبحانه حقّر عمله في جنب عظمته تعالى .

(ولزروا على انفسهم) اي عابوها وحقّروها لأنها لا تعمل الا قليلا (ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك) فان ذلك غير معقول بالنسبة الى المخلوقات .

ثم توجه الامام عليه السلام الى الانكار على الناس العصاة الذين اعرضوا عنه

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً ! بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَاراً ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً : مَشْرَباً وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً ، وَقُصُوراً ، وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً ، وَثِمَاراً ؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُوا إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ

تعالى ، وقدم على ذلك مقدمة بقوله : (سبحانك) اللهم (خالقا ومعبودا) اى انت خالق الخلق ، وانت الاله المعبود بالحق (بحسن بلائك عند خلقك) الباء للسببية ، اى ان التسبيح بسبب حسن امتحان الله سبحانه فانه تعالى انما اختبرعباده اختبارا حسنا سهلا لا عسر فيه ولا صعوبة (خلقت دارا) اى الجنة (وجعلت فيها مأدبة) هى ما يضع من الطعام للمدعوين ، والمراد نعيم الجنّة .

ثم فسر عليه السلام ذلك بقوله : (مشربا ومطعما) مصدران ميميان اى شرابا وطعاما (وازواجا) للنساء رجالا وللرجال نساءا (وخدما) جمع خادم .

(وقصورا وانهارا وزروعا) جمع زرع وهو النبات والشجر (وثمارا) اى فواكه .

(ثم ارسلت داعيا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم . او مطلق الدعات ، فالمراد الجنس (يدعوا اليها) اى الى تلك الدار .

(فلا الداعى اجابوا) اى لم يجب الناس الداعى ـ والمراد الأغلبية منهم ـ (ولا فيما رغبت رغبوا) فانهم لم يرغبوا فى نعيم الجنّة (ولا الى ما شوقت اليه

اَشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ اَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَاَصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا . وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا. وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ،

اشتاقوا) جهلا منهم وعتوا (اقبلوا على جيفة) المراد منها الدنيا (افتضحوا بأكلها) الافتضاح ظهور نوايا الشخص السيئة و نفسيته الدنيئة ٠

(و اصطلحوا على حبها) اى صالح بعضهم بعضا ، بأن لا ينكر احدهم على آخر ، فى حبّ الدنيا (و من عشق شيئا) كما عشق الناس الدنيا (اعشى بصره) اى اعماه ، فان المحب لا يرى الا الصفات المحبوبة اما الصفات الذميمة فيغضّ عنها ٠

(و امرض قلبه) فان القلب اذا لم ير الشر ، فهو مريض لخروجه من جادة الاستقامة (فهو ينظر بعين غير صحيحة) و المراد من النظر ليس الرؤية و انما الادراك النفسى (و يسمع باذن غير سميعة) فان سمع حسنة اخذها ، و ان سمع سيّئة تصام عنها ٠

(قد خرقت الشّهوات عقله) فامتلاء بالشهوات بعد ان كان العقد لا ينفذ فيه شئ حتى يكون على حدّ ذاته يدرك الأشياء و يميزها بميزان عادل صحيح (و اماتت الدنيا قلبه) فانّ القلب الحىّ هو الّذى يفرّ من السوّ و يأوى الى الحسن ، اما القلب اذا مات ، كان كالانسان الميت الذى لا يفرّ من الضار و لا يجلب النافع ٠

(و ولهت) اى اشتاقت اشتياقا زائدا (عليها) اى على الشهوات (نفسه فهو عبد لها) اى للشهوات (و لمن فى يده شئ منها) فكما ان العبد يتبع

حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا . وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ؛ وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ . وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ ، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ .

سيّده كذلك هذا الانسان يتّبع شهواته و من يمكن ان يحصل على الشّهوات بواسطته (حيثما زالت) اى مالت الشهوات (زال) هذا الشخص (اليها) الى الشهوات (وحيثما اقبلت) واتجهت تلك الشهوات (اقبل عليها) يدور معها ·

(ولا يزدجر) اى لا ينتهى (من الله) اى من جهة امره سبحانه (بزاجر) اى بسبب زاجر عن قبله تعالى (ولا يتّعظ منه) تعالى (بواعظ) اى بسبب واعظ من طرفه سبحانه ·

(و) الحال (هو) الذى اتبع الشهوات غافلا عن الآخرة (يرى المأخوذين على الغرة) الذين ماتوا واخذهم الله سبحانه للحساب و الجزاء غفلة و بغتة بدون سابق انذار (حيث لا اقالة) بأن يقيلهم الله سبحانه عثراتهم (ولا رجعة) الى الدنيا ليتداركوا ذنوبهم بالطاعة و الانابة (كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون)؟ من احوال الآخرة و سيئات ما عملوا ، و الاستفهام للتعجيب و التذكير (وجائهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون) ((من)) بيان ((ما)) اى انهم كانوا يأمنون فراق الدنيا ، فجائهم الفراق بغتة و خطفهم من مأمنهم (وقدموا من الآخرة) بيان ((على)) (على ما كانوا يوعدون) من العقاب و الحساب الذى كانوا يوعدونه فلا يصدقونه ·

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ : اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ !

(فغير موصوف ما نزل بهم) من اهوال و الشّدائد فانّها لعضمها لا تأتى فى درج البيان و الوصف (اجتمعت عليهم سكرة الموت) فان للموت حالة كحالة السكران اذ يغطّى على عقلة من شدّة اهوال الموت (و حسرة الفوث) اى فوت اوان الطاعة الموجبة للخلاص و الفوز (ففترت لها) اى لتلك السكرة و الحسرة (اطرافهم) فان الانسان يضعف عصبه عند الشّدائد و المخاوف (و تغيّرت لها الوانهم) اذ الخوف يوجب هجوم الدم نحو الباطن فيصفر الوجه ٠

(ثم ازداد الموت فيهم ولوجا) اى دخولا ، لأن الموت امر تدريجى يأتى جزءا جزءا (فحيل بين احدهم) المراد كل واحد من هؤلاء الموصوفين كما قال سبحانه : ((يود احدهم لو يعمر الف سنة)) (و بين منطقه) حتى انه لا يتمكن ان يتكلم ٠

(و انه لبين اهله) معدود فى حالة السكرات (ينظر ببصره) اليهم (و يسمع باذنه) كلامهم لكنّه لا يقدر على التّكلّم (على صحة من عقله و بقاء من لبه) اى عقله كل ذلك مما يزيده حسرة (يفكر فيم) اصله ((فى ما)) و اذا دخلت حروف الجر على ((ما)) حذف الالف نحو ((عم)) و ((لم)) و ما اشبه (افنى عمره) ؟ حيث لم يحصل على الغاية الحسنة (و فيم اذهب) و اعدم (دهره) بلا فائدة و لا تجارة رابحة ٠

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا وَأَشْرَفَ عَلَىٰ فِرَاقِهَا ، تَبْقَىٰ لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَٱلْعِبءُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ وَٱلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُه بِهَا ، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَىٰ مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ،

(ويتذكر) فى ذلك الحال (اموالا جمعها) طيلة حياته وقد (اغمض فى مطالبها) اى ما يطلبه تلك الأموال من الشقاء والسعادة ، لأنه اغمض بصره فى كون تلك الأموال من الحرام او الحلال .

(واخذها) اى تلك الأموال (من مصرحاتها) الصريح هو الذى لا لبس فيه ولا اشتباه (و مشتبهاتها) اشتبه حله بحرامه (قد لزمته تبعات جمعها) جمع تبعه ، وهى العقوبة والمشكلة تتبع التصرف السئ من جهة الجمع ومعنى لزمته ان استحق العقاب .

(واشرف على فراقها) اى مفارقة تلك الأموال (تبقى) تلك الأموال (لمن وراءه) اى يبقى من بعده من الورثة و نحوهم (ينعمون فيها) اى يتنعمون فى تلك الأموال (و يتمتعون بها) التمتع اخذ المتعة (فيكون المهنا) من ((هناء)) وهو ما اتاك من خير بلا صعوبة و مشقة. (لغيره) وهو الوارث (و العبئ) اى الثقل ، الذى هو الذنب (على ظهره) فان الوارث لا يعلم بكون المال حراما ، ولذا يجرى اصل الصحة و يتناوله فى هناء (والمرء) المورّث (قد غلقت رهونه) اى استحقها مرتهنها (بها) اى بتلك الأموال .

(فهو يعض يده) كناية عن اسفه (بندامة على مااصحر له) اى ظهر له ، و اصله البروز الى الصحراء لأنه يظهر فيها (عند الموت من امره) اى امر نفسه

وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّىٰ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّىٰ خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَىٰ حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ.

(ويزهد) هذا الانسان المحتضر (فيما كان يرغب فيه ايام عمره) لأنه يظهر له فى ذلك الحال عدم فائدة المال و ما اشبه ، ولذا ينفرعنه ، بينما كان فى السابق يرغب فيه (و يتمنى) حال الموت (ان) الشخص (الذى كان يغبطه بها) اى يغبط هذا المحتضر بسبب تلك الأموال (ويحسده عليها) و الفرق بين الغبطة و الحسد ان الغبطة تمنى المرء ان يكون لنفسه مثل ما لغيره و الحسد تمنى المرء زوال نعمة الغير .

(قد حازها) اى ملكها ذلك الحاسد و الغابط (دونه) لأنه رأى و بال تلك الأموال فيقول يا ليت كانت لغيرى حتى لا اوخذ باثمها و تبعتها (فلم يزل الموت يبالغ فى جسده) و يوهن قواه .

(حتى خالط لسانه سمعه) اى شارك السمع اللسان فى العجز عن القيام بوظيفته فقد كان قادرا على الاستماع غير قادر على التكلم و الآن صار لا يقدر على الاستماع ايضا (فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه) وانما يبقى له البصر .

(يردد طرفه بالنظر فى وجوههم) ينظر الى هذا مرّة و الى ذاك اخرى (يرى حركات السنتهم) مما يدل على انهم يتكلمون بشئ (و لا يسمع رجع) اى صوت (كلامهم) لأن الموت قد شمل اذنه ، وفى هذا الحال زيادة الحسرة و

ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَىٰ مَخَطٍّ فِي ٱلْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَىٰ عَمَلِهِ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ،

كثرة الغصة .

(ثم ازداد الموت التياطا) اى اختلاطا (به فقبض بصره كما قبض سمعه) و لسانه من ذى قبل (و خرجت الروح من جسده) و مات .

(فصار جيفة) اى كالجيفة ، وهذا مجاز بالمشارفة (بين اهله) و تكرار هذه الكلمة لاشفاق (قد اوحشوا من جانبه) اى من جهته (و تباعدوا من قربه) اذ الناس يخافون من الميت و يتبعدون عنه (لا يسعد باكيا) بالبكاء معه ، اى لا يشاركهم فى احزانهم كما كان يشارك معهم فى حال حياتهم (ولا يجيب داعيا) يدعوه .

(ثم حملوه الى مخط) اى مكان قد خط لقبره (فى الأرض و اسلموه فيه) اى فى ذلك المخط (الى عمله) بمعنى انه يبقى وعمله الذى قدمه فى الحياة فان كان خيرا سعد و ان كان شرّا شقى .

(و انقطعوا عن زورته) اى زيارته ، فلا يزورونه ، و يبقى هناك فى القبر رهن عمله (حتى اذا بلغ الكتاب اجله) اى الذى كتبه الله سبحانه لبقاء الأموات فى القبور ، اجله : اى مدته (و) بلغ (الأمر مقاديره) جمع مقدار ، اى امر الله فى البقاء فى القبر مقداره الذى قدّره وعيّنه .

وَأَلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا، وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ.

(والحق اخر الخلق بأوله) بأن مات الجميع (وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه) باحيائهم وجمعهم فى عالم الآخرة (اماد السماء) اى حركها (وفطرها) اى شقّها وصدعها، والمراد تبديد نظام السماء، وهذا جواب ((اذا)) (وارجّ الأرض) من الرجة بمعنى الحركة (وارجفها) اى زلزلها (وقلع جبالها) عن مواضعها (ونسفها) اى ازالها (ودك بعضها بعضا) الدك الضرب (من هيبة جلالته) سبحانه .

(ومخوف سطوته) اى سلطته المخوفة، والألفاظ اما على الحقيقة ،انكانت الجبال تشعر، اوكناية .

(واخرج) الله سبحانه (من فيها) اى فى الأرض من الأموات (فجددهم بعد اخلاقهم) جمع خلق، بمعنى البلى، وانما جئ بالجمع، باعتبار كل شخص شخص (وجمعهم بعد تفرّقهم) فى اماكن متعدّدة من الأرض .

(ثم ميزهم) اى جعل كل جماعة ذات عمل متشابه، متميزة عن الجماعة الأخرى (لما يريد) سبحانه (من مسألتهم عن خفايا الأعمال) اى الأعمال التى عملوها خفية (وخبايا الأفعال) جمع خبيئة وهى الخفية (وجعلهم فريقين) مختلفين (انعم على هؤلاء) بالجنّة والمغفرة (وانتقم من هؤلاء) بالنار و

فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ ٱلنُّزَّالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ ٱلْحَالُ ، وَلَا تَنُوبُهُمُ ٱلْأَفْزَاعُ ، وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ ٱلْأَسْفَارُ وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِي إِلَىٰ ٱلْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ ٱلنَّوَاصِيَ بِٱلْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ ، وَمُقَطَّعَاتِ ٱلنِّيرَانِ ،

العقاب .

(فاما اهل طاعته فأثابهم بجواره) و المراد مجاورة رضاه و لطفه ـ فانه سبحانه منزّه عن المكان ـ . (و خلّدهم فى داره) اى جعلهم خالدين باقين ابدالآبدين (حيث لا يظعن) اى لا يرحل (النزال) جمع نازل ، اى ليس لهم انتقال من الآخرة (و لا تتغير بهم الحال) فى سرور دائم وعيش رغد .

(و لا تنوبهم الافزاع) جمع فزع بمعنى الخوف ، و نابه بمعنى ادركه (و لا تنالهم الاسقام) جمع سقم بمعنى المرض (و لا تعرض لهم الاخطار) جمع خطر، و هو ما يوجب ذهاب محبوب من محابّ الانسان .

(و لا تشخّصهم الأسفار) جمع سفر ، اى ليس لهم سفر ، و اشخصه بمعنى اذهب به ، و السّفر حيث فيه المشقّة لا يوجد فى الجنّة (و اما اهل المعصية فأنزلهم شرّ دار) و هى جهنّم (وغل الأيدى) لهم (الى الأعناق) حيث يجمع بينهما فى الغل (و قرن النواصى) جمع ناصية مقدم الرأس (بالأقدام) يجمع بينهما زيادة فى العذاب و النكال .

(و ألبسهم سرابيل القطران) سرابيل جمع سربال و هو الثوب ، والقطران شئ كالدّهن له رائحة كريهة تسرع فيه النّار (و مقطعات النّيران) اى الألبسة

فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يُفَادَىٰ أَسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَىٰ ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَىٰ .

مِنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ،

المقطعة من النار (فى عذاب قد اشتد حره) حتى ان حرارة النارفى الدنيا الا شئ بالنسبة اليه ـ كما ورد ـ ٠

(وباب) لجهنم (قد اطبق) وسد (على اهله) اى اهل العذاب (فى نارلها كلب) اى هيجان (ولجب) اى صوت مرتفع (ولهب) اى شعلة (ساطع) عال (وقصيف) هو الصوت الشّديد ٠

(هائل) يوجب الهول والوحشة (لا يظعن) اى لا يسافر ولا يرحل (مقيمها) اى المقيم فى تلك النّار فانها ابدية دائمة (ولا يفادى اسيرها) اى لا يقبل اعطاء الفدية عن الأسير فى تلك النّار حتّى ينجو ، كما يفادى الأسير فى الدنيا (ولا تفصم) اى لا تنقطع (كبولها) جمع كبل بمعنى القيد (لا مدة للدار فتفنى) كما تفنى الدنيا (ولا اجل للقوم) اى مدة لبقائهم هناك (فيقضى) ذلك الأجل ، ويتخلّصوا من العذاب ٠

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

(قد حقر الدنيا وصغّرها) اى رأها حقيرة صغيرة لا اهمية لها ولا شأن لأمرها ٠

وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا عَنْهُ ٱخْتِيَاراً ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَي لَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً ، أَوْ يَرْجُوَ مِنْهَا مَقَاماً . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً نَحْنُ شَجَرَةُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ ٱلرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ ٱلْمَلَائِكَةِ ،

(واهون بها) اى رآها هونا (وهونها) اى رآها يسيرا .

(وعلم) صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله زواها) اى صرف الدنيا (عنه) صلّى الله عليه وآله وسلم (اختيارا) اى اختيار للرسول الابتعاد عن الدنيا (وبسطها لغيره) كالكفّار والفراعنة (احتقارا) للدنيا ، فانها ليست بشئ مهم حتى يمنع عن الاشرار .

(فأعرض) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (عنها) اى عن الدنيا (بقلبه) فلم يحبها (وامات ذكرها عن نفسه) فلم يكن يحدث نفسه بالنيل منها (وأحبّ ان تغيب زينتها عن عينه) فانّ الانسان اذا لم يرّ الشئ المرغوب فيه ، لم يتمناه.

(لكى لا يتّخذ منها رياشا) اللباس الفاخر وما اشبهه (او يرجو منها) اى من الدنيا (مقاما) ومنصبا (بلغ) صلى الله عليه وآله (عن ربّه معذرا) اى ما يوجب العذر من طرفه سبحانه ، اذا عذّب العاصى بعد البلاغ .

(ونصح لأمته منذرا) لهم مخوفا عن عذاب الآخرة (ودعا الى الجنّةمبشرا) بالثواب لمن اطاع .

ثم عطف الامام الى اهل البيت عليهم السلام بقوله : (نحن شجرة النّبوّة) اى المتفرعون من تلك الشجرة (ومحطّ الرسالة) اى محل حطّ الرسالة السماوية .

(ومختلف الملائكة) اى محل اختلافهم وذلك بهبوطهم وصعودهم مـــن

وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ ، نَاصِرُنا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّطْوَةَ .

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عليه السّلام

في اركان الاسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَىٰ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ،

اختلف اليه اذا جاء وذهب .

(ومعادن العلم) فكما انّ المعدن محل الشئ الثمين الذى يتكون فيه كذلك الأئمة عليهم السلام محلات للعلم الكثير .

(وينابيع الحكم) جمع ينبوع وهى العين ، والحكمة العلم بمواضع الاشياء ومناسبات الأمور (ناصرنا ومحبّنا) وان لم يتمكن من نصرنا (ينتظر الرّحمة) من اللّه سبحانه لأنه امر بحبّنا ونصرتنا (وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السّطوة) والعذاب من اللّه تعالى .

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عليه السّلام

في اركان الاسلام

(انّ افضل ما توسّل به المتوسّلون الى اللّه سبحانه) الوسيلة هى السبب الذى يتسبب به الى شئ محبوب (الايمان به) اى باللّه (وبرسوله) اى تصديقه فانه احسن الوسائل التى يتقرّب الانسان بها الى لطف اللّه ورحمته .

وَٱلْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ ؛ وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ ؛ وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ ؛ وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ؛ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ ؛ وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ ٱلذَّنْبَ ؛ وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ فَإِنَّهَا

(والجهاد فى سبيله) بالمال والنفس وسائر ما يبذله الانسان فى سبيل اقامة امر الاسلام .

(فانه) اى الجهاد (ذروة الاسلام) اى اعلى احكام الاسلام وذلك لأنه الشئ الوحيد الذى يوجب وجود الاسلام فى الناس ، وبقائه (وكلمة الاخلاص) اى الشهادة بالوحدانية — وهذا غير الايمان فانّ الايمان لا ينافى الاشراك، فانه ايمان باثنين — (فانها الفطرة) اى الخلقة فان الخلقة الخالية عن الشوائب و الشبهات اذا نظر الى الكون وفهم وحدة النّظام فيه لا بدّ وان يعترف بالوحدانيّة

(واقام الصلاة) اى الاتيان بها بحدودها وشروطها (فانّها الملة) اى انّها اعظم ركن من اركان الملة الاسلامية — اى طريقتها — ولعظمها فكأنها هى الملة بالذات .

(وايتاء الزكاة) اى اعطائها (فانها فريضة واجبة) ثابتة فى الشريعة .

(وصوم شهر رمضان فانّه جنّة) اى وقاية (من العقاب) كالجنّة للمحارب التى تقيه من الأعداء .

(وحج البيت واعتماره) اى العمرة (فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب) اى يغسلان الذنب .

(وصلة الرّحم) بأن يصل الانسان ارحامه فلا يتطعمهم (فانها) اى الصلة

مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي ٱلْأَجَلِ ؛ وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ ؛ وَصَدَقَةُ ٱلْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ ؛ وَصَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ . وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ . وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ

(مثراة فى المال) اى موجبة للثروة (و منساة فى الأجل) اى توجب تأخيره ، من نسى اذا تأخّر ٠

(و صدقة السّر) اى اعطاء الصّدقة سرّا بحيث لا يعلم بها احد (فانها تكفر الخطيئة) اى توجب محو الذّنب ٠

(و صدقة العلانية) بأن يتصدق الانسان فى العلن ــ مع التّحفّظ على الاخلاص ــ (فانها تدفع ميتة السّوء) اى الموت السئ كالغرق و الحرق والهدم و ما اشبه ٠

(و صنائع المعروف) اى صنع الشئ الحسن كاعانة الفقراء و مساعدة اهل الحاجة و السّعى فى زواج العزّاب و ما اشبه ذلك (فانّها تقى) اى تحفظ الانسان عن (مصارع الهوان) اى السّقطات الموجبة للهون و الذلّة ، كذهاب مال الانسان و منصبه و تشتّت أمره و ما اشبه ذلك ٠

(افيضوا فى ذكر اللّه) الافاضة الدخول ، و معنى الجملة المواظبة على الذكر (فانه احسن الذكر) لأنه موجب لانارة القلب و مرضات الرّب و ثواب الآخرة ٠

(و ارغبوا فيما وعد) الله (المتّقين) و الرّغبة فيه بالعمل الصّالح المؤدّى اليه (فان وعده اصدق الوعد) لا خلف فيه و لا زيادة او نقصان (و اقتدوا بهدى نبيكم) هديه اى طريقته الرشيدة الموجبه للوصول الى الغاية ٠ (فانه افضل

ٱلْهَدْيِ . وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَىٰ ٱلسُّنَنِ .

وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ . فَإِنَّ ٱلْعَالِـمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ

الهدى) لأنه موصل الى السعادة فى الدآرين .

(و استنّوا بسنّته) اى ابتغوا سنّته (فانّها اهدى السّنن) اى احسن السّنن هداية ، ولعل الفرق بين الجملتين انّ الأول خاصة بسيرته الشّخصيّة صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و الثّانية عامة لما شرّعه صلى الله عليه و آله و سلم من الأحكام و بينه من طريق السعادة .

(و تعلموا القرآن فانه احسن الحديث) اذ هو جامع لخير الدنيا و سعادة الآخرة .

(و تفقهوا فيه) بمعرفة تفسيره و تأويله (فانه ربيع القلوب) فان فهم القرآن موجب لازدهار القلوب كما يزدهر الربيع بالخضروات (و استشفوا بنوره) اى اطلبوا الشفاء من ظلمة الجهل بنور القرآن الموجب لمعرفة الحقائق الكونية و الشرعية (فانه شفاء الصدور) من ظلمة الجهل ، فان الجهل من اشد الأمراض .

(و احسنوا تلاوته) اى قرائة القرآن (فانه احسن القصص) اذ فيه القصص الحقه الموجبة للهداية و التبصر ، و لما ذكر الامام عليه السلام لزوم الاتيان للمذكورات ، بعد ما تلبس الانسان لباس الاسلام ، بين انه بدون العمل بهذه الأمور ، و الاكتفاء بالعلم بها ، موجب للخسران .

(فان العالم العامل بغير علمه) كان علم بوجوب الصلاة و الزكاة و الحج و حسن الصدقة و التلاوة ، لكنه لا يعمل بما يعلم (كالجاهل الحائر) الذى يتحير

اَلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ اَلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَاَلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اَللهِ أَلْوَمُ

وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْهِ السَّلَام

في ذم الدنيا

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ،

فی وجه الخير و طريق السعادة (الذی لا يستفيق من جهله) ای لا يتخلص من جهله، فان العلم انما هو للعمل فاذا لم يكن عمل كان العالم كالجاهل (بل الحجة عليه اعظم) لأنه ترك العمل بعد المعرفة، و الحجة على الجاهل: انه لم يتعلم؟ (و الحسرة له) فی فوات الخيرات عنه (الزم) ای اكثر لزوما من الحسرة على الجاهل (و هو) العالم التارك للعمل (عند الله الوم) ای اشد لوما، فان لوم الله سبحانه له اكثر من لومه للجاهل، و انكانا كلاهما يشتركان فی اللوم.

وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْهِ السَّلَام

فی ذم الدنيا

(اما بعد) ای بعد الحمد و الصلاة (فانی احذركم الدنيا) ای اخوفكم من الوقوع فی حبائلها و شهواتها (فانها حلوة خضرة) لها طعم حسن و لون جذّاب.

(حفّت بالشّهوات) ای ان الشهوات احاطت بالدنيا، وذلك كناية

وَتَحَبَّبَتْ بِـالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا . غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ . لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَىٰ أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ

انها تلازم الشهوات ، و تخالطها (و تحببت) اى تقربت الى الناس (بالعاجلة) اى كونها غير اجلة ، و انما عاجلة يأخذها الانسان بدون ترقب و الناس يحبون العاجلة .

(و راقت) اى تزينت (بالقليل) اى بشئ قليل من المال و الجاه ، فى مقابل درجات الآخرة ، ونعيمها الكثير (و تحلت) من الحلّى ، اى تزينت (بالآمال) فان الانسان يأمل المستقبل الخير ، و هى زينة الدنيا حتى ان الانسان اذا لم يرج مستقبلا زاهرا ، لم يكن لدنياه حلية .

(و تزينت بالغرور) اى ان زينة الدنيا كذب لا اساس لها ، و انما هى غرور وخداع اذ زينتها ليست الا صوريّة زائلة (لا تدوم حبرتها) الحبرة السرور و النعمة (ولا تؤمن فجعتها) اى ان الانسان لا يؤمن ان تصيبه مصيبة و فجيعة (غرارة) كثيرة التغرير و الخداع (ضرارة) كثيرة الضرر (حائلة) اى متغيرة تنقلب من حال الى حال (زائلة) تزول و تنقضى (نافدة) تنفد و تنتهى (بائدة) اى هالكة .

(اكّالة) تأكل كل شئ بافنائها له (غوالة) اى مهلكة من غال بمعنى اهلك (لا تعدو) يتأتى متعلقه فى قوله ((ان تكون)) و الجملة فى وسطهما اعتراض .

(ـ اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها) اى اذا اتت باماني الناس و آمالهم (والرضا بها ـ) لأنها جائت بأمانيهم (ان تكون) متعلق بـ ((لا

كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً». لَمْ يَكُنِ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا

تعدوا)) ٠

(كما قال الله تعالى سبحانه) اى ليست اكثر من هذا المثل المذكور فى القرآن الكريم (كماء انزلناه من السماء) اى المطر و المراد بالسماء جهة العلو (فاختلط به نبات الأرض) هذا فى غاية البلاغة ، حتى كان الماء لم ينشاء النبات ، وانما صرف اختلاط ــ لبيان السرعة فى التكون دليلا على سرعة الدنيا ــ (فأصبح هشيما) الهشيم النبت اليابس المتكسر، و فى هذا ايضا من البلاغة ما لا يخفى حتى كأنه لم يكن فصل بين اختلاط الماء بالنبات و بين ان يصبح هشيما ــ الا بمقدار ((الفاء)) ــ ٠

(تذروه الرياح) اى تنقله من مكان الى مكان (وكان الله على كل شئ مقتدرا) فهو سبحانه قادر على هذه التبديلات و التحويلات فى سرعة خاطفة (لم يكن امرؤ منها) اى من الدنيا (فى حبرة) اى سرور و حبور (الا اعقبته) اى اعقبت الدنيا ذلك الشخص (بعدها) اى بعد الحبرة (عبرة) بأن بكا بعد السرور فان ((العبرة)) بمعنى ((الدمعة)) ٠

(ولم يلق) امرء (فى سرائها) اى افراح الدنيا (بطنا) كأن الدنيا مقبلة عليه فبطنها بطرف ذلك الانسان (الا منحته) الدنيا (من ضرائها) اى ضررها و بوسها (ظهرا) بأن ادارت الدنيا له ظهرها و انقلبت عليه ٠

(ولم تطله) الطل المطر ، اى لم تمطر على احد (فيها) اى فى الدنيا

دِيمَةُ رَخَاءٍ ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى ، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى ! لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً ، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً ! وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ ! غَرَّارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ ،

(ديمة) هى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق (رخاء) بأن صار رخى البال الكثير النعم دائمها (الا هتنت عليه) اى امطرت ،من الهتن بمعنى الصب (مزنة) بمعنى المطر (بلاء) اى انصبت عليه البلاء ، كما انصب عليه الرخاء .

(و) الدنيا (حرى) اى حقيق (اذا اصبحت له) اى لأحد (منتصرة) نصرته على اعدائه (ان تمسى) الدنيا (له) اى لذلك الشخص (متنكرة) كالذى لا يعرفه فتنقل الانتصار الى جانب آخر (وان جانب) اى طرف (منها) اى من الدنيا (اعذوذب) اى صار عذبا فراتا (واحلولى) اى صار حلوا (امر منها جانب) اى صار مرا (فأوبى) اى صار كثير الوباء ، وهو مرض قتال (لا ينال امرؤ من غضارتها) اى نعمتها وسعتها (رغبا) اى رغبته وميلا .

(الا ارهقته) الدنيا ، والارهاق تحميل العمل الموجب للتعب والنصب (من نوائبها) جمع نائبة وهى المصيبة الشديدة (تعبا) بأن اوقعته فى التعب بعد الراحة (ولا يمسى) الانسان (منها) اى من الدنيا (فى جناح امن) كأنه فى اعلى مراتب الأمن ، على جناح طائر ــ هو الأمن ــ (الا اصبح على قوادم خوف) جمع قادمة وهى ريشات كبار فى مقدم جناح الطائر ،وهذا تشبيه لشدة الخوف لأن الكائن على القوادم فى معرض السقوط ، الدنيا (غرارة)كثيرة الخدع (غرور ما فيها) فان كل ما فيها ــ لزواله ــ كأنه غرور وخدعة (فانية)

فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ! وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ. وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ،

هى اى الدنيا (فان من عليها) من الانسان وغيره (لا خير فى شئ من ازوادها) جمع زاد (الا التقوى) فان اتقاء الله و المعاصى هو الذى يبقى الى الآخرة .

(من اقل منها) اى اخذ القليل من الدنيا (استكثر مما يؤمنه) اى كان امنه كثيرا ، اذ كلما قل جانب كثر الجانب الآخر (و من استكثر منها) اى اكثر من الدنيا (استكثر مما يوبقه) اى يهلكه (وزال) اى انتقل (عما قليل)((ما)) زائدة لتأكيد معنى القلة (عنه) اى عما استكثر من الدنيا .

(كم من واثق بها) اى بالدنيا ظان انها تبقى له (فجعته) اى افقدت منه ما يحبه من امور الدنيا ، كالأهل و المال و المنصب و ما اشبه .

(و) كم من (ذى طمأنينة) اى اطمينان (اليها قد صرعته) اى اوقعته على الأرض المذله و العدم (و) كم من (ذى ابهة) اى عظمة و رفعة (قد جعلته) الدنيا (حقيرا) بأن اذهبت ابهته .

(و) كم من (ذى نخوة) اى افتخار و اعتزاز بما لديه من العز و الشرف (قد ردّته) اى ارجعته الدنيا (ذليلا) بأن ارغمت انفه (سلطانها دول) ينتقل من هذا الى ذاك و هكذا جمع دولة و هى انقلاب الزمان .

(وعيشها رنق) اى كدر فانه مشوب بالآلام و الاسقام (وعذبها اجاج) اى

وَحُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً،

مالح شديد الملوحة، اذ فى عين عذوبة جانب اجاج فى جانب (و حلوها صبر) هو عصارة شجر مرة .

(وغذاؤها سمام) جمع سم و هو ما يوجب قتل الانسان اذا شربه، اى ان غذاء الدنيا مشوب بالسم .

(واسبابها رمام) و هى القطعة البالية من الحبل، جمع رمة :اى ان يتمسك بها من الدنيا، و يجعل سببا للوصول الى هدف وغاية، بال منقطع (حيها بعرض موت) اى فى معرض ان يفنى و يموت (وصحيحها بعرض سقم) اى معرض للمرض .

(ملكها مسلوب) يسلب من يد المالك اما بالحوادث او بالموت (وعزيزها مغلوب) بغلبة آخر عليه او غلبة الموت .

(و موفورها منكوب) اى ما كثر من الدنيا ووفر مصاب بالنكبة اى فى معرض المصيبة و الشديدة التى تذهب بذلك الكثير .

(وجارها محروب) اى من جاور الدنيا و كان فيها فانه يصيبه الحرب ـ على وزن فرس ـ اى السلب والنهب .

(الستم) ايها النّاس (فى مساكن من كان قبلكم) من الأمم فى حال كونهم (اطول) منكم (اعمارا و ابقى آثارا) فانهم لقوة آثارهم بقيت الى هذا الوقت، كقلعة حلب وغيرها (وابعد آمالا) فانهم حيث كانوا اطول اعمارا، كانت

وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ جُنُوداً ! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ . فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً ! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ ،

آمالهم ابعد من هؤلاء .

(واعد عديدا) اى اكثر تعدادا للعدد والأشخاص (و اكثف) اى اكثر (جنودا) والخطاب اما عام ، او خاص بالنسبة الى المخاطبين .

(تعبدوا) اى عبدوا (للدنيا اى تعبد) وعبادتهم لها بمعنى خضوعهم لزخارفها كما يخضع العابد للمعبود .

(واثروها) اى قدموها على سائر الأشياء (اى ايثار) وهذا اللفظ للتعظيم ، اى ايثارا عظيما .

(ثم ظعنوا عنها) اى انتقلوا (بغير زاد) من العمل الصالح (مبلغ) يبلغهم ذلك الزاد الى الآخرة ، وهذا كناية عن بقائهم بعد الموت فقراء عن العمل ، فأهلكهم العذاب ، كما ان من لا زاد له فى السفر يهلكه الجوع و العطش .

(ولا ظهر) اى دابة يركبون ظهرها (قاطع) يقطع الطريق و يوصلهم الى الغاية المنشودة (فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية) بان اعطتهم انفسهم فى مقابل فداء اخذته منهم ، اى هل ابقتهم الدنيا ، ام اهلكتهم ؟ .

(او اعانتهم) لدى الشدائد والموت (بمعونة) اسدتها اليهم لاخراجهم من الشدة (او احسنت لهم صحبة) بأن حفظت كرامتهم و حقوقهم ؟ كلا ! (بل ارهقتهم) اى اتعبتهم الدنيا (بالقوادح) جمع قادحة و هى مرض يقع فى

وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ ، وَ وَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ،وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ « رَيْبَ الْمَنُونِ ». فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ،

الأسنان فيبددها و يفسدها ٠

(و اوهنتهم) اى اضعفتهم (بالقوارع) جمع قارعة ، و هى المصيبة الشديدة التى تقرع الانسان و تحطمه ٠

(وضعضعتهم) اى حركتهم و ذللتهم (بالنوائب) جمع نائبة و هى المصيبة (وعفرتهم للمناخر) جمع منخر بمعنى الأنف ، اى كبت انوفهم فى التراب ، من ((العفر)) بمعنى التراب ٠

(ووطئتهم) الدنيا (بالمناسم) جمع منسم و هو رجل البعير ، اى داست الدنيا عليهم بأرجلها ٠

(واعانت) الدنيا (عليهم ريب المنون) اى الموت لما اراد اخذهم اعانت الدنيا الموت لاختطافهم و اهلاكهم ٠

(فقد رأيتم) ايها النّاس (تنكرها) كأنها لا تعرفهم (لمن دان لها) اى خضع للدنيا بصرف اوقاته فى طلبها و تجميلها (و) لمن (اثرها) اى قدم الدنيا على الآخرة (و اخلد لها) اى ركن اليها (حتى ظعنوا) اى ارتحلوا (عنها لفراق الابد) اى مفارقة لا رجوع اليها ٠

(و هل زودتهم) الدنيا ، اى اعطتهم الزاد (الا السغب) اى الجوع (او احلتهم الا الضنك) اى الضيق ، اى احلتهم فى محل ضيق (او نوّرت لهم الا الظلمة) اى ارتهم الظلمة باسم النور ٠

أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ! أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا ،وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَىٰ وَجَلٍ مِنْهَا ! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» : حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً ، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً ،

(او اعقبتهم الا الندامة) فان الانسان يندم على ما اخذ من الدنيا (افهذه الدنيا (تؤثرون) لها على الآخرة ، بعد هذه الأوصاف ؟ والاستفهام للانكار (ام اليها تطمئنون) ؟ اى ببقائها و دوامها (ام عليها تحرصون) لجمعها و اقتنائها .

(فبئست الدار) الدنيا (لمن لم يتهمها) بالخيانة و الغدر (ولم يكن فيها على وجل) و خوف (منها) اما من اتهمها و وجل منها وعمل لآخرته فنعمت الدار هى اذ الانسان يحصل على الآخرة فيها .

(فاعلموا) ايّها النّاس (ـ وأنتم تعلمون ـ) جملة معترضة (بأنكم تاركوها) عند الموت (وظاعنون) اى مسافرون (عنها) الى الآخرة (واتّعظوا فيها) اى خذوا الموعظة فى الدنيا (ب) الكفار (الذين قالوا) تبجّحا واغترارا (من اشدّ منّا قوّة) ؟ ظانّين ان قوتهم تمنع عن بأس الله فيهم وعن الموت ان ينزل بهم .

(حملوا الى قبورهم) بالجنائز (فلا يدعون ركبانا) جمع راكب: اى لا يقال لهم الناس انهم راكبون ـ حين ما حملوا فى الجنائز ـ اذ الراكب هو من ركب اختيارا .

(وانزلوا الاجداث) جمع جدث و هو القبر (فلا يدعون ضيفانا) جمع

وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَ جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ .

ضيف اى لا يقال لهم : انهم ضيوف ، لأن الضيف ليس بهذه الكيفيّة .

(وجعل لهم من الصفيح) بمعنى وجه الأرض ، فانه يستعمل فى كل شىء عريض ، او المراد بالصفيح ((اللبن)) (اجنان) جمع جنن بمعنى القبر .

(ومن التراب اكفان) فان اكفانهم تبلى ولا تبقى الا القبر مشتملا عليهم (و من الرفات جيران) الرفات العظام البالية ، اى انّ جيرانهم عظام سائر الأموات

(فهم جيرة) جمع جار (لا يجيبون داعيا) ان دعاهم احد لم يتمكنوا من اجابته (ولا يمنعون ضيما) اى ظلما ينزل بهم ، فلو اذاهم احد لم يتمكنوا من دفعه .

(ولا يبالون مندبة) اى لا يهتمون بندبة احد لهم (ان جيدوا) اى مطروا، من جاره الغيث (لم يفرحوا) كما يفرح اهل الدنيا بالمطر لنماء زروعهم وثمارهم .

(وان قحطوا) اصابهم القحط ، بأن لم يمطر السّحاب (لم يقطنوا) لعدم تضرّرهم بالقحط (جميع وهم آحاد) فانّ ابدانهم مجتمعة فى المقابر لكنّهم آحاد ، حيث لا صلة ولا تزاور ولا تعارف بينهم ، وهذا بالنسبة الى أبدانهم اما أرواحهم فهى مستأنسة بعضها ببعض انكانوا متّقين ـ كما ثبت بالضرورة من الدين ـ .

(وجيرة) اى بعضهم جار بعض لتجاور قبورهم (وهم ابعاد) احدهم يبعد عن الآخر .

مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ. وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ. وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ. اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا ،

(متدانون) اى بعضهم قريب من بعض (لا يتزاورون) اى لا يزور احدهم الآخر (و قريبون) فى النسب او فى المزار (لا يتقاربون) اى لا يقرب بعضهم من بعض ·

(حلماء قد ذهبت اضغانهم) اى انّهم كالحليم الذى لا يضغن و لا يحقد احدا (و جهلاء) اى انهم كالجهّال ، لأن علمهم قد سلب عن اجسادهم (قد ماتت احقادهم) فان الجاهل يحقد ، لكن هؤلاء لا يحقدون ·

و يحتمل ان يكون المراد ان حليمهم لا يضغن و جاهلهم لا يحقد ، على خلاف ما كانوا فى الدنيا ·

(لا يخشى فجعهم) اى لا يخاف احد ان يفجعوه و يصيبوه باذى ، او لا يخاف ان ينفجع احد منهم بفجيعه ·

(و لا يرجى دفعهم) بأن يدافعوا عن الاحياء كما كانوا يدافعون فى حال حياتهم ·

(استبدلوا بظهر الأرض بطنا) فتركوا ظهر الأرض ، و ناموا فى بطنها ·

(و بالسعة ضيقا) فكانوا فى سعة الدنيا فصاروا فى ضيق القبور (و بالأهل غربة) فقد كانوا فى اهلهم ثم صاروا غرباء ·

(و بالنور ظلمة) فقد كانوا فى نور الشمس و القمر ، ثم صاروا فى ظلمة القبر ·

(فجاؤوها كما فارقوها) اى رجعوا الى الأرض بعد مفارقتهم لها ، فان

حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ ٱلْحَيَاةِ ٱلدَّائِمَةِ وَالدَّارِ ٱلْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّىٰ أَحَداً ؟ بَلْ

الانسان كان ترابا ثم نباتا ، ثم منيّا ، ثم انسانا ، ثم يرجع الى حالة التراب كما كان سابقا .

(حفاة عراة) اى جائوها فى حال عدم التنعل ، وعدم اللباس (قد ظعنوا عنها بأعمالهم) اى سافروا عن الأرض ، والمراد مسافرة ارواحهم (الى الحياة الدائمة والدار الباقية) وهى الجنّة او النّار .

(كما قال سبحانه : كما بدأنا اول خلق نعيده) اى كما ابتدنا خلق الانسان من التراب ، نعيده فى التراب (وعدا علينا) اى ان هذا وعد لازم علينا ان نفى به (انا كنا فاعلين) لذلك .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى امتناع وصف الاله و ((ذكر فيها ملك الموت و توفية النفس))

(هل تحس) ايها الانسان (به) اى بملك الموت (اذا دخل منزلا) لقبض الأرواح ؟ (ام هل تراه اذا توفى) اى امات (احدا) من النّاس (بل

كَيْفَ يَتَوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ !

كيف) يدخل ملك الموت فى بطن النّساء و (يتوفّى الجنين فى بطن امّه) ((توفى)) متعد ، فاعله ملك الموت ، قال سبحانه : ((اللّه يتوفّى الأنفس)) وحكى ان احدا قال وراء جنازة ((من المتوفى)) ؟ بصيغة الفاعل ، فقال الامام امير المؤمنين ـ وكان حاضرا ـ : الله ، فتعجب الرجل فقال الامام ((اللّه يتوفّى الأنفس)) .

(ايلج) اى يدخل الملك (عليه) اى على الجنين (من بعض جوارحها) اى من بعض اعضاء المرأة ، جمع جارحة بمعنى العضو (ام الروح اجابته) اى اجابت ملك الموت حين طلبها من الخارج (باذن ربّها) ((الروح)) مؤنث سماعا (ام هو) اى الملك القابض لروح الجنين (ساكن معه) اى مع الجنين (فى احشائها) اى فى بطنها ؟.

(كيف يصف آلهه من يعجزعن صفة مخلوق مثله) ؟ اى ملك الموت ، فان من لا يقدر وصف المخلوق لا يقدر وصف الاله ، بالاولى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم الدنيا

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارُ هَانَتْ عَلَىٰ رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم الدنيا

(واحذّركم) اى اخوفكم ايها النّاس من (الدّنيا فانّها منزل قلعة) اى محل انقلاع وعدم استقرار (وليست بدار نجعة) اى ليست محط الرحال ،فان النجعة بمعنى طلب الكلاء فى موضعه ، فان القوافل كانوا يطلبون لمنزلهم محلا ذا كلاء ، فاذا لم يجدوه لم ينزلوا .

(قد تزيّنت بغرورها) اى ازدانت للنّاس بالخداع والغرور لا بالواقع و الصدق ، بمعنى ان زينتها ليست صادقة (وغرّت) اى خدعت النّاس(بزينتها) الزائلة .

(دار هانت على ربّها) لا قيمة لها عند الله سبحانه (فخلط حلالها بحرامها) بمعنى ان جعل سبحانه فيها من النوعين (وخيرها بشرّها وحياتها بموتها وحلوها بمرّها) ولو كانت عزيزة عنده سبحانه لم يجعلها الا محلا للخيرات فقط ، كما انّ الانسان اذا اصطفى شيئا لم يجعل فيه الاّ الخير .

لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَىٰ فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ! ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ.

(لم يصفها الله تعالى لأوليائه) اى لم يجعلها صافية لهم عن الأكدار و الآلام (ولم يضنّ بها) سبحانه، اى لم يمنعها (على اعدائه) وهم الكفّار والعصاة ٠

(خيرها زهيد) اى قليل (وشرّها عتيد) اى حاضر (وجمعها ينفد) اى يخلص ويتم (وملكها يسلب) يسلبه الفناء (وعامرها يخرب) فان العمارة مهما كانت محكمة يسرى اليها الخراب والفناء ٠

(فما خير دار تنقض) اى تهدم (نقض البناء) اى كما ينهدم البناء، و الاستفهام للانكار، يعنى لا خير فى مثل هذه الدّار ٠

(و) ما خير (عمر يفنى فناء الزّاد) فكما يفنى المأكول يفنى عمر الانسان و ينتهى (و) ما خير (مدّة تنقطع انقطاع السّير) فكما انّ السّائر ينقطع سيره بعد مدّة كذلك تنقطع مدّة بقاء الانسان فى الدّنيا بعد زمان مقدّر له ٠

(اجعلوا ما افترض الله عليكم) من الواجبات وترك المحرّمات (من طلبكم) فكما انتم تحصلون على مطالبكم الدنيوية — من اكل وشرب ولباس وما اشبه — بكلّ حرص واشتياق، فكذلك اجعلوا فرائض الله هكذا ٠

(واسألوه من اداء حقّه ما سألكم) اى اطلبوا من الله سبحانه ان يوفّقكم لاداء ما فرضه عليكم — الذى هو حقّه — ومعنى ((ما سألكم)) الشئ الذى طلبه منكم ٠

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلْآمَالِ ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ ٱللهِ ،

(واسمعوا دعوة الموت اذانكم) اى اسمعوا اذانكم دعوة الموت لكم ، وهذا كناية عن تملّى الانسان بقضية الموت (قبل ان يدعى بكم) اى قبل ان تدعون الى الموت .

(انّ الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم) كناية عن حزنها (وان ضحكوا) بوجوههم (ويشتدّ حزنهم) الباطن (وان فرحوا) فى الظاهر .

(ويكثر مقتهم انفسهم) اى غضبهم على انفسهم ـ لأنها لا تطاوعهم فيما يريدون من الأعمال ـ (وان اغتبطوا بما رزقوا) اى غبطهم غيرهم بما رزقهم الله سبحانه من الحظ فى الطاعة والعبادة (قد غاب عن قلوبكم) أيها الناس (ذكر الآجال) اى الموت فلا تذكرونه .

(وحضرتكم كواذب الآمال) اى الآمال الكاذبة التى لا تصلون اليها ، فانها نصب أعينكم تسعون لها (فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة) ازمتكم بيد الدنيا كأنكم ملك لها .

(و) صارت (العاجلة) اى الدنيا العاجلة (اذهب بكم) اى اكثر تسييرا لكم نحوها (من الآجلة) اى الآخرة التى هى مؤجلة .

ثم مثل الامام عليه السلام لكون الدنيا اخذة بزمامهم ، لا الدين ، بقوله : (وانما انتم اخوان على دين الله) كما قال سبحانه : ((انّما المؤمنون اخوة)) .

مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ. وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

(ما فرّق بينكم الا خبث السّرائر) اذ حبّ المال والجاه وما اشبه يوجب التحاسد والتفرقة (وسوء الضمائر) اى النوايا السيّئة (فلا توازرون) اى لا يتعاون بعضكم بعضا ، من ((وزر)) (ولا تناصحون) لا ينصح بعضكم بعضا (ولا تباذلون) لا يبذل الغنى منكم للفقير (ولا توادّون) لا يحب احدكم الآخرة ٠

(ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا) ؟ اى لماذا تفرحون بدنيا يسيرة (تدركونه) اى اذا ادركتم ذلك اليسير ٠

(ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه). اى تحرمون منه بسوء صنيعكم اوكسلكم عن القيام بما يوجب حيازتكم له ، كعدم مسارعتكم فى الاتيان بالمندوبات والفضائل

(ويقلقكم) اى يسبب اضطرابكم (اليسير من الدنيا يفوتكم) بأن يذهب عنكم بعد حيازتكم له ، او بعد رجاء ان تحوزوه (حتى يتبين ذلك) الاضطراب (فى وجوهكم) بانقباضها (و) فى (قلة صبركم عما زوى) اى ابتعد (منها) اى من الدنيا (عنكم) فان قلة الصبر تظهر فى حركات الانسان ٠

(كأنّها) اى الدنيا (دارمقامكم) داركم التى تقيمون فيها الى الأبد (وكان متاعها باق عليكم) متاع الدنيا : ما يتمتع الانسان به فيها من لباس ورياش وما اشبه ٠

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ رَفْضِ ٱلْآجِلِ وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَىٰ لِسَانِهِ ،صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ،وَأَحْرَزَ رِضَىٰ سَيِّدِهِ.

(وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف) عليه (من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله) اى انكم لا تذكرون معائب اخوانكم لهم ، حتى يتجنبون عنها لأنكم تخافون ان ذكرتم عيوبهم ، ان يذكروا لكم عيوبكم و لذا يسكت كل واحد منكم عن عيب الآخر ، و تبقى العيوب بلا اصلاح لها .

(قد تصافيتم) اى صافى بعضكم بعضا (على رفض الآجل) الذى هوالآخرة (وحب العاجل) الذى هو الدنيا (وصار دين احدكم لعقة على لسانه) كاللعوق فان الدين فى اللسان ، لا فى القلب ، فقد قال الامام الحسين عليه السلام : ((النّاس عبيد الدّنيا والدين لعق على السنتهم)) .

تصنعون بالنسبة الى اوامر الله سبحانه (صنيع من قد فرغ من عمله و احرز) اى حاز و ادرك (رضى سيّده) فان الانسان الذى عمل ما وجب عليه و احرز رضى مولاه ، يستريح ولا يهتم ، واهل الدنيا هكذا يصنعون ، بلا مبالاة بأوامره سبحانه .

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

في وعظ الناس

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْوَاصِلِ اَلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَىٰ آلائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَىٰ بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ هٰذِهِ اَلنُّفُوسِ اَلْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ ، السِّرَاعِ إِلَىٰ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ،

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

في وعظ الناس

(الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر) فان من حمده سبحانه تفضل عليه بالنعمة ، ثم طلب من الناس ـ على نعمه ـ الشكر ، فالشكر تابع للنعمة ، والنعمة تابعة للحمد ٠

(نحمده) سبحانه (على آلائه) جمع ((الى)) بمعنى النعمة (كما نحمده على بلائه) اى المصائب ، فانها اما تطهير للذنوب ، او موجبة للأجر ، وكلاهما لطف يستحقّان حمدا ٠

(ونستعينه) اى نطلب اعانته (على هذه النّفوس) اى نفوسنا ، بأن يساعدنا لنتغلّب عليها (البطاء) جمع بطى ، اى التى تبطى (عما امرت به) فان الانسان يتكاسل عن فعل الطاعات (السراع الى ما نهيت عنه) اى تسرع الى ارتكاب المحرمات ٠

(ونستغفره) اى نطلب غفرانه (مما احاط به علمه) اى علمه من المعاصى

وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ ٱلْغُيُوبَ ، وَوَقَفَ عَلَى ٱلْمَوْعُودِ ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ ٱلشِّرْكَ ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

التى ارتكبناها (واحصاه كتابه) اى عدّه كتابه الذى كتب فيه اعمالنا ، فان علمه سبحانه (علم غير قاصر) بل يدرك جميع الأشياء (و) كتابه سبحانه (كتاب غير مغادر) لا يغادر - اى لا يترك - عملا الا كتبه ، كما قال سبحانه : ((لايغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصاها)) .

(و نؤمن به ايمان من عاين الغيوب) المراد بالغيوب ، ذاته سبحانه ،فكما لو فرض انه كان مرئيا ، كان ايمان الانسان به ايمانا قويا ، كذلك نؤمن به الآن ايمانا قويا .

(و وقف على الموعود) و هو يوم القيامة ، و من المعلوم ان الايمان بالحشر، من الايمان بالله (ايمانا نفى اخلاصه الشرك) فان الايمان الخالص يلازم نفى الشرك .

(و) نفى (يقينه الشك) فان الايمان قد يكون ظنا فلا ينفى الشك - اى الاحتمال - اما اذا كان يقينا كان منافيا للشك .

(و نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، و ان محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وآله و سلم) و الشهادة بعبودية الرسول بالاضافة الى انه نوع تشريف له لأنه عبد لله العظيم ، لنفى مزعمة الوهيته صلى الله عليه وآله و سلم كما زعم النصارى بالنسبة الى المسيح ، او الولادة كما زعم اهل الكتاب بالنسبة الى عزير و المسيح عليهما السلام .

شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ ٱلْقَوْلَ ، وَتَرْفَعانِ ٱلْعَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ توضَعَانِ فيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ أوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّتي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا ٱلْمَعَادُ : زَادٌ مُبْلِغٌ ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ . فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا ، وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ تَقْوَىٰ ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ ، وَ

(شهادتين) حال من نشهد (تصعدان القول) الحسن الى السماء ، بمعنى انهما توجبان له قبولا (و ترفعان العمل) الصالح (لا يخف ميزان توضعان) اى الشهادتان (فيه) فانه يثقل بالحسنات .

(ولا يثقل ميزان ترفعان عنه) لأن العمل الصالح بدون الشهادتين غير مجد (اوصيكم عباد الله بتقوى الله) اى الخوف منه الموجب لاتيان الواجب وترك الحرام (التى هى الزّاد) الموجب للوصول الى الغاية المنشودة (وبها المعاد) الحسن .

ثم فسر عليه السلام المراد من الزاد والمعاد بقوله : (زاد مبلغ) كاف لأن يوصل الانسان الى الاخرة بسلام .

(ومعاد منجح) يوجب نجاح الانسان وفوزه بالجنة (دعا اليها) اى الى تلك التقوى (اسمع داع) اى اكثر الداعين اسماعا (ووعاها) اى احتفظ بها واخذها (خير واع) فان كل انسان محتفظ بالتقوى فهو خير راع لأنه وعى احسن شئ (فاسمع) الناس (داعيها) اى الرسول صلى الله عليه وآله و سلم (وفاز) وظفر بسعادة الدارين (واعيها) الذى وعاها .

يا (عباد الله ان تقوى الله حمت) اى منعت من ((حمى)) بمعنى منع (اولياء الله محارمه) اى المحرمات ، لأن من خاف حقيقة اجتنب الحرام (و

أَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَإِ ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ،

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ ؛ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ

الزمت قلوبهم مخافته) اى الخوف منه تعالى ، و ((مخافة)) مصدر ميمى بمعنى الخوف .

(حتى اسهرت) التقوى (لياليهم) هذا من الاسناد المجازى ، اى اسهروا فى الليالى (واظمأت هواجرهم) جمع هاجرة وهى الساعة الحارة فى وسط النهار ، والمراد انهم قاموا الليالى عبادة ، وصاموا النهار حتى عطشوا فى السّاعات الحارّة .

(فأخذوا الراحة بالنصب) اى اخذوا على راحة الآخرة بتعب الدنيا :

(والرى) فى الآخرة (بالظماء) فى الدنيا (واستقربوا الاجل) اى رأوه قريبة (فبادروا العمل) حتى لا يدركهم الأجل وبعد لم يعملوا عملا كافيا .

(ثم انّ الدنيا دار فناء وعناء) اى صعوبة وتعب (وغير) اى تغيرات (وعبر) اى اشياء توجب الاعتبار والتنبه (فمن الفناء) ((من)) لبيان (ان الدهر موتر قوسه) اى جعل لقوسه الوتر ليرمى بها الناس فيهلكهم (لا تخطئ سهامه) التى يرميها نحو الناس ، والمراد بالسهام اسباب الموت .

(ولا توسى جراحه) اى لا تداوى من اسوت الجرح بمعنى داريته (يرمى) الدهر (الحى بالموت) فيموت (والصحيح بالسقم) فيمرض (والناجى

بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ. وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً؛ لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ وَبُؤْساً نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ.

بالعطب) اى الهلاك ، فيهلك ، بعد نجاته من شديدة ، والدهر (**اكل**) للناس (لا يشبع) من اكله (وشارب) للدماء (لا ينقع) بالشرب ، لرفع عطشه ٠

(ومن العناء) اى التعب الموجود فى الدنيا (ان المرء يجمع ما لا يأكل) فتعبه عليه بدون ان يكون له (ويبنى ما لا يسكن) بل يسكنه غيره (ثم يخرج الى الله) المراد الى الدار التى اعدها الله سبحانه للحساب والجزاء (لا مالا حمل) مما جمعه (ولا بناء نقل) مما بناه ولم يسكنه ٠

(ومن غيرها) اى من تغير الدنيا وتقلبها (انك ترى المرحوم مغبوطا) اى ان الانسان الذى يرحمه الناس لفقره او نحوه ، يغبط بعد زمان لتجدد الغناله او نحو ذلك ٠

(و) ترى (المغبوط مرحوما) فمن كان يغبط لماله او جاهه او نحو ذلك يصبح مرحوما يرحمه الناس لفقده اسباب السعادة والاغتباط ٠

(ليس ذلك) الرحم له (الا نعيما زل) وانتقل منه (وبؤسا نزل) عليه (ومن عبرها) اى اسبابها الموجبة للعبرة (ان المرء يشرف على امله) حتى يقال انه وصل اليه (فيقتطعه) عن امله (حضور اجله) حيث يختطفه الموت فلا يصل الى امانيه ٠

فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَىٰ فَيْئَهَا! لَا جَاءٍ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ فَسُبْحَانَ ٱللهِ، مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ!

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ.

(فلا امل يدرك ولا مؤمل) اى صاحب الأمل (يترك) على حاله .

(فسبحان الله) كلمة تستعمل بمعنى التعجب ، والأصل فيها :ان النزاهة عن التغير لله لا لغيره (ما اغر سرورها) فانما ان سرورها غرور محض .

(واظماء ريها) فان ارتواء الانسان فيها من الماء عطش ، لأنه أمل اليه

(واضحى فيئها) الفئ الظل ، والأضحاء البروز الى الشمس ، اى ان فيئها زائل بمجى الشمس مكانه .

(لا جاء يرد) فان الموت والسقم والذلة وما اشبهها اذا قدر مجيئها لا يردّ .

(ولا ماض يرتد) فانّ من مضى لا يرجع (فسبحان الله ما اقرب الحىّ من الميّت) اذ كل حىّ قريب من الموت .

(للحاقه به) اى التحاق الحىّ بالميّت ، بعد ان مات (وابعد الميّت) الذى مات (من الحى) الذى بقى (لانقطاعه عنه) فانّ الانسان اذا مات له ميت انقطع عنه ، فلا يرجع الميت اليه ابدا .

(انه ليس شئ بشرّ من الشّر) اى بأكثر شرّا من الشّر نفسه (الاّ عقابه) فالسرقة مثلا شئ ، وعقابها اكثر شرّا منها (وليس شئ بخير من الخير) اى بأحسن من الخير (الا ثوابه) الذى يبقى .

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا : فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ.

(وكل شئ من الدنيا سماعه اعظم من عيانه) مثلا اذا سمع الانسان ان البحر الكذائى عظيم ، فاذا شاهده رآه اصغر مما فى نفسه ، وهكذا بالنسبة الى سائر الأشياء — والسر ان نفس الانسان خلقت اعظم من جميع ما فى الدنيا — .

(وكل شئ من الآخرة عيانه اعظم من سماعه) مثلا الجنة اذا شاهدها الانسان رأها اعظم مما سمع ، وكذلك سائر امور الآخرة — والعلة ان النفس خلقت اصغر من امور الآخرة — .

(فليكفكم من العيان السماع) اى اكتفوا بسماع الآخرة — فى العمل — عن عيانه الذى هو اعظم منه (ومن الغيب الخبر) اى من الغيب الذى غاب عنكم من امور الآخرة ، الذى سمعتم من خبرها .

(واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد فى الآخرة) كالمال الذى ينفقه الانسان فى سبيل الله (خير مما نقص من الآخرة وزاد فى الدنيا) كما لو لم يعط الزكاة — مثلا — .

(فكم من منقوص) نقص ماله الدنيوى (رابح) لأنه زاده فى آخرته (و) كم من (مزيد خاسر) زاد ماله الدنيوى ، لكنه خاسر اذ خسره فى الآخرة .

(ان الذى امرتم به اوسع من الذى نهيتم عنه) هذا لبيان ان الانسان اذا اخذ بالواجبات — التى هى اضداد المحرمات — كان فى سعة ، بخلاف ما

وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ . وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ. قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ؛ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ،

اذا اراد الأخذ بالمحرمات فليس العمل الصالح صعبا ، بل العكس صعب ، فمثلا امر الانسان بالعدل و نهى عن الظلم ، والعدل اوسع لأنه يوجب العمران والتقدم والائتلاف مما يزيد فى سعة العالم ، بخلاف الظلم الذى بعكس ذلك كله ٠

(وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم) مثلا احل للانسان اكثر انواع الأشربة — التى تعدوا الآلاف — فى حين لم يحرم عليه الا الخمر وما اشبهها ، وهكذا ٠

(فذروا) اى اتركوا و دعوا (ما قل لما كثر) ففى الكثير غنى عن القليل (و) ذروا (ما ضاق لما اتسع) فانّ فى السعة كفاية عن الضيق (قد تكفل) الله (لكم بالرزق) بمعنى انّ الرزق لابد و ان يصل الى الانسان فقليل من السعى كاف ، فان غالب الرزق انما يكون بعمل الله سبحانه ، كالأنهر ، والهواء ، و الضياء والنبات ، وما اشبه ٠

(وامرتم بالعمل) الصالح للآخرة ، فانّ الانسان لا يحصل على الآخرة الاّ بالعمل ٠

(فلا يكوننّ المضمون لكم طلبه) اى ما ضمن الله ان يطلبه لكم و هو الرزق (اولى بكم من المفروض عليكم عمله) و هو ما يوجب لكم القربى الى الله سبحانه و تحصيل الجنّة ، وانما قال عليه السلام : ((اولى بكم)) لأن الانسان اذا اولى شيئا اهتماما كان بحسب المترائى ((اولى به)) ٠

مَعَ أَنَّهُ وَٱللهِ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ ، وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ ، حَتَّىٰ كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلْأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ . مَا فَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ ،

(مع انه ــ والله ــ لقد اعترض الشّك و دخل اليقين) اى جاء الشّك و دخل فى اليقين ، فان اليقين بكون الله سبحانه كفيل بالرزق خالطه الشك ، ولفظة ((مع)) لبيان انه : اقول لكم الكلام السابق ، مع انى اعلم ، انه قد اعتــرض الشك ، و ((والله)) لتأكيد علمه عليه السلام بذلك ٠

(حتى كان الذى ضمن لكم) و هو الرزق (قد فرض عليكم) بأن تحصلوه (و كان الذى قد فرض عليكم) و هو العمل (قد وضع عنكم) فلم يجب عليكم الاتيان به ٠

ثم لا يخفى ان مثل هذه الكلمات انما هى للحدّ من نشاط الذين يصرفون كل اوقاتهم فى طلب الدنيا بدون اعتناء بالآخرة ، كما هو اغلب الناس ، فلا بد من كثرة التأكيد ليعتدل الأمر ، و الا فطلب الحلال من المفروض على الانسان ، كما هو ضرورى من ضروريات الدين ٠

(فبادروا العمل) اى عجلوا للعمل للآخرة (وخافوا بغتة الأجل) اى يباغتكم ويفجئكم الأجل بدون تهيئة زاد من العمل الصالح ٠

(فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق) فان فائت العمرلا يرجع ، واما ما يفوت من الرزق فمن الممكن تعويضه ٠

(ما فات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته) بأن يزاد المقدار الفائت على ماهو موجود عند الانسان ٠

وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي ، وَٱلْيَأْسُ مَعَ ٱلْمَاضِي. فَ«ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في الاستسقاء

اَللَّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ،

(وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته) و تغييرا يساق فى ((الغد ، واليوم)) بملاحظة البلاغة (الرجاء مع الجائى) اى الممكن مجيئه و هو الرزق (و اليأس مع الماضى) الذى لا يعوّض و هو العمر ·

(فاتّقوا اللّه حقّ تقاته) اى حق تقواه و هو اجتناب المحرمات و الاتيان بالواجبات ·

(ولا تموتنّ الاّ و أنتم مسلمون) اى ليكن موتكم مع الاسلام الكامل ، فان فى ذلك السّعادة الأبدية ·

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

((فى الاستسقاء)) وهو طلب ((السقيا)) اى نزول المطر

(اللهم قد انصاحت) اى جفت (جبالنا) وجفاف الجبل يوجب عدم جريان العيون ، وجفاف ما عليها من النباتات ·

(واغبرت ارضنا) اى صار فيها الغبار لجفافها (وهامت دوابنا) اى

وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَنِينَ إِلَىٰ مَوَارِدِهَا ! اَللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ ! اَللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا ! اَللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ ،

عطشت من الهيام بمعنى العطش ٠

(و تحيرت) الدواب ما تدرى كيف تروى انفسها (فى مرابضها) جمع مربض ، وهو محل الدابة (وعجت) اى الدواب ، والعجيج صوت فيه حزن (عجيج الثكالى) جمع ((ثكلى)) وهى المرأة التى مات ولدها (على اولادها) التى عطشت ٠

(وملت) الدواب (التردد فى مراتعها) جمع مرتع وهى محلات الرعى ، فانها ملت وعجزت عن كثرة ما ترددت فى المراتع طلب للماء ٠

(و) ملت (الحنين الى مواردها) جمع مورد وهو محل شرب الماء اى اخذت تحنّ و تعطف على موارد الماء ٠

(اللهم فارحم انين الآنة) اى الحيوانات التى تأنّ من العطش ٠ (وحنين الحانّة) اى الحيوانات التى تحنّ و تعطف ٠

(اللهم فارحم حيرتها) اى تحير تلك الحيوانات (فى مذاهبها) جمع مذهب ، وهو محل الذهاب (وانينها فى موالجها) جمع مولج وهوالمدخل والمراد مرابضها ٠

(اللهم خرجنا اليك) فان دعاء الاستسقاء وصلاته فى الصحراء ، والمعنى تجردنا عن الوطن نحو رحمتك (حين اعتكرت علينا) اى عكر ضد صفا (حدابير السّنين) جمع حدبار وهى الناقة المهزولة شبهت بها السنة المجدبة ٠

وَأَخْلَفَتْنَا مَخَائِلُ ٱلْجُودِ، فَكُنْتَ ٱلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ، وَٱلْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ،وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ، وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ ،أَن لَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا. وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ، وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ ، وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ ، سَحًّا وَابِلًا ، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ،

(واخلفتنا مخائل) جمع مخيلة وهى السحابة التى تظهر انها ماطرة ثم لا تمطر ، (الجود) المطر ، ومعنى الاخلاف انها لا تفى بما اظهرت من ارادة الأمطار ؛

(فكنت) اللهم و (الرجاء للمبتئس) ابتئس اى مسته البأساء (والبلاغ للملتمس) يقال التمس الشى اذا طلبه ، والبلاغ الى الكفاية (ندعوك حين قنط الأنام) اى يئسوا من المطر والماء (ومنع الغمام) عن المطر .

(وهلك السوام) جمع سائمة وهى البهيمة الراعية (ان لا تؤاخذنا بأعمالنا) بأن يكون مظهر مؤاخذتك لنا قطع المطر .

(ولا تأخذنا بذنوبنا) لعل الفرق بين ((المؤاخذة)) و ((الأخذ)) ان الأول بمعنى المحاسبة والثانى بمعنى العقاب .

(وانشرعلينا رحمتك بالسحاب المنبعق) يقال انبعق المزن اذا انفرج عن المطر .

(والربيع المغدق) اغدق المطر بمعنى كثر مائه ، والمراد بالربيع الفصل المقابل للفصول الأخر (والنبات المونق) آنق النبات اى اسر وافرح لكثرة نمائه وحسن منظره ، سحابا .

(سحا) اى صبا (وابلا) اى شديد المطر (تحيى به ما قد مات) من

وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعَةً، زَاكِياً نَبْتُهَا ، ثَامِراً فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ ! اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا ، وَتُقْبِلُ

الأراضي ، واحياء الأرض انما يكون بالنبات (وتردّ به ما قد فات) اى مضى ، كأنّ اخضرار الأرض رد لما فات .

(اللّهم) اسقنا (سقيا منك) اى من طرفك ولطفك (محيية) لأراضينا (مروية) تروى الانسان والحيوان والنبات والأرض (تامة) لا نقص فيها (عامة) تعم الجميع (طيبة) لا توجب مرضا او نحوه (مباركة) توجب البركة اى النمو والزيادة (هنيئة) تكون بلا كدر ولا تعب (مريعة) اى خصيبة توجب الخصب .

(زاكيا نبتها) اى ينمو نبات تلك المطرة (ثامرا) اى آتيا بالثمر (فرعها) اى اغصان تلك النباتات (ناضرا) من النضارة بمعنى البهجة (ورقها) بأن يكون شديد الاخضرار .

(تنعش بها الضعيف من عبادك) اى توجب له القوة (وتحيى بها الميت من بلادك) فانّ المطر يوجب الحركة للنبات وذلك شبيه بالحياة .

(اللّهم) اسقنا (سقيا منك تعشب بها) اى بتلك السقيا (نجادنا) جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض (وتجرى بها وهادنا) جمع وهدة وهى ماانخفض من الأرض ، اى تجرى بالماء .

(ويخصب بها جنابنا) الخصب ضد الجدب ، والجناب الناحية (وتقبل

بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدَىٰ بِهَا أَقَاصِينَا ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجَزِيلَةِ ، عَلَى بَرِيَّتِكَ ٱلْمُرْمِلَةِ ، وَوَحْشِكَ ٱلْمُهْمَلَةِ . وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً ، مِدْرَاراً هَاطِلَةً ، يُدَافِعُ ٱلْوَدْقُ مِنْهَا ٱلْوَدْقَ ، وَيَحْفِزُ ٱلْقَطْرُ مِنْهَا ٱلْقَطْرَ ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا ،

بها ثمارنا) من الاقبال بمعنى الظهور و الخروج .

(و تعيش بها مواشينا) جمع ماشية ، و هى الابل و البقر و الغنم ، بأن لا تموت من الظماء .

(و تندى بها اقاصينا) اى اطراف البلاد البعيدة ، جمع قاصية .

(و تستعين بها ضواحينا) جمع ضاحية اى النواحى التى لها سكان كالأرياف (من بركاتك الواسعة) متعلق بـ ((سقيا)) (وعطاياك الجزيلة) اى الكثيرة العظيمة (على بريتك المرملة) اى الفقيرة .

(و وحشك) اى الحيوانات المتوحشة (المهملة) فى الصحارى لا راعى لها ولا كفيل .

(و انزل علينا سماء) اى مطرا ــ بعلاقة الظرف و المظروف ــ (مخضلة) من اخضل بمعنى ابتلّ .

(مدرارا) يدر و ينزل باستمرار (هاطلة) يقال هطل المطر اذا نزل باستمرار (يدافع الودق منها الودق) الودق المطر ، و الجملة كناية عن استمراره بشدة ، حتى كان كل قطرة تدافع القطرة السابقة عليها حتى تنزل (ويحفز) اى يدفع و يحث (القطر منها القطر) فكل قطرة محفزة للقطرة المتقدمة عليها .

(غير خلب برقها) البرق الخلّب ما يظهر ان فى سحابة المطر ثم لا ينزل المطر .

وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا ٱلْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا ٱلْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ «تُنْزِلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ».

قال السيد الشريف، رضي الله عنه؛ قوله عليه السلام: (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أي تَشَقَّقَتْ مِنَ المُحُولِ، يُقَالُ: انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ. وَيُقَالُ أَيْضاً: انْصَاحَ النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ، كُلُّهُ بِمَعْنًى. وَقَوْلُهُ: (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ، وَالهُيَامُ: العَطَشُ. وَقَوْلُهُ: (حَدَابِيرُ السِّنِينَ) جمع

(ولا جهام) هو السحاب الذى لا مطر فيه (عارضها) ما يعرض فى الافق من السحاب .

(ولا قزع) هو القطع الصغار من السحاب (ربابها) هو السحاب الابيض

(ولا شفان) الشفان الريح الباردة اى لا ذات ريح باردة (ذهابها) جمع ذهبة وهى المطرة القليلة ، اى لا تكون امطارها القليلة ذات ريح باردة فان ذلك مما يضر الزرع ويؤذى الانسان .

(حتى يخصب لأمراعها المجدبون) يقال اخصب القوم اذا نالوا الخصب وهو كثرة العشب ، والأمراع الاخصاب ، والمجدب الذى ناله الجدب اى القحط والمعنى حتى يكثر عشب اهل الجدب لامراع تلك المطرة .

(ويحيا ببركتها المسنتون) اى الذين اصابتهم السنة ـ بمعنى القحط ـ وحياتهم بكثرة الماء والعشب وما يتبع ذلك .

(فانك) يا رب (تنزل الغيث) اى المطر (من بعد ما قنطوا) اى قنط الناس ويئسوا من نزوله .

(وتنشر رحمتك) اى نعمه للناس (وانت الولى الحميد) الذى يحمد افعاله فلا يذر عباده يهلكون جدبا وقحطا .

حِدبار ، وهي الناقة التي أنضاها السَيْرُ، فشبّه بها السنة التي فشا فيها الجَدْبُ ، قالَ ذو الرِمّةِ :

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إلاّ مُنَاخَةً   عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا

وَقَوْلُهُ : (وَلاَ قَزَعٍ رِبَابُهَا) ، الْقَزَعُ : الْقِطَعُ الصِغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فَإنَّ تَقْدِيرَهُ : وَلاَ ذَاتَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا . وَالشَّفَّانُ : الرِيحُ البَارِدَةُ ، وَالذِّهَابُ : الأَمْطَارُ اللَيِّنَةُ . فَحَذَفَ (ذَاتَ) لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ .

وَمِن خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَىٰ ٱلْحَقِّ وَشَاهِداً عَلَىٰ ٱلْخَلْقِ ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ .

وَمِن خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

(ارسله) الله سبحانه ، والمراد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم (داعيا الى الحقّ وشاهدا على الخلق) فانّه صلّى الله عليه وآله وسلم يشهد عليهم يوم القيامة بما فعلوا ، كما قال سبحانه : ((ويكون الرّسول عليكم شهيدا)) .

(فبلغ رسالات ربّه) انّما جمع ((رسالات)) باعتبار كل رسالة رساله (غير وان) من ((ونى)) بمعنى تباطى وتكاسل (ولا مقصّر) فى الاداء .

(وجاهد فى الله) اى فى سبيل اقامة دين الله (اعداءه) اى اعداء الله سبحانه ــ الذين لا يمتثلون أوامره ــ .

(غير واهن) من الوهن بمعنى الضّعف اى لم يضعف فى الجهاد (ولامعذّر)

إِمَامُ مَنِ اتَّقَىٰ ، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَىٰ .

منها : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَ لَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِىءٍ نَفْسُهُ ،

هو من يعتذر كاذبا ، بلا عذر له واقعا ، اى لم يعتذر الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى ترك الجهاد بأعذار كاذبة ، وهو صلّى الله عليه و آله و سلّم (امام من اتّقى) لأنه صلّى الله عليه و آله و سلّم مقتدى النّاس الّذين يخافون الله تعالى

(و بصر من اهتدى) اى اسباب بصيرة المهتدين ، كأنه بصرهم الذى يرون به سبيل الحق ·

(منها) : (لو تعلمون ما أعلم) من أحوال الآخرة (مما طوى عنكم غيبه) اى اخفى عليكم ، كالصّحيفة الّتى تطوى و تلف فلا يعلم ما فيها ·

(اذا لخرجتم الى الصّعدات) جمع صعيد بمعنى الصّحراء لتركتم منازلكم هائمين فى الصّحارى ، فانّ الخائف كثيرا يهيم فى الفلوات ·

(تبكون على أعمالكم) الّتى اسلفتموها من المعاصى او التى لم تحصلوا من ورائها الثّواب ·

(و تلتدمون) الالتدام الضّرب على الصّدر او الوجه للنّياحة حزنا على مفقود (على أنفسكم) اى تضربون اجسامكم جزعا ·

(و لتركتم اموالكم لا حارس لها) اى اهملتموها ، فانّ من خاف خوفا شديدا لم يأبه بالمال ·

(و لا خالف عليها) اى ليس عليها من يخلفكم ، (ولهمّت كل امرئ نفسه) اى لحزنت نفس كل امرئ على شخصه فلم يحزن لما سواها ·

لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ غَيْرِهَا ؛ وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ. فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قُدُماً

(لا يلتفت الى غيرها) من الأهل و الأقارب و الأصدقاء (ولكنّكم نسيتم ما ذكرتم) اى ذكركم اللّه سبحانه من أهوال القيامة .

(و أمنتم ما حذّرتم) حذّركم اللّه سبحانه من النّكال و العقاب (فتاه عنكم) أى ضلّ عنكم (رأيكم) الموجب لارشادكم الى الخوف من الآخرة .

(و تشتّت) اى تفرّق (عليكم أمركم) فانّ الانسان الّذى لم يجمع فكره فى اتّجاه واحد ، يتيه الحق و يسهرعن الصّواب .

(ولوددت) اى انّى احبّ (انّ اللّه فرّق بينى و بينكم) لأنّكم لا تهتمّون بالآخرة .

(و الحقنى بمن هو أحق بى منكم) يعنى الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم و الأنبياء و الأوصياء ، وكونهم أحقّ بالامام ، لأنه و ايّاهم على منهاج واحد ، بخلاف المخاطبين .

(قوم و اللّه ميامين) جمع ميمون (الرّأى) فى رأيهم اليمن و السّعادة (مراجيح الحلم) لهم حلوم راجحة لا طيش لهم و لا سرعة فى الأمور .

(مقاويل بالحق) جمع مقوال اى كثير القول بالحقّ (متاريك للبغى) جمع متراك مبالغة فى التّرك ، اى كثيروا التّرك للظّلم .

(مضوا قدما) اى مضوا فى امامى الى الآخرة ، فانّ ((قدم)) بمعنى المضى

عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَىٰ الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ. أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ؛ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ!

قال الشريف: الوذحة: الخنفساء. و هذا القول يومئ عليه السلام به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ((قالوا: انه رأى خنفساء فطردها ثم عادت فطردها ثانية فلسعت يده، فورمت وصار سبب هلاكه. وقيل بذلك ــ كما في البحار ــ وغيره))

في الامام (على الطّريقة) الصّحيحة (وأوجفوا) الوجيف سير سريع اى اسرعوا (على المحجة) بمعنى الطّريق، والمراد سرعتهم في عمل الصّالحات.

(فظفروا) أي فازوا (بالعقبى الدائمة) اى العاقبة الحسنة المستمرّة ــ اى الجنّة ــ (والكرامة الباردة) اى هنيئة، فانّهم كانوا اذا حصلوا على الشئ بالحرب، كانت ((جاره)) والا سموها ((باردة)) وذلك المزيد في الهناء، حيث لم يتعب عليها تعبا زائدا.

(اما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف) اى الحجّاج بن يوسف الثّقفي الّذي كان واليا عليهم من قبل عبد الملك بن مروان.

(الذّيّال) اى الطّويل الذّيل، فقد كان لكبره يطول ثيابه ــ كعادة الجبّارين ــ (الميّال) الكثير الميل عن الحق الى الباطل، او المائل المتبختر في مشيته.

(يأكل خضرتكم) كناية عن تبديل لأحوالهم الحسنة الى الحالة السيّئة (ويذيب شحمتكم) كناية عن تضعيفه اقواهم، كما ان من يذاب شحم جسده يهزل و يضعف.

(ايه ابا وذحة) ايه اسم فعل للاستزادة من الشئ، كأنه عليه السلام قال: استزد يا حجّاج من امرك ــ على نحو الكناية بكونه لا مزيد على ما يفعل من الخراب والفساد ــ.

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

يوبخ البخلاء بالمال و النفس

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا . تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

يوبخ البخلاء بالمال و النّفس

(فلا أموال بذلتموها للّذى رزقها) اى رزقكم تلك الأموال ، ومعنى البذل له تعالى بذلها فى سبيله .

(ولا أنفس خاطرتم بها للّذى خلقها) فى سبيل الجهاد والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر (تكرمون بالله على عباده) اى تكونون اعزّة بسبب الله سبحانه ـ بانتسابكم اليه بايمانكم وعلمكم وما أشبه ـ على عباد الله ، وانّما جئ بـ ((على)) لمعنى الترفّع .

(ولا تكرمون الله فى عباده) ومعنى اكرام الانسان له تعالى ، ان يجله بالدّعوة اليه ، وغرس عظمته تعالى فى نفوس النّاس .

(فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) اى انّكم كائنون فى منازل آبائكم السّابقين الّذين ماتوا وخلفتموهم من بعدهم ، فانكم سوف تكونون مثلهم ، وهذا تحريض لبذل النفس والمال ، فانّهما الى انقطاع ، وقد قال الامام الحسين

وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في مدح اصحابه و تحريضهم على العمل

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ ، وَٱلإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَٱلْجُنَنُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ،

عليه السلام :

وانكانت الأبدان للموت انشئت فقتل امرئ بالسّيف فى الله أفضل

(و) اعتبروا بـ (انقطاعكم عن اوصل اخوانكم) فانّ أقرب اخوانكم اليكم من انقطع عنكم بالموت ، وأنتم عن قريب تكونون مثلهم ، فسارعوا فى الأعمال الصالحة ·

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في مدح أصحابه و تحريضهم على العمل

(انتم) معاشر اصحابى (الأنصار على الحق) اى ينصر بعضكم بعضا فى الحق ·

(والاخوان فى الدين) فالاخوة بينكم اخوة دينية ، لا قبلية او نسبية او ما اشبه ·

(والجنن) جمع جنة (يوم البأس) اى يوم الشدّة فأنتم تحفظون البلاد والعباد فى يوم الكريهة و الشدّة ·

وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ . بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُوطَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ.فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ ؛فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالنَّاسِ !

(و البطانة دون النّاس) بطانة الرّجل خواصه ، و هو تشبيه ببطانة الثوب الّتى تلو جسده ، اى انتم الخواص لى ، دون سائر النّاس ·

(بكم) اى بسببكم (اضرب المدبر) عن الحق الى الباطل (و ارجو طاعة المقبل) فانّ المقبل انما يقبل بواسطة الدعاية و بواسطة الخوف و هما يتمان بالأنصار و الأصحاب ·

(فأعينونى بمناصحة خلية من الغش) اى ينصح بعضكم بعضا فى سبيل المصلحة الاسلامية ، بدون ان يظهر النّصيحة و يبطن الغش ، كما هو كثير فى المرائين و المنافقين ·

(سليمة من الرّيب) اى ليست محل شكّ و ارتياب ، كما ربما تكون النّصيحة بحيث يرتاب الانسان من نوايا صاحبها ·

(فو الله انّى لأولى النّاس بالنّاس) أى انى اولى بهم من أنفسهم ، فا ذا أمرتهم بأمر و أرادوا غير ذلك يلزمهم اتباع امرى و ترك ارادتهم لأجلى ، و هذه الجملة لتأكيد لزوم الاعانة له عليه السّلام عليهم ، حيث انّه عليه السّلام أولى بهم من أنفسهم ، فاعانته عليهم أولى من الانصراف الى شئون انفسهم ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليّا

فقال عليه السلام : مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ **فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك .**

فقال عليه السلام : مَا بَالُكُمْ ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ ! وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

((وقد جمع النّاس وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليّا)) اى سكوتا طويلا فلم يجيبوه وقد كان ذلك حين ما كان يغيّر أصحاب معاوية على أطراف بلاد الامام ، فكان عليه السّلام يريد استنفارهم لردّ الاعتداء .

((فقال عليه السلام)) : (ما بالكم) أى أىّ شئ سبب سكوتهم (أمخرسون أنتم) ؟ من الخرس بمعنى عدم التّمكن من التّكلّم (فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، ان سرت سرنا معك)

(فقال عليه السلام : ما بالكم لا سدّدتم لرشد) هذا دعاء عليهم بعدم التّوفيق ، فانّ التّسديد بمعنى التّوفيق ، والرّشد الهداية (ولا هديتم لقصد) اى لطريق المنى الذى هو قصد ــ اى وسط ــ .

(أفى مثل هذا ينبغى لى أن أخرج) ؟ فانّ شأن الخليفة أن يخرج الى محاربات مهمّة ، لا مناوشات مختصرة ، فكيف تقولون ان تخرج نخرج ؟ .

إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَىٰ ، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ

(انّما يخرج فى مثل هذا رجل ممّن أرضاه) و أراه اهلا لصدّ العدو (من شجعانكم) جمع شجاع ، (و ذوى بأسكم) البأس بمعنى الشدّة ، اى صاحب الشدّة الّذى يتمكّن من الدّفاع ٠

(و لا ينبغى لى أن أدع الجند و المصر) اى المدينة (و بيت المال و جباية الأرض) اى جمع الخراج و المقاسمة من الأرض ٠

(و القضاء بين المسلمين) فى حقوقهم (والنظر فى حقوق المطالبين) الّذين يطلبون عزل وال ، او نصب وال ، او سد ثغر او ما اشبه ٠

(ثم أخرج فى كتيبة) اى جماعة قليلة من الجيش ، من كتب بمعنى جمع ، و يقال للكاتب كاتب لأنه يجمع الكلمات بعضها الى بعض ٠

(اتبع) كتيبة (اخرى) من العدوّ (أتقلقل) اى أ تحرّك (تقلقل القدح) هو السّهم قبل أن يوضع له الرّيش (فى الجفير) الكنانة الّتى توضع فيها السّهام (الفارغ) الّذى لا سهم فيه ، فانّ السّهم اذ كان بلا ريش ، وضع فى الكنانة الفارغة ، تقلقل و صوت ، و هذا تشبيه لحاله عليه السّلام لذلك القدح الذى يكون وصفه غير لائق به ٠

(و انّما انا قطب الرحا) فانّ الرّحى يدور على القطب (تدور علىّ و أنا بمكانى) مقيم لا أن أخرج الى هنا و هناك (فاذا فارقته) اى مكانى (استحار)

مَدَارُهَا ، وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا. هٰذَا لَعَمْرُ ٱللهِ الرَّأْيُ ٱلسُّوءُ . وَٱللهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ ـ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ ـ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ !

اى تردد و اضطرب (مدارها) اى مدار الرحى (واضطرب ثفالها) هوالشق الأسفل من حجرى الرحى .

(هذا) الذى ذكرتم من خروجى (لعمر الله) اى قسما بالله (الرأى السّوء) الّذى لا يصلح المضى عليه (والله لو لا رجائى الشّهادة عند لقائى العدوّ ـ لو قد حم لى لقاؤه ـ) ((حم)) بمعنى قدّر (لقربت ركابى) اى أحضرت ابلى الّتى هى للرّكوب (ثمّ شخصت عنكم) اى سافرت من بلدكم و تركتكم متخلّيا عنكم (فلا أطلبكم) للنّصرة أو ما أشبه (ما اختلف جنوب وشمال) ـ بمعنى الى الأبد ـ و المراد بالاختلاف هبوب رياح الجهتين ، يخلف احداهما الاخرى (انه لا غناء) ولا فائدة (فى كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم) فانّ الاجتماع بالأبدان لا ينفع اذا تفرّقت القلوب .

(لقد حملتكم) أى أريتكم و حرضتكم (على الطّريق الواضح الّتى لا يهلك عليها الاّ هالك) أى غير الشّخص الّذى تمكّن الفساد عن طبعه فلا يهتدى أبدا .

(من استقام) فى سلوك هذا الطّريق (فالى الجنّة ومن زلّ) وعطب ولم يستقم (فإلى النّار) وهذا الكلام من الامام عليه السّلام بيان ، لأنه عليه السّلام فعل ما ينبغى له ، فقد أتمّ الحجّة عليهم و أراهم طريق الرّشاد ، فان لم يستقيموا كان ذلك من أنفسهم ، بعد تمام الحجّة .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى بيان بعض فضله و وعظ الناس

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ وَ

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى بيان بعض فضله ، و وعظ النّـاس

(تالله) حلف بالله (لقد علمت تبليغ الرّسالات) أى أعلم كيف يلزم أن يبلغ الخليفة ، أن يبلغ رسالات ربّه ، ممّا امنه النّبى لديه .

(و اتمام العدات) جمع ((عدّة)) بمعنى الوعد ، أى أعلم كيف يلـــزم أن يتم الخليفة ما وعده ، بلا خلف و لا نقض .

(و تمام الكلمات) أى أعلم كيف يلزم أن يتمّ الخليفة كلامه الّذى تكلّم به ، و هذا يلح الى التّعرّض بمن تصدّى للخلافة بدون أن يعلم ذلك ، و أن يعمل به فلم يعرفوا كيف يبلغون رسالات الله ، بل كانوا يقولون لو لا علىّ لهلك عمر، كما لم يعرفوا كيف يتمّون المواعيد ، اذ كان وعدهم جهلا ، فاذا وقعوا فى مـــأزق خالفوا الوعد ، كما لم يعرفوا كيف يخرجون عن الكلام الّذى تكلّموا به ، لترائـــى المحذور لديهم فى وسط الكلام .

(وعندنا أهل البيت) منصوب على الاختصاص ، أى أخصّ أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم (أبواب الحكم) الحكمة وضع الشّئ فى موضعه (و

ضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، «وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ» . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ .

ضياء الأمر) فالأمور لدينا ظاهرة واضحة لا تخفى ولا تشتبه .

(ألا وانّ شرائع الدّين واحدة) لا تناقض فيها ولا تخالف ، فما كان ليفعله الخلفاء من التّناقض فى الأحكام فواحد ينصب خالدا و واحد يعزل ،و واحد يرى الحد وآخر يرى خلافه ــ مثلا ــ خلاف شريعة الاسلام .

(وسبله قاصدة) اى مستقيمة متوسطة لا افراط فيها ولا تفريط (من أخذ بها) اى بسبل الدّين (لحق) الغاية (وغنم) المثوبة .

(ومن وقف عنها) بأن لم يسير فى طريق الحق (ضلّ وندم) لما يلحقه من الاثم والعقاب .

(اعلموا ليوم) هو يوم القيامة (تذخر له الذخائر) فانّ الانسان يدخر الأعمال لذلك اليوم الّذى هو أحوج أيامه .

(وتبلى) اى تظهر (فيه) أى فى ذلك اليوم (السّرائر) جمع سريرة ، بمعنى ضمير الانسان وسرّه ، فانّ الانسان فى الدّنيا مخفى ضميره ، وما كان يعمل وينوى ، اما فى ذلك اليوم فيظهر ضميره على الملأ .

(ومن لا ينفعه حاضر لبّه) اى عقله الحاضر لديه فعلا (فعازبه) اى عازب لبه ، والعازب المنحاز الّذى لا يدرك (عنه) اى عن النّفع (أعجز) فانّك اذا لم تستفد من عقلك الحاضر فهل تستفيد من عقل ليس لك ؟

(وغائبه) اى غائب اللّب ، وهو الّذى يترقّب فى المستقبل (أعوز) أى

وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

أشدّ عوزا وعدما فى عدم الاستفادة منه ، وهذا لمن يؤخّر الأمر معتذرا بعدم ادراك عقله فعلا ، ولعلّه يدركه فى المستقبل ، والمعنى التّحريض على العمل حالا ، وعدم ترك العمل رجاء عقل يحصل ، او رجاء عقل مستقبل ٠

(واتّقوا نارا حرّها شديد) فلا تعصوا لتبتلوا بها (وقعرها بعيد) فان عمقها كثير (وحليتها) أى زينتها الّتى توضع فى العنق واليد والرّجل (حديدا) اى الغل والقيود (وشرابها صديد) وهو شئ يشبه قيح الجرح ، وفى الخبر يخرج من فروج الزناة ٠

(الا) فتنبهوا (وانّ اللّسان الصّالح يجعله اللّه تعالى للمرء فى النّاس) بأن يكون لسانهم حسنا بالنّسبة الى الشّخص لأنه عمل الصّالحات ، فيحمده النّاس (خير له من المال يورثه من لا يحمده) وهذا تحريض على أن يعمل الانسان صالحا ويصرف أمواله فى سبل الخير ، فانّه يوجب محمدة النّاس بخلاف ما لو ترك العمل واشتغل بجمع الأموال ، فانّه يورثه الورثة ، وغالبا ، لا يحمد الوارث المورث ، بل يصرف ماله بلا ذكر حسن منه له ٠

ومن كلام له عليه السلام

بعد ليلة الهرير

وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها ،فما ندرى اى الامرين ارشد ؟ فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال :

ومن كلام له عليه السلام

بعد ليلة الهرير

(وقدقام اليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فما ندرى ایّ الأمرين أرشد) فان معاوية لمّا رفع المصاحف ، كفّ أصحاب الامام عن الحرب ، ثمّ ألزموه أن يقبل اقتراح معاوية ، بأن يكون من طرف الامام حكم، ومن طرف معاوية حكم ، يجلسان لينظرا فى أمر المسلمين ويحلاّ المشكلة ، لكنّ الامام لم يقبل حتّى أجبروه ورأى الامام لو لم يقبل التحقوا بمعاوية ـ كما فعلوا من بعد بالامام الحسن عليه السّلام ـ فقبل الامام ، ثم عين الامام الحكم لكنّهم لم يقبلوا حكم الامام ـ وهو ابن عبّاس ـ بل انتخبوا أبا موسى الأشعرى ، وأجبروا الامام على القبول ، وجلس الحكمان ، وخدع ابن العاص أبا موسى ، ولمّا رأوا فشل الحكمين ، جاء المغفلون من أصحاب الامام ليلقوا تبعة التّحكيم على الامام ، قائلين : كيف نهيتنا اوّلا عن التّحكيم ، ثمّ أمرتنا به ؟ فان كان النّهى صحيحا فلماذا أمرت بعد ذلك ؟ وانكان الأمر صحيحا فلماذا نهيتنا اوّلا ؟ (فصفق عليه السلام احدى يديه على الأخرى ثم قال) :

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ ! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَىٰ ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً ، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَىٰ ، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَىٰ مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ ،

(هذا) أى فشلكم أنتم المغفولون ، الّذين انطلت عليكم حيل معاويـــة (جزاء من ترك العقدة) أى ما حصل عليه التّعاقد ، فقد تعاقد الامام أصحابه على حرب معاوية ، لكنّهم تركوا الحرب عند حيلة ابن العاص برفع المصاحف .

(أما و اللّه لو انى حين أمرتكم بما أمرتكم به) من الاستمرار فى الحرب وعدم تركها لحيلة ابن العاص .

(حملتكم على المكروه) أى نفذت امرى بكلّ شدة و صلابة ، و ان كرهتم ذلك (الّذى يجعل اللّه فيه خيرا) فانّ تنفيذ الامام لرأيه ـ و لو بكره من أصحابه ـ ممّا جعل اللّه فيه الخير لاصابة رأى الامام عليه السّلام الهدف .

(فان استقمتم هديتكم) هذه الجملة و الجملتان بعدها ، لبيان كيفيّة تنفيذ الامام لرأيه و المعنى ان كنتم مطيعين بيّنت لكم طريق الصّواب .

(و ان اعوججتم) بأن أردتم العصيان (قوّمتكم) بالقوّة و العقاب (وان أبيتم) التّقويم (تداركتم) بقتل العصاة و اخراجهم من زمرة الجيش (لكانت الوثقـــى) هذا جواب ((لو)) اى لو أنى نفذت رأى بكل صورة ، لكانت الطّريقة الوثقى ـ مؤنّث أوثق ـ و ذلك لنجاح هذه الطّريقة و كفالتها لانتصار الامام على الأعداء .

(ولكن بمن) أقوّم العصاة ؟ (و الى من) ارجع فى مساعدتى عليكم؟ (أريد أن اداوى بكم) داء التفرق وعدم الاطاعة (وانتم دائى) فمنكم التفرق وعدم الاطاعة .

(كناقش الشّوكة بالشّوكة) اى كمن يريد اخراج الشّوكة بسبب الشّوكة ، فانها

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا ! اَللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ! أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْقُرْآنِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَؤُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا،

تألم جسمه اكثر (وهو يعلم ان ضلعها معها) الضلع الميل ، اى ان الانسان يعلم ان ميل الشوكة الى جنسها ، لا الى جسد الانسان ، فربما انكسرت الشوكة فى الجسم وصارت مع الشوكة السابقة اوجبت الألم اكثر ، وهذا بيان لحال أصحابه بأن ميل المطيعين ايضا مع العاصين ، فكيف يعالج ببعضهم بعضا ، و لا يخفى ان السواد دائما هكذا ، وان كان الخواص على خلاف ذلك ·

(اللّهم قد ملت اطباء هذا الداء الدّوى) وصف للداء للمبالغة ، مثل ليلة ليلاء ، ومعنى ملالة الأطباء يأسهم عن العلاج ·

(وكلّت) اى تعبت وعجزت (النّزعة) جمع نازع هو الّذى ينزع الماء من البئر (بأشطان) جمع شطن وهو الحبل (الركى) جمع ركية وهى البئر أى انّ من يريد نزع الماء من هذه البئر بواسطة الحبل قد كل ، وذلك كناية عمّن يريد نزع الهدى من قلوب النّاس ، وجريه على جوارحهم ·

(اين القوم الذين دعوا الى القرآن) دعاهم الرّسول الى العمل بالقرآن (فقبلوه) وعملوا به (وقرؤوا القرآن فاحكموه) اى أحكموا قرائته وأحكامها العلم به (وهيجوا الى القتال) اى هاجهم الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ،بمعنى آثارهم (فولهوا) اى تحرّكوا نحوها تحرك الشخص الواله الذى يشق الشئ (وله اللّقاح الى أولادها) اى مثل وله اللّقاح ، جمع لقوح وهى النّاقة (وسلبوا السّيوف اغمادها) بمعنى جروها عن الغمد للجهاد ·

وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً ، وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ ، وَبَعْضٌ نَجَا . لَا يُبَشَّرُونَ بِٱلْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَىٰ. مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ . خُمْصُ ٱلْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ . عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ . أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ .

(وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا) أى سيرا سيرا (وصفا وصفا) فهنا صفّ من المجاهدين وهناك صف ، حتى استولّوا على أطراف الأرض وجوانبها (بعض هلك) فى الحرب بأن قتل (وبعض نجا) رجع سالما غانما (لا يبشرون بالاحياء) اى اذا قيل لأولئك المجاهدين ان فلانا بقى حيّا ولم يقتل فى المعركة لا يفرحون بحياته ، لأنهم لا يرون فى الموت حزنا وهمّا ،اذ يعلمون انّ القتل فى سبيل الله شرف ومثوبة (ولا يعزّون عن الموتى) اى اذا مات قريب احدهم فى الجهاد ، لا يعزيه اصحابه بموت قريبه لأنهم لا يرون الموت فى سبيل الله فجيعة تستحق ان يعزى قريب الميت ، بسبب موت قريبه .

(مره العيون من البكاء) من خوف الله سبحانه ، جمع امره وهو من فسد عينه (خمص البطون من الصّيام) جمع اخمص بمعنى الضامر الهزيل (ذبل الشفاه) ذبل جمع ذابل بمعنى اليابس ، وشفاه جمع شفه (من الدعاء) فانّ المكثر من الدعاء والكلام ييبس فمه ، لتبخر الماء بالحرارة الحاصلة من الحركة .

(صفر الألوان من السّهر) اى سهر الليل بالصلاة والقرآن والدعاء ، جمع اصفر .

(على وجوههم غبرة الخاشعين) فانّ الانسان الخاشع ينكسر وجهه خشوعا، او المراد الغبار الحاصل من السّجود على الأرض (اولئك) الّذين وصفتهم بتلك الأوصاف (اخوانى الذاهبون) الى الحياة الأخرى .

فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ ، وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِٱلْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ . فَٱصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ، وَٱقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَٱعْقِلُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

(فحق لنا ان نظمأ اليهم) كما يظمأ الانسان و يتطلب الماء (و نعض الأيدى) اسفا (على فراقهم) فانّ الانسان المتأسف يعض على أصابعه ليخفف من همه ٠

(ان الشيطان يسنى لكم طرقه) سنّاه بمعنى سهّله (و يريد ان يحل دينكم عقدة عقدة) كما تحل عقد الخيط ، والمراد تركهم لشريعة شريعة من شرائع الاسلام ٠

(و يعطيكم بـ) عوض (الجماعة) والاجتماع (الفرقة) والتفرق (فاصدفوا) اى اعرضوا (عن نزغاته) جمع نزغة ، بمعنى الحث (و نفثاته) كأنه ينفث اى ينفخ فى قلب الانسان ويحثه على العصيان ٠

(و اقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم) يؤيد نفسه الكريمة عليه السلام فانه كان يهدى النصيحة اليهم ٠

(و اعقلوها) اى احبسوا النصيحة (على أنفسكم) بمعنى ملازمة النفس لها ، وعدم تركها تذهب أدراج الاهمال ٠

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للخوارج ، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة ، فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ . قَالَ : فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّىٰ أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلَامِهِ . وَنَادَىٰ النَّاسَ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة (فقال عليه السلام) : (اكلّكم) ايّها المنكرون للحكومة (شهد معنا صفّين) اى حضر فى تلك الواقعة التى صارت سببا لظهور الخوارج اثر قصة التحكيم ؟ .

(فقالوا : منّا من شهد ومنّا من لم يشهد) لأنه التحق بخوارج صفّين جماعة اخرى من اثر دعاية الخوارج .

(قال) : (فامتازوا فرقتين) اى جماعتين (فليكن من شهد صفّين فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتى اكلّم كلا بكلامه) فانّ الانسان الحاضر فى محل ليس كالغائب .

(ونادى النّاس) اى اخذوا يتكلّمون ويصيحون ـ كما هى العادة فى المثل هذه المواقف .

فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا. ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ،

منه : أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ ٱلْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً : إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ،

(فقال أمسكوا عن الكلام) اى اسكتوا (و انصتوا لقولى) اى استمعوا (و اقبلوا بأفئدتكم) جمع فؤاد بمعنى القلب (الىّ فمن نشدناه شهادة) اى طلبنا منه ان يشهد (فليقل بعلمه فيها) اى في تلك الشّهادة (ثم كلّمهم عليه السلام بكلام طويل)

((منه)) (ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف) زاعمين انّهم يدعون الى حكم القرآن فى حال كون رفعهم إكان (حيلة وغيلة) اى اغتيالا بمعنى اخذ الطرف بالمكروه فجئة و بدون سابق علم ٠

(و مكرا) اى احتيالا للفرار من الحرب (وخديعة) اى غشّا لأصحاب الامام عليه السلام : (اخواننا) متعلق بـ ((تقولوا)) (و اهل دعوتنا) اى ان أهل الشّام اخوان لنا فى الدّين ، و اهل دعوة الاسلام ــ مثل نحن ــ (استقالونا) اى طلبوا منا ان نقيلهم و نترك الحرب معهم (و استراحوا الى كتاب اللـــه سبحانه) اى طلبوا الراحة الى الكتاب ليريحهم الكتاب تعب الاختلاف والانشقاق (فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم) يقال نفس عنه اذا رفع همه وغمّه ٠

(فقلت لكم : هذا) الذى يطلبون (امر ظاهره ايمان و باطنه عدوان) لانهم

وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَىٰ ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا .

يريدون بذلك وقف القتال ليستعيدوا نشاطهم و يبدؤا به من جديد ، قاصدين استمرار تعديهم ٠

(و أوله رحمة) لأنه توقيف للقتال و استراحة (و آخره ندامة) حيث تندمون بترككم ، لهم وقد اشرفتم على الانتصار (فأقيموا على شأنكم) اى المحاربة (و ألزموا طريقتكم) فى عدم انهاء القتال ٠

(وعضوا – على الجهاد – بنواجذكم) هى الطّواحن فاذا عضّ الانسان عليها قويت اعصاب رأسه ، و يكون أكثر استعداد للحرب لتزيد الحرارة فى الرأس ، الدافعة نحو الاقدام ٠

(و لا تلتفتوا الى ناعق نعق) اى صائح صاح ، و المراد به ابن العاص الّذى دعا الى ترك المحاربة و تحكيم القرآن (ان اجيب) ذلك الناعق الى ما دعى (اضل) اتباعه (و ان ترك ذلّ) لانهزام معسكره و انبطال امره ٠

(و قد كانت هذه الفعلة) اى صارت هذه الهيئة من الفعل ، فان ((فعلة)) بالفتح بمعنى الهيئة (وقد رأيتكم اعطيتموها) اى أنتم الذى اعطيتم هذه الصورة للواقعة بعصيانكم امرى فى استمرار القتال ، و التحاكم الى كتاب الله – الذى رفعه ابن العاص حيلة و مكرا – ٠

ثم بين الامام عليه السلام انه سواء قبل انهاء الحرب والاحتكام الى الكتاب او لم يقبل كان على حق ، لأن الكتاب فى الحالين معه ٠

وَٱللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَهَا . وَوَٱللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ ٱلَّذِي يُتَّبَعُ ؛ وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي ، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ : فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ ،

(و الله لئن ابيتها) اى هذه الفعلة ــ يعنى انهاء الحرب ــ (ما وجبت على فريضتها) اى لم يكن واجب على انهاء الحرب ، و فريضتها يعنى ثبوت الفعلة ــ وقد اريد بالفعلة انهاء الحرب ــ .

(و لا حملنى الله ذنبها) اى لم يكن علىّ ذنب فى اباء انهاء الحرب ، اذ كان آباء الامام لمصلحة المسلمين و الاسلام .

(وو الله ان جئتها) اى الفعلة بمعنى انهاء الحرب ، اى قبلت الانهاء و تركت الحرب باختيارى .

(انى للمحق الذى يتبع) فكانت دعوة ابن العاص فى اتباع الكتاب لا تضرنى اذ الكتاب يعينى خلفا و قائدا (و انّ الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته) اى لم اخالف احكامه من يوم اسلمت ــ حسب الظاهر فلم اكن اخشى ان اتحاكم الى الكتاب ، و انّما كان ابائى لأنى اعلم بمكيدة القوم .

(فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله) نتبع الكتاب حيث الوقت حرج و الأزمة شديدة ــ فكيف تفارق الكتاب فى هذا الظرف ، و ليس الأمر بذلك التحرج .

(و انّ القتل ليدور على الآباء و الأبناء) بمعنى انّ المسلم كان يقتل أباه الكافر و ابنه الكافر .

(و الاخوان و القرابات) فلم نفرّ من الميدان و لم نخالف الكتاب انسياقا مع

فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ ، وَصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ لِمَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهِ شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَىٰ بِهَا إِلَىٰ

العواطف (فما نزداد على كل مصيبة و شدّة الا ايمانا) فانّ الانسان كلما ضحى بشئ غال لديه ، فى سبيل هدف خاص يزداد تعلقه بذلك الهدف .

(ومضيا على الحقّ) نمضى فى سبيل الحق بلا رجوع او ارتداد (و تسليما للأمر) الّذى أمرنا اللّه سبحانه من أقسام الفرائض (و صبرا على مضض الجراح) جمع جرح و مضضها ألمها .

(و لكنّا) اليوم ليس الأمر بتلك الصّعوبة (انّما أصبحنا نقاتل اخواننا فى الاسلام) و هو أهون على النّفس عن قتال الآباء و الأبناء (لما دخل فيه) أى فى اسلام هؤلاء الاخوان (من الزّيغ و الاعوجاج) حيث خلفوا طاعة ولّى الأمر و انضوا تحت لواء الباطل .

(و الشّبهة و التّأويل) حيث يشبهون الباطل بالحق و يؤلون الحق بغير معناه .

و الحاصل انّا على منهاج واحد فقد كنّا نقاتل فى أول الاسلام لارساء دعائم الاسلام ، و نقاتل الآن لتقويم ما اعوج من أمره ، و الهدف فى كلا الأمرين واحد.

(فاذا طمعنا فى خصلة) اى فى أمر (يلمّ اللّه به شعثنا) اى يجمع به تفرّقنا ، و ذلك بدخول هؤلاء فى الطّاعة و نبذهم العناد و العصيان .

(و نتدانى بها) اى نقترب بسبب تلك الخصلة بعضنا من بعض (الى

ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَىٰ مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا

البقية فيما بيننا) اى الى بقيّة الاسلام الّتى يتمسّك الطّرفان بها (رغبنا فيها) اى فى تلك الخصلة (وأمسكنا عمّا سواها) من الاختلافات الّتى لا تعود الى جوهر الاسلام ، وتقدير الكلام : فاذا طمعنا فى لمّ الشّعث ، حاربنا رغبة فى الاجتماع ، وقد تحصّل انّ الامام عليه السّلام احتجّ عليهم بامرين :

الأول : انّهم هم الّذين طلبوا الحكومة فلم يكن ذلك من الامام عليه السّلام .

الثانى : انّ الامام سواء حارب أو أنهى المحاربة فهو على حق ، فان محاربة الإمام كانت للاسلام ، فلا مأخذ عليه ، وتركه كان للرّجوع الى حكم القرآن ، و القرآن يعيّنه دون عدوّه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(قاله لأصحابه فى ساحة الحرب) بصفّين وفيه تعليمهم لكيفيّة المحاربة (وأى امرئ منكم) معاشر أصحابى (أحسّ من نفسه رباطة جأش) اى قوّة القلب (عند اللّقاء) اى لقاء العدو (ورأى من أحد من اخوانه فشلا) وضعفا (فليذبّ عن أخيه) فليدافع عنه (بفضل نجدته) أى شجاعته (الّتى فضل بها

عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَىٰ ٱلْفِرَاشِ

ومنه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ :

عليه) اى فضل بتلك الشجاعة على اخيه (كما يذب عن نفسه) وهذا بالنتيجة عائد الى نفسه لأن نصرة الانسان تتوقّف عمل نصرة أقرانه جميعا .

(فلو شاء اللّه لجعله مثله) فى ضعف القلب والفشل ، فاذا تفضّل اللّه عليه بالشّجاعة فليشكر ربّه فى بذلها لصديقه الفاشل الضّعيف .

(انّ الموت طالب حثيث) أى يطلب النّاس بشدّة (لا يفوته المقيم) فى محلّه (ولا يعجزه الهارب) الّذى يهرب من الموت وهذا الكلام من الامام دفع ، لأن يقول القوى انّى أخاف أن نصرت اخر ان اقتل دونه .

(انّ أكرم الموت القتل) لأنّ الانسان لا بدّ أن يموت ، فاذا قتل فى سبيل اللّه ادرك الثّواب ، واذا مات ، لم يدرك ثوابا ، والأمر كائن لا محالة ، فلماذا لا يدرك الانسان ما فيه فضل .

(والّذى نفس ابن أبى طالب بيده) هذا حلف باللّه سبحانه ، مع اشتماله على التّهديد ـ انكان المطلب على خلاف الواقع ـ . (لألف ضربة بالسّيف) فى سبيل اللّه (أهون علىّ من ميتة على الفراش) ومعنى الهوان، كونه محبوبا لدى ، لما اعلم من الثواب فيه .

و (منه) اى بعض هذا الكلام (وكأنّى أنظر اليكم) معاشر المحاربين فى ركابى (تكشّون كشيش الضّباب) جمع ضب وهو حيوان معروف ، فانّها اذا

لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا ، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

و منه : فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ،

ازدحمت سمع لجلودها صوت خاص ، يسمى بالكشيش ، والمراد حكاية حال اصحابه عند الهزيمة من جيش الأعداء ، ولعل ذلك بعد قتله عليه السلام و سيطرة معاوية على البلاد .

(لا تأخذون حقّا و لا تمنعون ضيما) اى ظلما (قد خليتم و الطريق) أى خلى لكم الطريق ، فانّ القوم يسيرون فى طريق الدنيا ، اما طريق الآخرة ، فقد خلى لكم .

(فالنّجاة للمقتحم) اى للّذى يسلك طريق الآخرة ، و انّما سمّاه اقتحاما لما فى طريق الآخرة من الشدائد (و الهلكة) اى العقاب و العذاب (للمتلوم) اى للمتباطى و المتوقف ، و هو الذى لا يسلك طريق الآخرة .

(ومنه) : فى حثّهم على القتال (فقدّموا الدارع) اى ليكن الذى لبس الدرع فى مقدمة الصفوف لعدم تأذيه بنبال القوم و رماحهم (و أخّروا الحاسر) الذى لا درع له (وعضوا على الأضراس) اى اضغطوا بعضها على بعض (فانه) اى العض (انبى للسّيوف عن الهام) من بنا السّيف اذا رفعته الصلابة من موقعه فلم يقطعه ، فانّ الانسان اذا عضّ على نواجذه تصلبت اعصاب رأسه و جلدته ، فيكون اقوى فى الصلابة و يقل تأثير السيف على رأسه حينئذ ، وهام ، جمع هامة ، بمعنى الرأس .

(و التووا فى أطراف الرماح) اى اذا جائكم طرف رمح الأعداء ، فأميلوا

فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ ؛ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ ،وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ . وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ ،

ذلك الجانب واعطفوه ، حتى لا يصل اليكم الرمح ٠

(فانّه) اى الالتواء (امور للأسنة) اسنة ، جمع سنان ، وهو الرمح ، و معنى أمور : اشدّ فعلا للمور ، اى الاضطراب ، فانّ الانسان اذا التوى ، اضطرب جانبه المقصود بالرمح فلم يتمكن الرمح من النفوذ فيه ، بل انزلق عنه (و غضّوا الأبصار) والظّاهر انّ المراد بالغض تضييق الجفون ليرى قليلا ،لا الغمض ،

(فانّه) اى الغض (اربط للجأش) اى اكثر تقويتا للقلب (و أسكن للقلوب) فانّ الانسان اذا نظر الى الأعداد هاله كثرتهم واضطرب قلبه وخاف اما اذا غضّ بصره لم ير الاّ ما أمامه وذلك شئ قليل فيقوى قلبه فى المحاربة ٠

(وأميتوا الأصوات) اى لا تتكلّموا (فانّه أطرد للفشل) فانّ المتكلّم يذهب بعض قواه فيكون أقرب الى الفشل ، امّا السّاكت فقواه متجمعة فى باطنه مندفعة نحو عمله فيكون أطرد للفشل ٠

(ورايتكم) اى لو آئكم (فلا تميلوها) فانّ ميل الرأية موجب لريبة البعيد فيظنّ انّها مشرفة على السّقوط (ولا تخلوها) اى لا تفعلوا بها ما يوجب خللا ، لأن الراية علامة البقاء والاستمرار فى الجهاد ٠

(ولا تجعلوها الا بأيدى شجعانكم والمانعين الذمار منكم) الذمار ما يلزم على الانسان حفظه من عرض او مال او ما اشبه ، اى الأشخاص الذين لهم نفسية منع الذمار عن الأعداء فانّهم اكثر ايثارا للنفس فى سلب التحفظ على كيانهم ، فلا يتخلون على اللواء بمجرد خوف او تعب ٠

فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ : حِفَافَيْهَا، وَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَىٰ أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ، وَايْمَ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ،

(فانّ الصّابرين على نزول الحقائق) اى الذين يصبرون اذا نزلت بهم نازلة (هم الّذين يحفون براياتهم) اى يكتنفون بها و يحيطون حولها لئلاّ تسقط فيفشلوا و يلاموا .

(و يكتنفونها حفّا فيها) اى جوانبها اى يدورون فى جوانبها تحفّظا لها عن الأعداء .

(وراءها و امامها) تفسير لحفافيها (و لا يتأخّرون عنها فيسلموها) بيد الأعداء (و لا يتقدّمون عليها) بأن يجعلونها وراء ظهورهم (فيفردوها) فانّ افراد الراية محل خطر السقوط الذى فيه انهزام الجيش .

(اجزأ امرؤ قرنه) فعل ماضى بمعنى الأمر ، و أجزء بمعنى يكفى ، اى فليكف كل شخص منكم قرنه ـ اى مثله ـ من الأعداء (وآسى اخاه بنفسه) اى ليواسى أخاه بنفسه ، بأن يقدم له ما يتمكن من العون .

(و لم يكل قرنه الى اخيه) بأن يفر هو من مقابلة قوة من الأعداء ، حتى يذهب القرن الى صديقه (فيجتمع عليه) اى على ذلك الصّديق (قرنه و قرن أخيه) فانّ الكافر اذا لم يجد المسلم الّذى كان يقاتله لوى عنانه الى مسلم آخر ، فيجتمع على ذلك المسلم كافران .

(و أيم اللّه) حلف باللّه سبحانه (لئن فررتم من سيف العاجلة) اى سيف

لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ ، وَالسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللهِ ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ ، وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ . وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . الرَّائِحُ إِلَىٰ ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ؟ ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي !

الدّنيا ، الّذى بأيدى اعدائكم فرارا من خوف الموت (لا تسلموا من سيف الآخرة) اى عذاب الله سبحانه المهيّئ لمن فر عن الزحف (و أنتم لهاميم العرب) جمع لهميم ، و هو السّابق من الانسان او الخيل ، اى السابقون الى كل خير ، فانّ الكوفة كانت معروفة بالبسالة و الشجاعة .

(و السّنام الأعظم) السّنام ما على ظهر البعير من الارتفاع ، يمثل به المترفع (انّ فى الفرار موجدة الله) أى غضبه (والذّلّ اللّازم) فانّ الانسان الّذى ينتصر عدوّه عليه يلزمه الذل و العار (و العار الباقى) حتّى بعد موته ، حيث يذكر فيعير .

(و ان الفارّ لغير مزيد فى عمره) فانّ العمر لا يطول بالفرار ، كما لا يقصر بالوقوف (و لا محجوز بينه و بين يومه) المقدّر فيه موته ، اى لا يتمكّن من أن يحجز، و يمنع عن الموت اذا جاء وقته .

(الرّائح الى الله) المراد الميت الذى له عمل صالح ـ كالمشهد فى سبيل الله ـ (كالظّمآن يردّ الماء) فكما يفرح و يروى الماء غلته كذلك يفرح الميت فى سبيله سبحانه و يتنعم بمختلف انواع النعيم .

(الجنّة تحت أطراف العوالى) جمع عاليه بمعنى الرّمح ، والمعنى أنّ الجنّة انما تتحصل من الاستشهاد تحت ظلال الرمح ، او مطلق الجهاد و ان لم يستشهد الانسان .

اَلْيَوْمَ تُبْلَى اَلْأَخْبَارُ ! وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اَللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا اَلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ. إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ: يَخْرُجُ مِنْهُ اَلنَّسِيمُ؛ وَضَرْبٍ يَفْلِقُ اَلْهَامَ، وَيُطِيحُ اَلْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ اَلسَّوَاعِدَ وَاَلْأَقْدَامَ؛

(اليوم تبلى الأخبار) أي تظهر أخبار كلّ انسان ، ممّا كان يظهر انه شجاع او ثابت او ما شاكل ذلك ، فانّ الحرب مختبر الرّجال .

(والله لأنا أشوق الى لقائهم) اى لقاء الأعداء ، لنيل ثواب الجهاد (منهم الى ديارهم) فانّ الشّوق الى الدّيار اقل من شوق المؤمن الى الجنّة .

(اللّهم فان ردّوا الحق) ولم يقبلوه (فافضض جماعتهم) اى فرّقهم (وشتّت كلمتهم) اى اجعل كلام واحد يخالف كلام الآخر ، حتّى يقع التّنافر بينهم من جراء اختلافهم .

(وابسلهم) اى اسلمهم للهلاك (بخطاياهم) اى بذنوبهم ، والمعنى عجّل العقوبة عليهم بما أذنبوا ، ولا تؤخّر هلاكهم (انّهم) اى الأعداء (لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك) اى متدارك متتابع (يخرج منه) اى من مواضع ذلك الطّعن (النّسيم) اى الهواء ، والمعنى انّهم مستميتون ، فاللازم أن يتّخذ أصحابنا اهبتهم للقائهم .

(و) دون (ضرب يفلق) اى يكسر (الهام) اى الرأس (ويطيح العظام) فانّ الضّرب اذا كان شديدا تطايرت منه صغار العضام ، فتسقط على الأرض .

(ويندر) اى يخرج (السّواعد) جمع ساعد من اليد (والأقدام) أى

وَحَتَّىٰ يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِٱلْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ، وَحَتَّىٰ يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ ؛ وَحَتَّىٰ تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ .

قال السيد الشريف : أَقُولُ : الدَّعْقُ : الدَّقُّ ، أَيْ تَدُقُّ الخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ : مُتَقَابِلَاتُهَا. يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ، أَيْ تَتَقَابَلُ .

يخرجها عن مراكزها (وحتّى يرموا بالمناسر) جمع منسر ، القطعة من الجيش (تتبعها المناسر) اى بتوالى قطعات الجيش بعضها أثر بعض ·

(و يرجموا بالكتائب) جمع كتيبة بمعنى الجيش ، أو قسم خاص منه (تقفوها) اى تتبعها (الحلائب) جمع حلبة ، هى الجماعة من الخيل تجتمع للنّصرة ·

(وحتّى يجر ببلادهم الخميس) اى يذهب الى بلادهم الجيش ، وسمّى الجيش خميسا لاشتماله على الأيمن و الأيسر و المقدم و الخلف و القلب ·

(يتلوه الخميس) اى جيش وراء جيش (وحتّى تدعق) يقال دعق الطريق اذا وطئه وطئا شديدا (الخيول فى نواحر أرضهم) اى اقاصى ارضهم تشبيها بالنّحر الّذى هو آخر الجسد ، او المراد المواضع المهمّة ، كما انّ النّحر موضع مهم اذا خنق مات الانسان ·

(و باعنان مساربهم و مسارحهم) اعنان الشئ اطرافه ، و المسارب جمع مسرب بمعنى المذهب ، و المسارح جمع مسرح ، بمعنى محل سرح الماشية ، و قد كان الامام عليه السّلام يعلم مقدار استعداد الأعداء و لذا حرض أصحابه بمثل هذه التحريضات البالغة ، و هى دستور لكلّ من يريد الظّفر على أعداء مجهّزين ·

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. وَهٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ.

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام.

(فى التحكيم) وذلك بعد ان سمع عليه السلام قصّة الحكمين

(انّا لم نحكّم الرّجال) كأنّ الامام عليه السّلام يريد بذلك ان ينقض كلام الخوارج الذى قالوا قد حكمت الرّجال فى دين اللّه .

(وانّما حكّمنا القرآن) بأن ينظرا فيه فيحكما على طبق أمره (وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين) هما الصفحتان من جلد تحويان على اوراق المصحف الشريف .

(لا ينطق بلسان) اذ لا لسان له (ولا بدّ له من ترجمان) يترجم و يبيّن المراد منه (وانّما ينطق عنه الرّجال) العارفون لمعناه ، وهذا نقض لكلام الخوارج حيث قالوا لا حاجة الى التّحكيم بعد وجود كتاب اللّه سبحانه ، فانّ الامام عليه السّلام يذكر انّ القرآن صامت فلا بدّ له من رجال يعرفون معناه ليبينوا ما فيه من الأحكام .

وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ ٱلْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ » فَرَدُّهُ إِلَىٰ ٱللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَىٰ ٱلرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ .

(ولما دعانا القوم) اى أصحاب معاوية (الى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّى) اى المعرض (عن كتاب الله تعالى) .

(وقد قال الله سبحانه : « فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله و الرّسول ») فانّ الامام انّما أعرض عن التّحكيم لأنه كان يعلم انّه مكيدة ، و لم يكن اعراضه عن الكتاب .

(فردّه الى الله) فى قوله سبحانه : ((ردّوه الى الله)) (ان نحكم بكتابه) فيما يوجد فى الكتاب من الأحكام .

(و ردّه الى الرسول) فى قوله سبحانه : ((و الرسول)) (أن نأخذ بسنّته) فى ما لم يوجد فى الكتاب (فاذا حكم بالصّدق) بأن لم يكن القصد المكيدة (فى كتاب الله) بأن بين المراد من الكتاب كتطبيق آية : ((و أولى الأمر منكم))على الامام .

(فنحن أحقّ النّاس به) أى بالحكم ، او بالكتاب (و ان حكم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه و آله) كقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم : علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ .

(فنحن أولاهم) أى أولى النّاس ، أو أولى من معاوية و أصحابه (به) أى بحكم السنّة .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ ؟

(و أما قولكم) أى الخوارج (لم جعلت بينك و بينهم أجلا فى التحكيم) ؟ فانّ الامام عليه السّلام جعل مدّة الحكم سنة ، حتّى ينظر الطّرفان فى تلك المدّة ويحكما بما يوافق الكتاب ، وقد كان الخوارج يوجّهون النّقد على الامام فى ضرب هذه المدّة وحجّتهم فى النّقد انّ معاوية يتقوى فى مدّة المهلة ويستعيد نشاطه للمحاربة من جديد ، لكن كلام الخوارج كان فاسدا ، فانّ المدّة كانت لابدّ منها كما ضرب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مدّة فى قصّة الحديبيّة ، وذلك لأنّ أمر الثّورات ليس كقضاء عادى بين نفرين يفصل فى يوم أو ساعة ، وانّما يحتاج الى مدّة من الأمر ، لتهيئة الظروف للتفاهم ، وتقريب وجهات الأنظار .

ولا بأس ببيان صورة الكتاب : ((بسم الله الرحمان الرّحيم ، هذا ما تقاضى عليه علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى علىّ بن أبى طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية بن أبى سفيان على أهل الشّام ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين انّما ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الاّ ايّاه وانّ كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيى ما أحى القرآن ونميت ما أمات القرآن ، فانّ وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله اتّبعاه ، وان لم يجداه أخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة ، والحكمان عبد الله وعمر بن العاص ، وقد أخذ الحكمان من علىّ ومعاوية ومن الجندين أنّهما آمنان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما ، و الأمة لهما أنصار وعلى الّذين يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطّائفتين عهد الله أن يعمل بما يقضيان عليه فيما وافق الكتاب والسنّة وان الأمن والموادعة ووضع السلاح متّفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم ، وعلى كلّ واحد من الحكمين عهد الله ليحكمنّ بين الأمة بالحق ، لا بما يهوى واجل الموادعة سنة

فإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ ـ

كاملة ، فان أحبّ الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه ، وان توفى احدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألوا الحق والعدل وان توفّى أحد الأميرين كان نصب غيره الى أصحابه ممّن يرتضيون أمره ويحمدون طريقته ، اللّهمّ انّا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصّحيفة وأراد فيها الحادا أو ظلما)) ٠

وشهد فى الصّحيفة من أصحاب علىّ عليه السّلام عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة ٠

(فانّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل) أى يفهم الأمر (ويتثبت العالم) فى رأيه ليتخلّص من الشّبهات (ولعلّ اللّه ان يصلح فى هذه الهدنة) اى مدّة الكف عن القتال (أمر هذه الأمة) بما لا يكون معه قتال بعد ذلك ٠

(ولا تؤخذ بأكظامها) جمع ((كظم)) محركة بمعنى مخرج النّفس ، وذلك كناية عن المضايقة والاشتداد لعدم المهلة (فتعجل عن تبيّن الحق) بمعنى ان تتعجّل قبل تبيّن الحقّ وظهوره ٠

(وتنقاد لأول الغىّ) أى ما يبدو من الضّلال ، فانّ الجاهل ينساق وراء كلّ ناعق ويتجاوب لكلّ حركة ٠

(انّ أفضل النّاس عند اللّه من كان العمل بالحقّ أحبّ اليه) هذا لبيان انّ المدّة ولو كانت توجب الصّعوبة علىّ ، لكن ذلك حق ، واللاّزم ان يتبع الانسان الحق وان أوجب صعوبة عليه (وان نقصه) الحق (وكرثه) اى أوجب

مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ ! ٱسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَىٰ قَوْمٍ حَيَارَىٰ عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِٱلْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ. مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا .

شدّة الغم عليه .

(من الباطل) متعلّق بأحبّ اليه (وان جرّ اليه فائدة وزاده) عطف على ((جر)) أى زاده فائدة (فأين يتاه بكم) خطاب مع الخوارج ، اى الى أين تضلون .

(ومن أين أتيتم) ؟ أتاه ، اى خدعه واغفله اى من ان صار سبب هلاككم والى اى المهالك تذهبون ، بعد وضوح الحجة والاستفهام انكارى .

(استعدّوا للمسير الى قوم) أى أصحاب معاوية (حيارى عن الحقّ) جمع حيران (لا يبصرونه) أى لا يرون الحقّ (وموزعين) من أوزعه اى أغراه (بالجور) فانّ معاوية أغراهم بالظّلم والجور .

(لا يعدلون به) أى لا يجعلون شيئا عدلا للجور الّذى يرتكبونه (جفاة) من جفا ، بمعنى ظلم وابتعد (عن الكتاب) أى القرآن (نكب) جمع ناكب بمعنى المائل (عن الطّريق) لا يستقيمون فيه وانّما يمشون فى الطّرق المعوجة ، ثمّ أظهر الامام اشمئزازه عن أصحابه بقوله : (ما أنتم بوثيقة يعلق بها) اى بعروة محكمة يستمسك بها (ولا زوافر) جمع زافرة وهى أنصار الرّجل وأعوانه (عزّ) أى أنصار موجب للعزّ والشّرف (يعتصم اليها) أى يتمسّك الشّخص بها ويوجبون له عزّة ورفعة .

لَبِئْس حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ! أُفٍّ لَكُمْ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً ، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ ، فَلَا أَحْرَارُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ !

(لبئس حشّاش نار الحرب أنتم) حشّاش جمع حاش ، من حشّ النّار بمعنى أوقدها ، أى لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم ، و شبّهت الحرب بالنّار، لأنّها كالنّار ، تفنى الأشياء ٠

(أفّ لكم) كلمة تضجر و تنفر و ((لكم)) لبيان جهة الضّجر ، و انّه من جهتكم ٠

(لقد لقيت منكم برحا) أى شدّة وعنتا (يوما أناديكم و يوما أناجيكم) أى سواء كنتم بعيدين عنّى أو قريبين ، فلا بعدكم بمريح و لا قربكم بمفيد ٠

(فلا أحرار عند النّداء) للحرب وعنده ، فانّ الانسان الحر يجيب المنادى للحرب لأنه يعلم أنّ الحرب عزّه و شرفه و بقاء أهله و بلده ، بخلاف العبد الّذى لا علاقة له ، فانّه لا يفرق لديه تغلّب أى الطّرفين ، فانه لا علاقة له بهذا الطّرف و لا بذاك الطّرف ٠

(و لا اخوان ثقة عند النّجاء) النّجاء الافضاء بالسّر ، من النّجوى اى لا يوثق بكم فى اباحة السّرّ و اظهار الضمير للمشاورة و المباحثة ٠

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! وَاللهِ ما أَطُورُ بِهِ

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(لمّا عوتب على التّسوية فى العطاء)

فقد كان الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يسوى فى العطاء بين المسلمين ، سواء كان المال من الغنائم أو الزكواة أو ما أشبه . أما من جاء بعده ممّن ادّعى الخلافة فقد كانوا يتفاضلون ، خلاف سنّة الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، حتّى جاء الامام عليه السّلام فأخذ فى التّسوية وذلك ممّا لم يرق للّذين اعتادوا الفضل فى زمن الثّلاثة ، فعاتبوه بما فعل ، وذكروا له أنه عليه السّلام ان استمرّ فى هذه الطّريقة أدّى ذلك الى تفرّق أصحابه ، وفاته النّصر ، فأجاب الامام عليه السّلام بهذا الجواب :

(أتأمرونّى أن أطلب النّصر بالجور) أى أن أكون منتصرا بسبب اعطاء حقّ الضّعيف الى القوىّ الّذى هو جور وظلم (فيمن ولّيت عليه) متعلّق ((بالجور)) أى أجور على الرّعية الّتى ملكت زمام أمرها .

(واللّه ما أطور به) من طار يطور ، بمعنى حام حول الشّئ ، اى لا أحوم حول ذلك ولا أقاربه .

مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ . وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ . وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ ،

(ما سمر سمير) اى ما دام يسمر سامر ، والسّامر هو المتحدّث باللّيل ، و هذا كناية عن الأبديّة فى عدم جوره ، لأنّ السّمر مستمرّ مع بقاء الانسان ·

(وما أمّ نجم فى السّماء نجما) أى ما دام يقصد بعض النّجوم بعضا ، وذلك كناية عن سيرها ، فانّها بحركاتها ، ترى كالقاصد ·

(لوكان المال لى) ملكا شخصيّا (لسوّيت بينهم) أى بين النّاس فى العطاء (فكيف) لا أعدل (وانّما المال مال اللّه) وقد أمر سبحانه بالتسوية ، فأولى بأن أسوى بين الرّعية ·

(ألا وانّ اعطاء المال فى غير حقّه تبذير واسراف) لأنّ اللّه سبحانه جعل للمال موارد خاصّة ، فاذا صرف فى غير تلك الموارد ، كان تبذيرا ·

(وهو) أى اعطاء المال فى غير حقّه (يرفع صاحبه فى الدّنيا) لتقوية صاحب الأطماع للمعطى (ويضعه فى الآخرة) لأنه عصى اللّه سبحانه فى صرفه المال فى غير مصرفه المقرّر ·

(ويكرمه فى النّاس) لمدح الآخذين له (ويهينه عند اللّه) لعصيانه له تعالى (ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقّه) المقرّر شرعا (ولا عند غير أهله الاحرّمه اللّه شكرهم) اذ الأخذ ذو الطّمع لا يعرف حقّا ، حتّى يشكر المعطى ، ولو عرف الحق لم يطمع فى أزيد من نصيبه ·

وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ !

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

(وكان لغيره) أي غير المعطى (ودّهم) أى حبّ الآخذين ، فهم يأخذون من هذا المال و يحبّون غيره .

(فان زلت به النعل) كناية عن سقوط المعطى سقوطا ماليّا أو اجتماعيّا أو ما أشبه (يوما) فى يوم من الأيام .

(فاحتاج الى معونتهم) أى أن يعيّنه الآخذون لماله .

(ف) هم (شرّ خدين) الخدين الصّديق (والأم خليل) أى أكثر الاخلاء لئامة ، فان من يطمع فى مال الانسان لا يهبه حقّه فما دام له مال ورفعة حام حوله ، اما اذا سقط ، تركه ليحوم حول ذى مال آخر .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

وفيه يبين بعض احكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة و ينقض حكم الحكمين

فى الاعتراض على الخوارج ، فانّهم قالوا بأنّ الامام كفر ـ لأنه عليه السّلام قبل التّحكيم فى دين الله ـ وقالوا للامام تب ، لكنّ الامام عليه السّلام لم يقبل مقالهم ، و بيّن لهم انّه لم يخطأ حتّى تجب عليه التّوبة ، فأخذوا يحاربون الامام والمسلمين عامّة ، يفسدون فى الأرض و يقتلون النّاس ،بلا مبرر الا هوى وجهالة ضلالة .

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي ، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي ! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ،

(فانّ ابيتم الا أن تزعموا انّى أخطأت و ظللت) بقبولى للتّحكيم (فلم تظللون عامة أمة محمّد صلّى الله عليه و آله) فان ضلال الخليفة لا يوجب ضلال الأمة (بضلالى) أى بسبب ضلالى .

(و تأخذونهم بخطئى) وعصيانى (و تكفرونهم بذنوبى) وقد قال سبحانه : ((لا تزر وازرة وزر أخرى)) .

(سيوفكم على عواتقكم) جمع عاتق ما بين المنكب و العنق يوضع السّيف هناك استعدادا للضّرب .

(تضعونها مواضع البرء و السّقم) أى تضربون بها المستحق وغير المستحق ـ والمراد السّقم بنظرهم ، لا بنظر الامام عليه السّلام ـ .

(و تخلطون) فى الضّرب (من اذنب) بنظركم ـ كالامام عليه السلام ـ (بمن لم يذنب) كعامّة المسلمين وقد كان الخوارج ولدوا نظرة مغلوطه ـ تابعا لنظرتهم المغلوطه حول الامام عليه السّلام ـ وتلك انّه لا واسطة بين الاسلام و الكفر فمن أذنب فهو كافر ، ومن لم يذنب فهو مسلم ـ وليس هناك مسلم فاسق ، يستحق الحد لفسقه ، لا القتل لكفره ، فاعترض عليهم الامام عليه السّلام بقوله : (وقد علمتم انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رجم الزّانى المحصن) وهو الّذى له زوج ، فكأنه قد تحصّن عن الزّنا بالزّواج (ثمّ صلّى عليه) صلاة

ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ ؛ وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَيْءِ، وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ،

الأموات ، فلو كان كافرا ــ لزناه ــ لم يصلّ عليه النّبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (ثمّ ورثه أهله) أى أعطى ميراثه لأهله بعد موته ، لا لأهله قبل موته ، بعد الزّنا فانّ الانسان اذا كفر قسم امواله يوم كفره الى ورثته فى ذلك اليوم لا ورثته عند الموت ٠

(وقتل) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (القاتل وورث ميراثه أهله) يوم قتل ولو كان كافرا بسبب قتله كان الّلازم جعل ميراثه حسب يوم ان قتل ، لا يوم قتل ٠

(وقطع) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يد (السّارق وجلد الزّانى غير المحصن) الّذى لا زوج له (ثمّ قسّم عليهما من الفئ) أى الغنيمة (ونكحا المسلمات) ولو كانا كفرا بالسّرقة والزّنا ، لم يكونا مسلمين ليستحقّا الغنيمة و يجوز للمسلمات نكاحهنّ اياهما ٠

(فأخذهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بذنوبهم) أى عاقبهم حسب ذنوبهم (وأقام حقّ اللّه فيهم ولم يمنعهم) الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (سهمهم من الاسلام) كالفئ الّذى يعطى للمسلم وما أشبه (ولم يخرج اسماءهم من بين أهله) أى أهل الاسلام ، بأن يعلن انّهم كفّار داخلون فى زمرة الكافرين ٠

(ثمّ أنتم شرار النّاس) ترتكبون الآثام بأنفسكم فكيف تكفرون مرتكبى الآثام و

وَمَنْ رَمَىٰ بِهِ ٱلشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ ! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ فِيَّ حَالًا ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ فَٱلْزَمُوهُ ، وَ ٱلْزَمُوا ٱلسَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ .

تصرفون النّظر عن أنفسكم .

(ومن رمى به الشّيطان مراميه) أى أنتم من وسائل الشّيطان فى اضلال النّاس تشبيه بمى يرمى بسهمه هدفه ليصطاد من وراء ذلك ما شاء .

(وضرب به تيهه) أى سلك به فى وادى الضّلالة ، يقال ضربت التيه أى سرت فى المتاهة ، سميت الصّحراء بها لأنها محلّ التيه و الضّلال عن الطّريق .

(وسيهلك فىّ صنفان) من النّاس ، والمراد الهلاك ، عاقبة وآخرة (محبّ مفرط يذهب به الحبّ الى غير الحقّ) كالّذين قالوا بألوهيّة الامام عليه السّلام .

(ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحقّ) كالخوارج والنّواصب الّذين سبّوا الامام عليه السّلام و نسبوه الى الكفر و العصيان .

(وخير النّاس ـ فىّ ـ حالا) تميز لخير (النمط الأوسط) اى القسم الأوسط وهم شيعته عليه السّلام .

(فالزموه) اى النّمط الأوسط (و ألزموا السّواد الأعظم) فقد كان السّواد الأعظم ذلك اليوم مع الامام عليه السّلام ، وانّما كان مع الخوارج قلّة من النّاس، وليس المراد السّواد الأعظم مطلقا ، والا فأهل الباطل كالوثنيين و المسيحيين أكثر من المسلمين .

(فانّ يد اللّه مع الجماعة) اى قوّة اللّه سبحانه ـ اذ اليد بمعنى القوّة ـ

وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ،كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ . أَلَا مَنْ دَعَا إِلَىٰ هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ ، وَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ ، وَ إِحْيَاؤُهُ ٱلاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَ إِمَاتَتُهُ ٱلافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ

(وايّاكم و الفرقة) أى التّفرقة (فانّ الشّاذ من النّاس للشّيطان) اذ من يترك النّاس ويستبد بآرائه يسرع اليه الباطل ، لأنه لا يستفيد الآراء الصّحيحة من المجتمع .

(كما انّ الشّاذّ من الغنم للذّئب) حيث يخطفها ، اذ لا يرى الرّاعى عليها (الآ من دعا الى هذا الشّعار) الشّعار علامة يتواضع جماعة من النّاس عليه ليعرفوا به جماعتهم عمّن سواهم ، و سمّى شعارا كأنه اللّباس الملاصق الى جلدهم ـ اذ البطانة تسمّى الشّعار ، فى مقابل الظهارة المسمّاة بالدّثار ـ و مراده عليه السّلام بهذا الشّعار شعار المفارقة للجماعة الّتى هم على حق .

(فاقتلوه ، ولوكان تحت عمامتى هذه) هذا لبيان عدم غرور الانسان بزهد صاحب الشّعار وصلاحه ، وانّما الميزان كونه مع الجماعة ، او مخالفا لهم ، فان من يخالف الجماعة اذ لم يقتل كان مادّة فساد واخلال بالأمن والاجتماع .

(وانّما حكم الحكمان) أبو موسى و ابن العاص (ليحييا ما احيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن) كما سبق ذكره فى الكتاب الذى كتب بين الامام و معاوية .

(و احياؤه) اى القرآن (الاجتماع عليه) لأنه يوجب حركة القرآن فى مجالات الحياة والحركة من ملازمات الحياة .

(و أماتته الافتراق عنه) فانه يوجب عدم العمل بالقرآن (فان جرّنا القرآن

إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْراً، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ،

اليهم) اى الى معاوية و أصحابه (اتبعناهم) و سلّمنا الأمر اليهم (وان جرهم القرآن (الينا اتبعونا) و سلموا الأمر الينا ـ و هذا الكلام من الامام عليه السلام لبيان انه لم يعمل عصيانا بتحكيم القرآن و جعل الحكمين ـ .

(فلم آت ـ لا ابا لكم ـ بجرا) البجر الشر ، و أصل لا ابالكم كلمة تنقيص كأنه لا ابا لهم ليرشدهم و يؤدّبهم ، أو دعاء عليهم بأن يفقدوا الاب ليتشتت شملهم .

(و لا ختلتكم) أى خدعتكم (عن أمركم) بأن جعلت الحكمين خدعة ، فتأخذون ذلك عليّ (و لا لبسته عليكم) بأن اخفيت عنكم وجه الحقيقة لتشتبهوا فى الأمر .

(انّما اجتمع رأى ملئكم) اى جماعتكم و ذوى الرأى منكم (على اختيار رجلين) الأشعرى و ابن العاص (أخذنا عليهما) العهود (أن لا يتعدّيا القرآن) فى حكمهما (فتاها) اى ضلاّ و انحرفا (عنه) أى عن القرآن (و تركا الحق و هما يبصرانه) لانّ كليهما كان يعلم ان الحق مع الامام .

لكن الأشعرى لم يعين الامام حقدا عليه ، حيث عزله الامام عليه السلام عن منصبه فى الكوفة ، و ابن العاص ترك الامام انسياقا وراء شهواته و ما وعده معاوية من ولاية مصر ، فقد خدع ابن العاص الأشعرى ، و قال له : انّ الفساد من هذين الرّجلين عليّ و معاوية ، فاللازم أن يخلع كلّ منّا صاحبه ، حتى يجتمع

وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي ٱلْحُكُومَةِ بِٱلْعَدْلِ، وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

المسلمون و يعيّنوا خليفة صالحا لأنفسهم ، و اغترّ الأشعرى بكلام ابن العاص، وفى يوم الاعلان ، صعد الأشعرى المنبر ، وقال : أيها النّاس انا خلعت عليا كما نزعت هذا الخاتم من اصبعى ·

ثم صعد ابن العاص ـ وكان الأشعرى يظنّ انّه يفعل مثل ما فعل ، بالنسبة الى صاحبه معاوية ـ وقال : ايّها النّاس استمعتم انّ الأشعرى خلع صاحبه ؟ فانّى قد نصبت صاحبى معاوية على مسند الخلافة ، كما وضعت خاتمى فى اصبعى ثم جعل خاتمه فى اصبعه ، ثمّ لمّا نزل من المنبر ، سبه الأشعرى ، وأخذ كلّ بلحية الأخرى ، ولم تنحل الفتنة ، و انّما زادت ·

(وكان الجور) و الانحراف (هواهما) اى الأشعرى و ابن العاص (فمضيا عليه) تاركين الحق و العدل (وقد سبق استثناؤنا عليهما) اى ان تفويضنا لهما لم يكن مطلقا ، بل استثنينا العمل برأيهما ، فهما لم يكونا حكمان حتى فى نفاذ مثل هذا الرأى (ـ فى الحكومة بالعدل و الصمد للحق ـ) اى الصمود والثبات للحق ، هذه جملة معترضة لبيان مقدار تفويضهما فى الأمر (سوء رأيهما و جور حكمهما) مفعول ((استثنينا))

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ . وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة)، وكان ذلك بعد موقعة الجمل (يا أحنف) وقد كان واليا للامام على البصرة (كأنى به) أى بصاحب الزنج واسمه على بن محمد ، وكان يدعى انه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، ثار واجتمع حوله كثير من العبيد والصعاليك ، وقتل فى البصرة مقتلة عظيمة ، حتى ذكر بعض التواريخ ان قتلاه كانوا ثلثمائة الف ، وأخيرا غلب عليه الخليفة العبّاسى وقتله .

(وقد سار بالجيش الذى لا يكون له غبار) لعدم كونه جيشا له خيل ينثر الغبار ، وانما كان اتباعه حفاتا .

(ولا لجب) اى لا صياح لهم (ولا قعقعة لجم) جمع لجام ، لأنه لم يكن لهم خيل حتى تكون لها لجم ، وقعقعة اللجام صوته لدى الحركة .

(ولا حمحمة خيل) اى صوتها (يثيرون الأرض بأقدامهم) اى يظهرون الغبار بالأقدام ، دون الخيول (كأنها أقدام النّعام) جمع نعامة ، لعل

قال الشريف : يومىء بذلك إلى صاحب الزّنْج .

ثم قال عليه السلام : وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَايُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا

التشبيه فى سهولة المشى و يسره فان النعام هكذا ، وقيل غير ذلك ((يومى بذلك الى صاحب الزنج)) و انما قيل له ذلك ، لأن غالب جيشه كان من الزنج اى العبيد ، الذين أتى بهم من الزنج .

(ويل لسككم العامرة) جمع سكة ، و المراد خواب الطرق العامرة بواسطة ثورة صاحب الزنج (و الدور المزخرفة) اى المزيّنة بالزّخرف ، و هو بمعنى الزينة (التى لها اجنحة كأجنحة النّسور) المراد ما يخرج منها الى الجادة ،كالجناح ، بقصد توسعة الغرف ، و تظليل المارة عن البرد و الحرّ .

(وخراطيم) جمع خرطوم (كخراطيم الفيلة) جمع فيل و المراد بها الأعمدة التى تحفظ الجناح .

(من اولئك الذين لا يندب قتيلهم) ((من)) متعلق بويل ، و الظاهر ان المراد بعدم ندبة القتيل انهم لا أهل لهم ــ لأن اغلبهم من العبيد ــ فلا يبكى احد لهم اذا قتلوا .

(ولا يفتقد غائبهم) اذا غاب منهم احد لم يكن احد يفتقده و يبحث عن أحواله .

(انا كابّ الدنيا لوجهها) من كب الاناء ، اذا اكفئه ، بمعنى انه زهد فى الدنيا فلم يعتن بشأنها .

وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا .

منه فى وصف الاتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً «كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ» ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ

(وقادرها بقدرها) اى معامل مع الدنيا بقدرها الحقيقى ، لا ان اضعها فوق قيمتها ، كما يفعل أهل الدنيا .

(وناظرها بعينها) اى انظر الى الدنيا بعين الدنيا اى بالعين التى ينبغى ان ينظر بها الى الدنيا لا بعين العظمة والكبر ـ

(منه) ويومى عليه السلام به الى وصف الاتراك ، الذين جائوا من الشرق ، وهم المغول وخربوا بلاد الاسلام وقد كان حركة هؤلاء بتحفيز المسيحيين ، والذى تمكن ان يبقى من الاسلام باقية امام زحفهم هم الشيعة بقيادة الامام الشيخ نصير الدين الطوسى ((ره)) ، كما ثبت ذلك فى التواريخ .

(كأنى أراهم) اى المغول (قوما كأنّ وجوههم المجان) جمع مجن (المطرقة) وهى التى الزق بها الطراق ـ ككتاب ـ وهو جلد يقدر على مقدارا الترس ثم يلزق به ، وقد كان وجوه الاتراك فى الاستدارة كالمجان وفى الخشونة كالمطرقة .

(يلبسون السرق) الحرير الأبيض ، اومطلق الحرير (والديباج) ما كان فيه حرير (ويعتقبون الخيل) اى يحتبسونها لأنفسهم ويمنعونها عن غيرهم .

(العتاق) جمع عتيق ، وهى الخيل الكريمة ، فقد كان الأتراك أصحاب ترف وجمال (ويكون هناك استحرار قتل) اى اشتداده اصله من ((الحر)) .

حَتَّى يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ !

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك عليه السلام ، وقال للرجل ، وكان كلبياً :

يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَّدَهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : «إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... » ٱلْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ،

(حتى يمشى المجروح على المقتول) وقد أكثر الأتراك القتل فى ايران و العراق .

(و يكون المفلت) الذى يفلت من ايديهم و ينجو بنفسه (اقل من المأسور) الذى يأسرونه .

((فقال له بعض أصحابه : لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب .. فضحك عليه السلام و قال للرجل — و كان كلبيا —)) : (يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب و انما هو تعلم من ذى علم) اى ليس هذا علما مبنى بالغيب ذاتا ، و انما هو تعلم من الرسول صلى الله عليه وآله و سلم الذى علمه الله سبحانه .

(و انما علم الغيب علم الساعة) اى وقت قيام القيامة (وما عدده الله سبحانه بقوله : ((ان الله عنده علم الساعة)) ((الآية))) اشارة الى آخر الآية (فيعلم سبحانه ما فى الارحام) اى ارحام النساء .

(من ذكر او انثى و قبيح او جميل و سخى اوبخيل و شقى او سعيد) و الظاهر

وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً . أَوْفِي ٱلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مرَافِقاً فَهٰذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللهُ ، وَمَا سِوَىٰ ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

ان المراد العموم ، اما فى الجملة فيمكن ان يعلمه الوصى بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأمره سبحانه ، كما قال سبحانه : ((فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول)) .

(ومن يكون فى النّار حطبا) توقد به النّار ، كما قال سبحانه : ((وقودها النّاس والحجارة))(أو فى الجنان للنبيين مرافقا) اى مصاحبا ورفيقا .

(فهذا) اى كل واحد من هذه الثلاثة ((الساعة)) و ((ما فى الأرحام)) و((غاية كل انسان)) (علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله) تعالى (وما سوى ذلك) المذكور (فعلّم علمه اللّه نبيّه فعلّمنيه) فانا اعلمه بتعليم الرسول اياى .

(ودعا) الرسول صلى الله عليه وآله (لى بأن يعيه) اى يحفظه ويضبطه (صدرى) فلا انساه (وتضطم) اى تضم ، باب افتعال من ((الضم)) بمعنى الاشتمال (عليه جوانحى) اى اضلاعى ، جمع جانحة ، والمراد بذلك القلب ، وحاصل الفرق على ما بينه الامام عليه السلام ان فى الغيب امرين .

الأول : ما يبديه اللّه سبحانه للرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ويعلّمه الرّسول للاوصياء .

الثانى : ما لا يعلمه الله للرسول ــ وهو الأمور الثلاثة ــ وعدم التعليم غالبى ، والا فقد اخبر سبحانه بعض تلك الثلاثة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخبره النبى صلى الله عليه وآله وسلم للأئمة ــ كما يظهر من بعض الأحاديث ــ .

وَمِن خُطبَة لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في ذكر المكاييل والموازين

عِبَادَ اللهِ ، إِنَّكُمْ ـ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا ـ أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ : أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ .فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ ، وَرُبَّ كَادِحٍ

وَمِن خُطبَة لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(فى ذكر المكاييل والموازين) للناس صالحهم و طالحهم

يا (عباد الله انكم ـ و ما تأملون من هذه الدنيا ـ اثوياء) جمع ثوى كغنى بمعنى الضيف ، اى مثلكم مثل الضيف ، و مثل امالكم مثل امال الضيف ، فكما ان الضيف لو امل آمالا كثيرة كان ذلك باطلا ، كذلك اذ كانت لكم آمالا طوالا ، اذ لا تبقون فى الدنيا كثيرا حتى تدركوا جميع آمالكم .

(مؤجلون) لكم اجل و مدة محدودة (و مدينون) اى مطلوبون بالموت (مقتضون) من اقتضاه بمعنى طلبه ، اى يطلبكم الموت ، فلا بقاء لكم حتى تدركوا امالكم ، لكم .

(اجل منقوص) ينقص كل يوم جزء منه (وعمل محفوظ) يحفظ كل ما عملتم لتجزون به فى الآخرة .

(فرب دائب) فى العمل ، اى مستمر فيه ليله و نهاره (مضيع) اوقاته ، حيث انه يعمل فيما لا ينفعه فى الآخرة (و ربّ كادح) من كدح بمعنى تعب و

خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً ، وَلَا الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا . وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً ،

اجهد نفسه (خاسر) لأنه خسر عمره بدون ان يحصل على ما يبقى له فى الآخرة ، و هاتان الجملتان لتحريض الانسان على ان يصحح اعماله ، و يجعلها بحيث ينتفع منها فى الآخرة ٠

(وقد أصبحتم فى زمن) المراد زمانه عليه السلام ، بالقياس الى زمان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (لا يزداد الخير فيه الا ادبارا) لأن الناس قد توجهوا الى الدنيا ، حيث اعتادوا فى زمن الخلفاء ذلك ، و حيث انهم يستقبلون زمن معاوية الذى كان ماديا محضا ٠

(و لا الشر الا اقبالا) فكلما ادبر الخير اقبل الشر (ولا) يزداد (الشيطان فى هلاك النّاس الا طمعا) لما يرى من ادبارهم عن الآخرة و اقبالهم على الدنيا

(فهذا اوان) جمع آن بمعنى الوقت (قويت عدته) اى عدة الشيطان ،لما يرى من استيلاء معاوية على بعض البلاد ، و تفرق المسلمين (وعمت مكيدته) اى شملت كثيرا من الناس ٠

(و امكنت فريسته) اى سهلت الفريسة التى يريد ان يفترسها ، و المراد بالفريسة ، اهل الباطل و الآثام ، فانهم فريسة الشيطان يفترسهم لادخالهم فى النار ، و تبعيدهم عن رحمة الله سبحانه ٠

(اضرب بطرفك) ايّها السّامع (حيث شئت من النّاس) اى انظر اليهم (فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا) ((يكابد)) اى يلاقى مصاعبه و مصائبه ،و هذا

أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْراً ، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ ٱلْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ وَفْراً ، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ ٱلْمَوَاعِظِ وَقْراً ! أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ !

لا ينافى قوله عليه السلام : ((ولعل هناك باليمامة او الحجاز من لا عهد له بالشبع ولا طمع له فى القرص)) الظاهر منه عدم وجود الفقير فى المجتمع ، فان الامام عليه السلام اراد بالفقير هنا ، الذى لا يعيش عيش رفاه وسعة ، والا فقد عمم الاسلام — بواسطة منهاجه الذى طبقه الامام عليه السلام — الغنى ، حتى لم يكن فى المجتمع الاسلامى فقير واحد ، ولذا لما رأى الامام فقيرا بصيرا ، وقف يسئل : ما هذا ؟ قالوا يا أمير المؤمنين : نصرانى كبر وعجز ، قال عليه السلام ما انصفتموه استعملتموه حتى اذا عجز تركتموه ، اجروه له من بيت المال راتبا .

واما قصة عقيل عليه السلام ، وقوله عليه السلام : رأيت صبية شعث الشعور فقد كان عقيل بذولا للمال ، ولذا ورد انه استقرض مائة الف ، وأرادها من الامام .

(أوغنيّا بدّل نعمة الله كفرا) أشار الى قوله سبحانه : ((ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار)) وتبديل النعمة كفرا يراد به عدم صرف النعمة فى المحل اللائق بها .

(او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا) اى موجبا لتوفير ماله وتكثيره ، و هذا غير المستبدل لنعمة الله كفرا ، فان ذلك يصرفها فى غير مصارفها ، و هذا يجمعها فلا يصرفها اصلا .

(او متمردا كأنّ باذنه عن سمع المواعظ وقرا) اى صمما فلا يرعوى عن غيه كأنه لا يسمع المواعظ .

(أين أخياركم وصلحاؤكم) لقد كان الامام عليه السلام يحب ان يرى المجتمع ،

وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ ٱلْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَٱلْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَٱلْعَاجِلَةِ ٱلْمُنَغَّصَةِ ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ ٱلشَّفَتَانِ ، ٱسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ ،

كالمجتمع ايام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما تقدم فى خطبة اخرى له عليه السلام ـ فاذ لم ير ذلك ، تأنف وتضجر ، كما هو شأن المصلحين اذا رأو خللا فى المجتمع تضجروا منه كثيرا لتألمهم بالخلل الجزئى لما ارتكزوا عليه من حب الاصلاح ·

(واين احراركم) جمع حر ، والمراد المقيد بالشرف والوطن والدين ، و قد سبق ان العبد لا يهمه الوطن ونحوه ، لعدم علته له بجانب خاص ·

(وسمحاؤكم) اى أهل السماح والفضل (وأين المتورّعون فى مكاسبهم) يهمّهم الحلال ويتورعون ـ اى يجتنبون ـ عن الحرام ·

(والمتنزهون فى مذاهبهم) اى يتنزهون ويتبعدون عن الشبهات فى طرقهم الدينية والدنيوية ·

(اليس قد ظعنوا) اى سافروا (جميعا عن هذه الدنيا الدنية) اى الوضيعة (والعاجلة المنغصة) التى تنغص عيش الانسان وتشوبه بالكدور والمرارة ·

(وهل خلقتم) أنتم المخاطبون (الا فى حثالة) اى فى جماعة من النّاس انذال ، فان الحثالة بمعنى الردى ·

(لا تلتقى بذمهم الشفتان) فان المتكلم اذا أراد أن يتكلم تلاقت شفتاه ، و هؤلاء لا يذمهم الانسان لكثرة نذالتهم (استصغارا لقدرهم) فانه يحقرهم ويراهم اصغر حتى من الذم ·

وَ ذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ! «فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!» «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ» ، فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ لَعَنَ ٱللهُ ٱلْآمِرِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ٱلتَّارِكِينَ لَهُ ،

(و ذهابا عن ذكرهم) اى ابتعادا حتى من ان يذكرهم و يتلفظ باسمهم و بمثالهم (فانّا للّه و انّا اليه راجعون) قد وقعنا فى الفاجعة حيث عاصرنا مثل هؤلاء النّاس .

(ظهر الفساد) و الانحراف عند النّاس (فلا منكر مغير) اى لا احد ينكر المنكر و يغيّره الى المعروف .

(و لا زاجر مزدجر) اى لا رادع للمنكر يرتدع هو بنفسه عن الآثام (افبهذا) العمل و الخلق (تريدون أن تجاوروا اللّه) اى تجاوروا رضاه و لطفه (فى دار قدسه) اى الدار التى اعدّها مقدسة طاهرة من كل نقص وعيب .

(و تكونوا اعزّ اوليائه عنده ؟) و الاستفهام للانكار و التوبيخ (هيهات) كلمة استبعاد ، بمعنى لا يكون ذلك (لا يخدع اللّه عن جنته) بأن يخدعه الانسان ببعض ظواهر يأتى بها ، لأخذ الجنّة .

(ولا تنال) اى لا تدرك (مرضاته) اى رضاه سبحانه ــ مصدر ميمى بمعنى الرضا ــ (الا بطاعته) وعبادته ، ولما ذكرعليه السلام قوله : ((و لا زاجر مزدجر)) عقب ذلك بقوله : (لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له) فعمله منكر ، و يأمر بمعروف ، كما قال سبحانه : ((كبر مقتا عند اللّه ان تقولوا ما لا تفعلون)) .

وَالنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ !

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلّٰهِ ،

(والنّاهين عن المنكر العاملين به) وهذان من صفات المنافقين ، فانهم يأمرون وينهون لعدم الصّعوبة فى ذلك ، لكنّهم لا يأتمرون بما يأمرون ولاينتهون عمّا ينهون ، لصعوبة العمل .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

(لأبى ذر رحمه الله لما اخرج الى الربذة) وهى موضع قرب المدينة المنوّرة ، وقبر أبى ذر هناك ، وقد هدمه الوهابيون وهو مزار معروف الى الآن ، وقد كان أبو ذر رحمه الله لا يسكت عن بدع عثمان وما احدثه فى الاسلام مما يخالف الكتاب والسنّة ، ولذا نفاه عثمان الى الشام ـ وشيعة لبنان الى يومنا هذا من مخلفات ابى ذر فى مدة نفيه ـ ثم ارجعه معاوية الى المدينة ، فنفاه عثمان ثانيا الى الربذة ، وبقى هناك يكابد الجوع والمرض حتى مات هناك ودفن ، ولما اراد الخروج من المدينة منفيا من قبل عثمان ، ودّعه الامام عليه السلام بهذه الكلمات :

(يا أبا ذر انّك غضبت لله) حيث رأيت أعمال عثمان المخالفة لله سبحانه

فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَىٰ دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَىٰ دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَىٰ مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً ، وَٱلْأَكْثَرُ حُسَّداً .

(فارج من غضبت له) بأن يتفضّل عليك فى الدنيا بذكر باق حسن ، و فى الآخرة بالأجر و الثّواب الجزيل ٠

(انّ القوم) يعنى عثمان و معاوية و حاشيتهما (خافوك على دنياهم) لأنهم رأوفيك مهددا لدنياهم حيث ان ذكر مثاب الشخص يوجب انفضاض الناس من حوله ٠

(وخفّتهم على دينك) حيث خفت ان جاملتهم و سكت عن معايبهم تكون مأثوما عند الله سبحانه (فاترك فى ايديهم ما) اى الدنيا التى (خافوك عليه) اى اعرض عنها بقلبك و تسلّ بفراقها ٠

(واهرب منهم بما) اى بالدين الذى (خفتهم) اى خفت منهم (عليه) فان الانسان اذا بعد عن مجتمع الناس سقط تكليفه فى الأمر و النهى ، فيكون هاربا بدينه ، لهيبق و يترك الأمر حتى يكون عاصيا ٠

(فما احوجهم الى ما منعتهم) اى انهم محتاجون الى الدين ، الذى انت لم تعطهم دينك فى سبيل تعميرهم لدنياك ٠

(وما أغناك عما منعوك) فان الانسان الزاهد لا يحتاج الى الدنيا وانما كل نظره الى الآخرة ٠

(وستعلم من الرابح غدا) علم يقين و مشاهدة ، هل انت الرابح ام هم ؟

(و) من (الأكثر حسّدا) جمع حاسد ، كناية عمن اوتى الثواب ، فان المنعّم

وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كَانَتَا عَلَىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ، ثُمَّ اتَّقَى ٱللَّهَ ، لَجَعَلَ ٱللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً !وَ لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ . فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ .

محسود .

ثم بين الامام عليه السلام له ان الله تعالى لا يذره هملا (و لو انّ السّماوات والأرض كانتا على عبد رتقا) بحيث لا مفرّ له منهما ، قد ضيقتا سبله ، وأحاطتا به ، واوقعتاه فى المشاكل .

(ثمّ اتّقى الله) اى عمل بأحكام الشريعة (لجعل الله له منهما مخرجا) كما قال سبحانه : ((و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب)) .

(ولا يؤنسنّك الاّ الحق) فكن آنسا به وان اوحشك الناس (ولا يوحشنك الا الباطل) فكن مستوحشا به وان آنسك الناس .

(فلو قبلت دنياهم) وسكت عنهم (لأحبّوك) حبّ الظالم لأنصاره (ولو قرضت منها) اى قطعت جزءا من دنياهم (لأمنوك) فان الانسان عبيد الاحسان .

ومن طريف ما ينقل ان عثمان بعث الى أبى ذر بمال — مع عبد له — ليسكته عن نقده لعثمان ، وحيث علم ان عثمان لا يقبل الرشوة اراد الخدعة — والاتيان مما ظاهره الشرع — فقال للعبد : ان قبل ابوذر المال فأنت حر ، اراد بذلك ان يصرّ العبد ، ويرى ابوذر ان قبول المال موجب لعتق رقبة ليقدم على القبول فجاء العبد وعرض المال فأبى ابوذر ، قال العبد : ان فى ذلك عتقى ، فقال ابوذر : ولكن فى ذلك رقّى .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

و فيه يبين عليه السلام قبوله ،اى الخلافة و يصف الامام الحقّ

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ ، وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ ٱلْعَدْلِ ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

و فيه يبيّن عليه السّلام قبوله ، اى الخلافة و يصف الامام الحقّ

(ايتها النفوس المختلفة) من حيث الأهواء و الميول(و القلوب المتشتتة) تشتت بمعنى تفرق (الشاهدة ابدانهم) اى انهم حضور بأبدانهم (و الغائبة عنهم عقولهم) كناية عن عدم وعيهم و اتعاظهم كالغائب عقله (أظأركم) اى أعطفكم و اميلكم (على الحق و انتم تنفرون عنه نفور المعزى) جمع معز (من وعوعة الأسد) صوته ٠

(هيهات ان اطلع بكم سرار العدل) اى ما خفى من العدل ، و المراد أنتم غير قابلين للاطّلاع ، حتى اشرفكم على العدل المضاع بين اظهركم ، يقال اطلع به الشئ ، اذا اصعده ربوة ليرى الشئ المخفى ورائها ، و اسرار كسحاب آخر ليلة من الشهر ، و المراد به الظلمة ، اى الظلمة الساترة للعدل ٠

(او اقيم اعوجاج الحق) اى الاعوجاج الذى اصاب الحق ، بخلطه مع

اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اَللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ،

الباطل ، فانكم غير مستعدّين لذلك .

(اللّهم انّك تعلم انّه لم يكن الّذى كان منّا) من قبول الخلافة الظّاهريّة (منافسة فى سلطان) بأن اردت ان اتقدم فى السلطة على سائر النّاس ويكون لى الحكم والأمر والنهى .

(ولا التماس) اى طلب (شئ من فضول الحطام) اى زوائد متاع الدنيا ، وسمى حطاما ، لأنه يحطم ويفنى ، واضافة الفضول الى الحطام بيانية .

(ولكن لنرد المعالم من دينك) معالم الطريق ، النصب الدالة عليه ،وقد طمست المعالم فى زمن عثمان ، وبعضها فى زمن الخليفتين ، فأراد الامام عليه السلام اضهارها واحيائها .

(ونظهر الاصلاح فى بلادك) وقد أمر سبحانه بعمارة الأرض واصلاحها (فيأمن المظلومون من عبادك) ولا يخافوا من الظّالمين (وتقام المعطلة من حدودك) أى الحدود المعطّلة والأحكام المهملة .

(اللّهمّ انّى اوّل من أناب) أى رجع اليك بالطّاعة والانقياد ، وتسمية الأمر انابة — وان لم يكن من الامام عليه السّلام اعراض — باعتبار المشابهة لمن سواه ، كما قالوا فى قوله تعالى : ((لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودنّ فى ملتنا)) .

(وسمع) داعى الله (وأجاب) بقبول الاسلام واحكامه ، فان الامام عليه السلام اول الناس ايمانا .

لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِي عَلَىٰ ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ

(لم يسبقنى الاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّلاة) ومن هذا شأنه يسرع الى أوامر الله سبحانه لا يريد الخلافة لسلطان او مال .

(وقد علمتم) ايها الناس (انه لا ينبغى ان يكون الوالى على الفروج والدّماء والمغانم) جمع مغنم الغنيمة (والأحكام) اى تنفيذ احكام الاسلام (وامامة المسلمين) اى كونه مقتدى لهم وأسوة ، وكون الوالى على الفروج باعتبار أمر ونهيه بالحرب الموجبة لسبى النساء المسلمات احيانا ، وسبى النساء الكافرات ، وبمعنى ذلك الوالى على الدّماء .

(البخيل) اسم لـ ((يكون)) و ((الوالى)) خبره المقدم (فتكون فى أموالهم نهمته) يبالغ فى حرصه وجمعه لأموالهم ، لأنّ البخيل لا يبذل المال ، وفى ذلك تعطيل لأموالهم ، واضاعة لما يحتاج ومن يحتاج الى المال .

(ولا الجاهل فيضلهم بجهله) لأن الوالى مصدر الأمور ، فاذا جهل الأمور سبب اضلالهم (ولا الجافى) الذى لا يجفو ولا يقاطع الناس كبرا او ضجرا (فيقطعهم بجفائه) ويعطل امورهم المتوقفة عليه .

(ولا الحائف) الذى يحيف ويجور (للدّول) جمع دولة ، بمعنى المال لأنه يتداول من يد الى يد ، يعنى الذى يجور فى اعطاء المال ، فيحابى شخصا زائدا ، ويمنع شخصا آخر ، حسب شهواته ورغباته .

فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِٱلْحُقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ ، وَلَا ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ .

(فيتّخذ قوما دون قوم) دون أن يراعى المساواة وجعل الحقوق مواضعها ، وفى بعض النّسخ ((الخائف)) بالخاء المعجمة اى الذى يخاف بعض الدّول ، فيصادق من خاف منه دون غيره .

(ولا المرتشى فى الحكم) اى الذى يأخذ الرّشوة (فيذهب بالحقوق) لأنه يأخذ الرشوة ويحكم للراشى ، دون الذى له الحق واقعا .

(ويقف بها) اى بالحقوق (دون المقاطع) اى الحدود التى عيّنها اللّه سبحانه ، جمع مقطع ، اى محل قطع الأمور ، الذى جعله الله سبحانه .

(ولا المعطّل للسّنّة) الذى لا ينفذ احكام الاسلام (فيهلك الأمة) لأنّ فى أحكام الاسلام حياة الامة ، فاذا عطلت هلكت الأمة .

ولا يخفى ان الامام عليه السلام ذكر ابرز الصفات المنافية للأمير ، لا كلها ، والجامع ان يكون فاقها لأمور الدنيا والدين ، عادلا ــ بمعنى الملكة الباعثة على الاطاعة ــ رجلا طاهر المولد ، الى غيرها مما فصل فى الفقه .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها وعظ و تزهيد و تذكير

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا أَخَذَ وَأَعْطَىٰ ، وَعَلَىٰ مَا أَبْلَىٰ وَٱبْتَلَىٰ . الْبَاطِنُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، ٱلْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُونُ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ ٱلْإِعْلَانَ ، وَٱلْقَلْبُ اللِّسَانَ .

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها وعظ و تزهيد و تذكير

(نحمد ه على ما أخذ و أعطى) فان كلا من اخذ ه سبحانه و اعطائه يتبع مصلحة تستحق الحمد (وعلى ما أبلى) اى احسن و انعم (و ابتلى) اى امتحن ·

(الباطن لكل سريرة) اى يعلم السرائر ، كأنه باطن معها (العالم بماتكنّ الصدور) اى تخفى فيها (و ما تخون العيون) من اختطاف النظر ، الذى لا يطلع عليه احد ، ولو كان قريبا من الخائن عينه ·

(و نشهد أن لا اله غيره ، وانّ محمّدا) صلّى الله عليه وآله (نجيبه) اى مختاره من انجبه ، اى اختاره (و بعيثه) اى مبعوثه ارسله بالهدى و دين الحق (شهادة يوافق فيها السر الاعلان و القلب اللّسان) لا شهادة لسانيّة كالمنافق ، او قلبيّة فقط كالكافر الذى يعلم ، قال سبحانه : ((وجحدوا بها و استيقنتها انفسهم)) فكلاهما يشهدان بهاتين الشهادتين ، والمراد بالسر و الاعلان جهرا و خفية ·

منها : فَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ. فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ

(منها) فى وعظ الناس (فانه) اى امر الآخرة (والله الجد لا اللعب) اى ان ما هناك من جنة ابدية او نار سرمدية جد ، لا انه لعب و لهو (والحق) المطابق للخارج (لا الكذب وما هو) مصير الانسان (الا الموت اسمع) الناس (داعيه) اى داعى الموت وليس المراد صرف الموت ، بل ما يترتب عليه من الأمور ، ومعنى اسماع داعيه ، انه قد علم كل انسان مصيره ٠

(واعجل حاديه) الذى يحدو و يسير بالنّاس الى الموت يسير بهم سيرا مستعجلا ـ وذلك كناية عن سرعة ايام الدنيا و انقضائها ـ ٠

(فلا يغرّنك سواد النّاس من نفسك) فانّ الانسان كثيرا ما يغترر بوجود النّاس فى أطرافه فيعصى الله سبحانه ، اعتمادا عليهم ، بينما انّ الموت يختطفه ولا ينفعه سواد النّاس فى دفع الموت و دفع العقاب المترتّب على الخطيئة ٠

(فقد رأيت من كان قبلك) من النّاس الذين ماتوا (ممّن جمع المال و حذر) اى خاف (الإقلال) اى القلّة من المال (وامن العواقب) بأن لم يخشى موتا ولا فوتا (طول امل واستبعاد أجل) اى كان آمنه لأجل طول أمله فى الدنيا ، وانه كان يستبعد ان يأتيه أجله ٠

(كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه) الازعاج التسبب الى ما يوجب اذى الانسان (وأخذه من مأمنه) اى محل أمنه ، فى حالكونه (محمولا على اعواد .

اَلْمنَايَا يَتعاطَىٰ بِهِ الرِّجالُ الرِّجالَ ، حَمْلاً عَلَىٰ اَلْمنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً ! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً ، وَمَا جَمَعُوا بُوراً ؛ وَصارَتْ أَمْوالُهُمْ لِلْوارِثِينَ ،

المنايا) اى التابوت ومنايا جمع ((منية)) بمعنى الموت (يتعاطى به الرّجال الرّجال) اى يعطى بعض بعضا جنازته (حملا على المناكب) جمع منكب وهو ما بين العضد والعنق (وامساكا) اى اخذا (بالأنامل) جمع أنملة ، رأس الاصبع ، والمعنى انّك ستصبح بعد قليل مثل اولئك ، فاللازم ان تأخذ حذرك .

(اما رأيتم الذين يأملون بعيدا) لهم آمال طوال ، مثل انه يأمل أن ينال بعد سنوات مناصب او اموالا ، أو ما أشبه .

(و يبنون مشيدا) اى ابنية محكمة مما تدل على رجائهم البقاء الطويل .

(و يجمعون كثيرا) زاعمين انهم يبقون مدة مديدة يحتاجون خلالها الى تلك الأموال .

(كيف أصبحت بيوتهم قبورا) مثل النّاس الذين يدفنون فى بيوتهم ،اويهدم بيوتهم قبورا) مثل الناس الذين يدفنون فى بيوتهم ، او يهدم عليهم البيت فيبقون هناك الى الأبد .

(وما جمعوا بورا) جمع بائر اى بلا فائدة منها لهم (وصارت اموالهم للوارثين) أما عطف بدل عن ((ما جمعوا بورا)) او ان المراد بما جمعوا — جمعهم — اى ان الفعل ، وهو الجمع قد هلك ، وصار المال لغيرهم ، بمعنى ضاع عملهم ، وصارت نتيجة العمل للغير ، فان العمل شئ والنتيجة شئ آخر .

وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَىٰ قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ. فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَىٰ دَارِ الْقَرَارِ.

(وأزواجهم) نسائهم ، او المراد الأعم من ((الرجل)) الذى ماتت زوجته و ((الزوجة)) التى مات زوجها (لقوم آخرين) وهذا الكلام لاستفزاز النفس نحو العمل الصالح ، فان ازواجهم ومن اقرب الناس اليهم يصبحن لعيش اناس اجانب ــ بعد موتهم ــ فما الأمل من هذه الدنيا ؟ وما يكون اعتبار مثلها ؟

(لا فى حسنة يزيدون) لأن ابن آدم اذا مات انقطع عمله ·

(ولا من سيّئة يستعتبون) اى يطلب منهم ان يعملوا عملا يكفرها (فمن اشعر التقوى قلبه) اى اذاق قلبه طعم التقوى بحيث صارت التقوى ملكة له ·

(برز مهله) اى اضهر التقدم فى الخير ــ على سائر الناس ــ فان ((المهل)) بمعنى التقدم فى الخير (وفاز عمله) اى ظفر على عمله الصالح ، وتمكن من الاتيان به ، فى مقابل الفساق الذين لا يتمكنون من الظفر على صالح الأعمال ·

(فاهتبلوا هبلها) الاهتبال تطلّب الشئ بأحكام للنيل منه ، والضمير عائدا الى التقوى اى اطلبوا التقوى طلبا لائتابها ·

(واعملوا للجنة عملها) اى العمل اللائق بالجنة الموصل اليها (فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام) اى دار بقاء تقيمون فيها ·

(بل خلقت لكم مجازا) اى محل عبور (لتزودوا منها الأعمال الى دارالقرار) اى لتأخذوا منها زادكم للآخرة التى هى دار قراركم وبقائكم ، الى الأبد ·

فَكُونُوا مِنْهَا عَلَىٰ أَوْفَازٍ . وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ ،

(فكونوا منها) اى من الدنيا (على اوفاز) جمع وفز بمعنى العجلة ، أى على استعجال ـ لئلا تفوت الدنيا قبل ان تعملوا للآخرة ، ولعلّ الاتيان ب ((اوفاز)) جمعا للاشارة الى انه ينبغى العجلة فى كل أمر .

(وقرّبوا الظّهور) اى الظهور المطايا التى تركبون عليها (للزيال) اى لفراق الدنيا ، تشبيه بمن يريد السفر حيث يقرب مراكبه الى نفسه للسير .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فيها تعظيم لله سبحانه ، وذكر للقرآن والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ووعظ للنّاس .

(وانقادت له) أى لله سبحانه (الدنيا والآخرة بأزمتها) جمع زمام (وقذت اليه السّماوات والأرضون مقاليدها) جمع مقلاد ، بمعنى المفتاح ، فكما ان الباب ينفتح ، كذلك أبواب الرزق والخلق وما أشبه من المكونات مفاتيحها بيد الله سبحانه .

(وسجدت له بالغدو) أى الصّباح (والآصال) جمع أصيل طرف العصر (الأشجار النّاضرة) أى ذات النّضرة والبهجة ، والمعنى خضوعها له سبحانه

وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ .

فى القرآن

منها : وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

وقوله بالغدو والآصال كناية عن الاستمرار ، أو هناك سجدة خاصّة لها فى الوقتين لا ندركها .

(وقدحت له) أى للّه سبحانه (من قضبانها) جمع قضيب بمعنى الغصن (النيران المضيئة) فان المرخ والعفار تظهر من أغصانها النّار ، ومعنى ((له)) لأمره وارادته تعالى .

(وآتت) اى اعطت (أكلها) اى ما يؤكل من الثّمار (ــ بكلماته ــ) أى بأوامره التّكوينيّة الّتى هى كالكلمات بالنّسبة الى المخلوقين (الثّمار) أى أشجار الثّمار ــ فاعل آتت ــ (اليانعة) أى النّاضجة المدركة .

(منها) : فى القرآن

(وكتاب اللّه) أى القرآن (بين أظهركم) أى فى وسطكم (ناطق لا يعيا) اى لا يكل (لسانه) كناية عن امكان دوام الاستفادة منه (وبيت) كما انّ البيت يحفظ الانسان عن الحر والبرد واللّص وما أشبه ، كذلك القرآن حافظ للعامل به .

(لا تهدم أركانه) أركان البيت جوانبه المحيطة به ، والمراد بأركان القرآن مواعظه وأصوله وأحكامه وما أشبه (وعزّ لا تهزم أعوانه) فانّ أعوان القرآن منتصرون دائما ، لانتصار الحق على الباطل دائما ، اما جسما ، او روحا و واقعا .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَقَفَّىٰ بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَىٰ بَصَرِ الْأَعْمَىٰ ،

(منها) : حول الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلم .

(أرسله) اللّه سبحانه (على حين فترة من الرّسل) أى فاصلة بين الرّسول وبين الرّسل السّابقة .

(وتنازع من الألسن) فانّ الألسن كانت مختلفة ، وانما وحدها الاسلام بلغة القرآن ، اوهو كناية عن المذاهب والآراء ، بعلاقة السّبب والمسبب ، فانّ مظهر المذهب اللّسان .

(فقفّى به) اى بالرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (الرّسل) اى اتبع اللّه سبحانه بسبب الرّسول اولئك الرسل بأن جعله صلى الله عليه وآله وسلم فى قفاهم ومن بعدهم .

(وختم به الوحى) اذ هو صلّى الله عليه وآله وسلّم آخر الأنبياء وخاتم المرسلين .

(فجاهد فى اللّه) أى فى سبيله سبحانه (المدبرين عنه) أى الّذين أدبروا عن اللّه ، وأقبلوا على الأصنام والآثام .

(والعادلين به) أى الذين يجعلون الأوثان عدلا للّه تعالى وشركاء له .

(منها :) فى وصف الدنيا (وانما الدنيا منتهى بصر الأعمى) فانّ الدنيا آخر مكان ينظر اليها الشخص الذى عمى عن الآخرة ، فيظن ان ليس بعد الدنيا

لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَٱلبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

عظة الناس

منها : وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ

شئ ·

(لا يبصر مما وراءها) اى وراء الدنيا (شيئا) ويزعم ان لا آخرة ·

(والبصير ينفذها بصره) اى ينفذ فى الدنيا ويعبر منها الى الآخرة ، فيرى انه وراء الدنيا آخرة (ويعلم ان الدار) الحقيقية التى هى دار باقية (وراءها) وانها ليست بدار الا مجازا ·

(فالبصير منها) اى من الدنيا (شاخص) اى مسافر ، والمعنى انه كالمسافر يعمل عمل المسافر ، لا عمل القاطن (والأعمى) الذى لا يرى الآخرة (اليها) اى الى الدنيا (شاخص) بمعنى شخص ببصره اذا نظر به الى الشئ يعنى ان تمام نظره الى الدنيا ، لا ينظر الى الآخرة ·

(والبصير منها) أى من الدنيا (متزود) يأخذ الزاد للآخرة ، لأنه يرى ان داره هناك فلابد ان يتزود لها ·

(والأعمى لها متزود) فانه حيث يزعم ان الدنيا هى داره ، انما يعمل لعمارة الدنيا فقط ، فكل ما يحصله من الأشياء انما يحصله لعمارة الدنيا ·

(منها :) فى موعظة الناس ·

(واعلموا انه ليس من شئ) من أمور الدنيا (الا ويكاد صاحبه) اى صاحب ذلك الشئ (يشبع منه ويمله) من الملالة بمعنى الضجر ، فان طبع الانسان

إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً. وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا ٱلْغِنَىٰ كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ. كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ،

متطور يألف الجديد و يتنفر من القديم (الا الحياة فانه لا يجد) له اى لنفسه (فى الموت راحة) بل يخاف الموت و لا يمل من الحياة خوفا من ان يبتلى بالموت ، وقد جعل الله هذه الخيفة من الموت ، لمصلحة بالغة ، هى أن يعمل الانسان لما بعد الموت ، فان الانسان اذا خاف من شئ مترقب فكر فى علاج الأمر و ما يزل الخوف ، و هذا هو المراد من قوله عليه السلام : (وانما ذلك) الخوف من الموت (بمنزلة الحكمة التى) هى وضع الأشياء مواضعها، اى انّ الخوف حكمة (هى حياة للقلب الميت) الذى لا يعرف الآخرة ، فان خوفه يسوقه الى العمل الصالح و ما يؤتى به نفسه عن الأهوال بعد الموت ·

(و) ذلك الخوف (بصر للعين العمياء) اى يوجب تبصرها ، لمن لا يرى الاّ الدنيا (و سمع للأذن الصّماء) فان الخوف يوجب ان يستمع الى المواعظ ليجد ضالته فيها ·

(و ريّ للظمآن) الذى ظماء الى معرفة ما ينجى من الأهوال ، هذا الخوف ريّ له اى موجب لريه ، لأنه يسوقه الى التحرى عن الحقيقة و معرفة اسباب النجاة

(و فيها) اى فى تلك الحكمة التى هى الخوف من الموت (الغنى كلّه) فان الخائف يتزود بما يوجب غناه هناك (و السلامة) فان الخائف يعمل الصالح الموجب لسلامة آخرته ·

ثم عطف الامام عليه السّلام الى القرآن بقوله : (كتاب الله تبصرون به) الحقائق من الأصول و الفروع و الأخلاق و القصص ·

وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ، لَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ . قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَىٰ ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمَنِكُمْ .

(وتنطقون به) فانّ حملة الكتاب ينطقون بالكتاب فى أوامرهم وسائر شئون علمهم وعملهم ٠

(وتسمعون به) اى تستمعون الى الأشياء بواسطة الكتاب ، فان صدقة الكتاب اخذتم ، والا رفضتم ٠

(وينطق بعضه ببعض) اى يفسر بعضه بعضا (ويشهد بعضه على بعض) ففى مكان منه الدعوى ، وفى مكان آخر الدليل ٠

(ولا يختلف)القرآن (فى الله) اى فى باب بيان الله ، كما يختلف التورات والانجيل الرائجان فى أوصافه سبحانه ٠

(ولا يخالف) القرآن (بصاحبه) الذى أخذ به وعمل بما فيه (عن الله) اى لا يبعده عنه تعالى ،ان القرآن الذى هذا شأنه بينكم ولكنكم اعرضتم عنه و(قد اصطلحتم) اى تصالح بعضكم مع بعض (على الغل فيما بينكم) اى الخيانة و الحقد فيحقد بعضكم على بعض ، ويخون بعضكم بعضا ، كأنه وقع التصالح على ذلك ، ولذا لا ينكر أحد منكم على الآخر غلة وعمله الفاسد ٠

(و) اصطلحتم على (نبت المرعى على دمنكم) هذا مثال لمن يتصالح فى الظاهر ويريد الغدر فى الباطن ، المرعى : النبات ٠ و ((دمن)) : جمع ((دمنة)) بمعنى المحل القذر ، فان النبات الذى ينبت على المقاذر نضر لكنه سريع الجفاف ، وكذلك التصالح الذى يقع مع غل القلوب ، فانه فى الظاهر جميل ، لكن فى الباطن سريع الزوال ، لأن غل القلوب لا يذره يبقى ،

وَتَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ . لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ ، وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

والمعنى ان صلحكم على الغل من هذا القبيل .

(وتصافيتم) اى صار بينكم الصفا (على حب الآمال) فلكل امل يرقبه ، ولا ينكر عليه غيره ، للتصافى الذى صار بينهم .

(وتعاديتم فى كسب الأموال) فان بعضكم يعادى بعضا حول مال الدنيا ، يريد كل واحد ان يسلب ما فى يدى الآخر ، ويسبق الى المنفعة قبل وصول اخيه اليها .

(لقد استهام بكم الخبيث) اى الشيطان ، والمعنى صار هائما — شديد العشق — بكم حيث رآكم لأوامره مطيعين (وتاه بكم الغرور) اى ان الغرور اوجب ظلالكم ، من تاه اذا تحير .

(والله المستعان) الذى يستعان به لانقاذه تعالى المبتلى بيد عدوه (على نفسى وأنفسكم) حتى نتغلب عليها ، ولا تقودنا الى هواها .

وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ .

وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

(وقد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج الى غزو الروم بنفسه) فقد كان الجيش الاسلامى يحارب فى جبهات الشام بقيادة خالد بن الوليد ـ فى زمن أبى بكر ـ ولما مات وولى عمر الأمر ، عزل خالد ـ لما بينهما من الأحن ـ ونصب مكانه ابا عبيدة الجراح ، فضعف الجيش عن المقاومة ، وخرج ملك الروم بنفسه للمحاربة ، فقوى جانب الكفار لما رأو ملكهم معهم ، ووصل الخبر الى ((عمر)) فأراد ان يخرج بنفسه ، فشاور الامام عليه السلام فى ذلك ـ كما كان من عادته مشاورة الامام ، لما يعلم من صواب رأيه عليه السلام ، ولم يكن الامام يخفى عنه النصيحة للاسلام والمسلمين ، فأشار الامام عليه السلام ، عليه بعدم خروجه قائلا :

(وقد توكّل الله) اى تحفظ سبحانه (لأهل هذا الدين) اى المسلمين (باعزاز الحوزة) حوزة كل شئ مجمعه ، وما يحوزه اى يملكه ، اى انه سبحانه يعزّ حمى الاسلام .

(وستر العورة) اى عورة المسلمين وهى محلات النقص فيهم ، يسترها لئلا يراها الأعداء ، فيهاجمون منها على المسلمين .

وَالَّذِي نَصَرَهُمْ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَىٰ هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ لَاتَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ،

(و) الله سبحانه (الذى نصرهم) اى المسلمين (وهم قليل) فى بدء الاسلام (لا ينتصرون) اى ان من شأنهم ان لا يتغلبوا على الأعداء ، لقلتهم و كثرة الأعداء (ومنعهم) عن تسلّط الأعداء عليهم (وهم قليل لا يمتنعون) أى ليس فيهم قابلية الامتناع (حيّ لا يموت) فيقدر ان ينصرهم على الروم ، ويمنعهم عن بأس الكفار ، وبعد بيان هذه المقدمة بين الامام العلة فى نهيه عمر عن الخروج الى الروم ــ بنفسه ــ فقال :

(انك متى تسر الى هذا العدو) الذى هو الروم (بنفسك فتلقهم بشخصك فى ميدان الحرب (فتنكب) اى تغلب بان يغلب الروم عليك ــ فرضا ــ (لا تكن للمسلمين كانفة) اى حاصمة وكنف يلجأون اليها (دون أقصى بلادهم) أى ملجأ يحفظ بلادهم ، كأنه حامى لا قاصى بلاد الاسلام كما يقال لا حافظ دون البلد ، اى الامام البلد يحفظه من الأخطار .

(ليس بعدك) اذا نكبت وغلب الروم (مرجع يرجعون اليه) اما اذا كنت فى المدينة ، وكسر جيش الاسلام لا يهولهم الأمر لوجود الحافظ والمرجع.

ولا يخفى ان هذا الكلام لا ينافى رؤية الامام الحق لنفسه ، اذ كان الأمر دائرا بين ذهاب الاسلام ، او ذهاب حق الامام ، فاختار الثانى ، فانه اذا ذهب عمر وغلب ، انكسر المسلمون هناك ، وطمع فيهم الأعداء من كل مكان ، والامام لم يعرف عند جميع المسلمين بكونه مرجعا حتى يكون الأخذ بالزمام ، ولعله

فَٱبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً ، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ، كُنْتَ رِدْأً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

كان فى ذلك هلاك الأمة ٠

ان قلت : ألم يكن يقدر الامام على الحفظ ؟

قلت : النّبى و الامام يسيرون حسب الظّروف الظاهرية ، العادية ، و الامام بلا معين لم يكن يقدر حسب العادة ٠

(فابعث اليهم رجلا محربا) اى ممارسا للحروب (و احفز) اى ادفع (معه أهل البلاء) أى الّذين لهم مهارة و تجارب (و النّصيحة) الذين ينصحون لله و الرّسول و المسلمين فى الجهاد لا يرودون الاّ الحق ٠

(فان أظهر الله) الأمر بأن كان الغلب للمسلمين (فذاك ما تحب) و قد انتهى الأمر بسلام ٠

(و ان تكن الأخرى) بأن انكسر المسلمون (كنت) انت (ردءا) أى ملجاءا (للنّاس) المنكسرين (و مثابة) أى مرجعا (للمسلمين) فتهيّء الجيش من جديد ٠

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان : أنا أكفيكه ، فقال علي عليه السلام للمغيرة :

يَا آبْنَ اللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ ، وَٱلشَّجَرَةِ الَّتي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ وَٱللهِ مَا أَعَزَّ ٱللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ . آخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللهُ نَوَاكَ ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

(وقد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان) وكان ذلك حال استسفر الثوار الامام ليبلغ عثمان رأيهم و يطلب منه الخروج عن المظالم ·

(فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان انا اكفيكه ، فقال على عليه السلام لمغيرة :)

(يابن اللّعين الأبتر) ابو مغيرة كان من رؤس المنافقين ، والأبتر كل شئ انقطع عن الخير ، من بتر بمعنى قطع (والشّجرة التى لا أصل لها) لا آباء كرام (ولا فرع) الى اولاد صالحين (أنت تكفينى) ؟ استفهام انكار (والله ما أعزّ الله من أنت ناصره) فان الشخص الذى لا دين له لا ينصر نصرة لله فيها رضى ، حتى يعزّ منصوره ·

(ولا قام من أنت منهضه) اى تنهضه و تقومه ، فانّ الشخص الجبان لا يتمكن من اقامة انسان ·

(اخرج عنّا أبعد الله نواك) اى دارك ، او النوى بمعنى البعد،والمعنى

ثُمَّ ٱبْلُـغْ جَهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَى ٱللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

في أمر البيعة

لَمْ تكَنْ بَيْعَتكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ،

ان بعدك يكون كثيرا (ثم ابلغ جهدك) فيما تشاء ان تعمل من التخريب و الافساد .

(فلا أبقى الله عليك ان ابقيت) يقال ابقيت على فلان ، اذا راعيته ، و المعنى عدم تمكنه من اى افساد وعمل ، حتى انه ذا اراد الابقاء على الامام عليه السلام و رعايته ، لم يحتج الامام الى ذلك ، بل يطلب منه ان لا يبقى عليه ، و يدعو عليه بأن لا يرعاه الله ان أراد رعاية الامام .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

فى أمر بيعة النّاس له

(لم تكن بيعتكم ايّاى فلتة) الفلتة الأمر الذى يقع فجئة بلا روية ولا استشارة وهذا اشارة الى ما وصف به عمر بيعة ابى بكر ـ كما فى كتب السنة ـ قال ان بيعة ابى بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها و من عاد اليها فاقتلوه ، قال الشاعر :

قد قال فيها انها لفلتة لا ترجعوا لمثلها البته

و هذا الكلام من الامام اشارة الى وجوب اطاعتهم له ، لأن الأمر لم يكن بلا اختيار و مشورة حتى يحتجوا بأنهم اضطروا ، فلا حكم لبيعتهم .

وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً. إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

(وليس امرى وامركم واحدا) اى لنا اتجاهان (انى اريدكم لله) بأن أقيمكم واقيم أمر الله فيكم (وأنتم تريدونني لأنفسكم) بأن اعمّر دنياكم واشبع ميولكم .

(أيها النّاس أعينوني على أنفسكم) اى اذا أمرت أمرا خلاف ميولكم ،فانفذوا أمرى على أنفسكم وانكانت كارهة لذلك .

(وأيم الله) حلف بالله تعالى (لأنصفنّ المظلوم من ظالمه) يعنى آخذ الحق للمظلوم ممن ظلمه .

(ولأقودنّ الظالم بخزامته) هى خلقة من شعر تجعل فى وترة انف البعير ليشد فيها الزمام فيقاد حيث شاء وهو كناية عن ارغام الظالم (حتى اورده منهل الحق وانكان كارها) المنهل محل ورود الماء .

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في شأن طلحة والزبير .وفي البيعة له

وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ .

وَمِن كَلام لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(فى معنى طلحة و الزبير) كيف بايعا الامام وكيف خرجا عليه .

(و الله ما أنكروا) طلحة و الزبير و اتباعهما (علىّ منكرا) عملته يبررون بذلك خروجهم علىّ .

(و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا) اى عدلا و انصافا بأن ينصفوننى (وانهم) باحتجاجهم الباطل : فى طلبهم منى دم عثمان (ليطلبون حقّا هم تركوه) فان كان حق عثمان صحيحا ، فلماذا تركوا عثمان حتى قتل بدون اين يغكروا على القاتلين .

(و دما هم سفكوه) فانهم كانوا فى طليعة المحرضين على قتل عثمان (فان كنت) فرضا (شريكهم فيه) اى فى سفك دم عثمان (فان لهم نصيبهم منه) ولا وجه لأن يطالب احد القتلة قاتلا آخر بالدية و القود .

(و ان كانوا ولوه) اى باشروا سفك دم عثمان (دونى) وكان هذا هوالواقع حيث ان الامام كان يستسغر بين عثمان و الثوار لئلا تقع المشكلة .

(فما الطلبة الا قبلهم) الطلبة ما يطالب به الثار ، ان المطلوب بدم

وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ. إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ. وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَأُ وَٱلْحُمَةُ،

عثمان ، هم لا أنا .

(و) بناءا على هذا ف (ان اول عدلهم) اذا ارادوا العدل (للحكم على أنفسهم) ((اللام)) للتأكيد و الجملة خبر ((ان)) فاللازم ان يحكموا اولا على أنفسهم ثم من بعد ذلك ينظرون من كان شريكا معهم ، و الواقع ان طلحة والزبير ومعاوية وعائشة كانوا هم الذين أثاروا الفتنة على عثمان ، ولكنهم لما رأوا ان الامام لا ينزل عند رغبتهم فى توليتهم المناصب واعطائهم الأموال اتخذوا دم عثمان ذريعة لوصولهم الى شهواتهم ، لكن القضاء عاكس جميعهم فالأولان قتلا هدرا و عائشة ابتليت بمعاوية التى لم تكن تفكر فى انه يصبح خليفة ، ومعاوية وان نال الخلافة اياما ، لكن ايامه كانت ايام فتن واضطرابات مما لم يهنأ بالملك ، ثم اورث اللعنة والخزى الى الأبد .

(ان معى لبصيرتى) لم ارفارق بصيرتى وعلمى حتى لا اعلم ما لى مما علىّ (ما لبست) اى اشتبهت (ولا لبس على) بأن يسبّب قول الناس وعملهم اشتباها فى أمرى حتّى أشتبه و لا أعلم وجه الحق ، فانا أعلم انى على حق وانهم على باطل .

(وانها) اى هذه الفئة التى تحارب بقيادة طلحة والزبير (للفئة الباغية) التى تبغى وتظلم (فيها الحمأ) اى القريب فى النسب من الامام وهو الزبير فقد كان ابن خالة الامام (والحمة) وهى الابرة اللاسعة من العقرب ونحوه و يشير بذلك الى زوجة الرسول ، حيث كانت تلدغ ، وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الامام بخروج هؤلاء عليه ، كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عائشة بالذات .

وَٱلشُّبْهَةُ ٱلْمُغْدِفَةُ، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ؛ وَقَدْ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ، وَ ٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ !

(والشبهة المغدفة) من اغدف بمعنى اظلم ، اى الشبهة التى تظلم وجه الحق ، وتسترعلى الناس الدوافع الحقيقية لطلب هؤلاء بدم عثمان ٠

(وان الأمر لواضح) فى ذاته ودوافعه (وقد زاح الباطل) اى زال و ذهب (عن نصابه) اى عن محله (وانقطع لسانه) اى لسان الباطل (عن شغبه) الشغب تهيّج الشر ، فقد كان الناس يعرفون دوافع طلحة والزبير و عائشة ومعاوية ، وقد اوضحها الامام فى عدة خطب وكلمات ، حتى لم يكن للمشتبه عذر فى عدم العلم ٠

(وأيم الله لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه) أفرط الحوض بمعنى ملأه حتى فاض ، ومتح الماء بمعنى نزعه من البئر او نحوها وأخرجه يعنى املأ لهم حوض المنية الذى انا أخرجت ماء ذلك الحوض وحصلت عليه ، وذلك كناية عن استعداده للمحاربة فهو يتح الماء ويملاء احواضهم :

(لا يصدرون عنه برى) اى لا يتمكنون من الاستفادة من ذلك الحوض فلا يرتون عنه ، بل يغصون بمائه ، وذلك كناية عن عدم استفادتهم مطالبهم من هذا الشغب الذى اثاروه ٠

(ولا يعبون) العب شرب سريع بلا تنفس (بعده) اى بعد الشرب من هذا الحوض (فى حسى) وهو مجمع الماء فى الأرض اى لا يتمكنون أن يشربوا ماءا بعد شربهم من هذا الحوض ، لأن مائه يهلكهم فلا تبقى لهم حياة ليشربوا من ماء آخر ٠

منه : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ ٱلْعُوذِ ٱلْمَطَافِيلِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ : ٱلْبَيْعَةَ ٱلْبَيْعَةَ ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا. ٱللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ ؛ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا . وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهِمَا ٱلْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا .

(منه) فى كيفيّة بيعة الناس له عليه السلام .

(فاقبلتم) بعد قتل عثمان (الىّ اقبال العوذ) اى مثل اقبال الانثى من الضبئ و الابل ، جمع عائذة (المطافيل) جمع ((مطفل)) بمعنى ذات الطفل (على أولادها) فكما ان الأم تقبل على اولادها كأنها تستجير بها و تلوذ، كذلك كانت الناس تقبل على الامام للبيعة معه .

(تقولون : البيعة البيعة) منصوب بفعل مقدر اى نريد البيعة (قبضت كفّى) اى جمعتها لئلا تلامس ايديكم للبيعة (فبسطتموها) و جزيتموها(ونازعتكم يدى) اريد قبضها و تريدون بسطها (فجاذبتموها) للبيعة ، هكذا كانت بيعة الناس لى ، ومنهم طلحة و الزبير ، ثم نكثا ايثارا للدنيا و لشهواتهما .

(اللّهم انهما) اى طلحة و الزبير (قطعانى وظلمانى و نكثا بيعتى) أى نقضاها (و ألبّا) أى حرضا (النّاس علىّ) لنكث البيعة و المحاربة (فاحلل ما عقدا) من الاتفاق ضدّى ، حتى تفسد عقدتهما (و لا تحكم لهما ما أبرما) الابرام انقل ، اى لا تجعل ما ابرما محكما حتى لا يقبل النقض و النكث .

(و أرهما المساءة) اى السوء (فيما املا) من النفوذ و السلطة ، فقد كان أمل طلحة و الزبير الخلافة و الأمارة (وعملا) من تهيئة الجيش و تحريض الناس و قد استجاب الله دعاء الامام عليه السلام ، فقتلا شر قتلة و لم ينالا ما ارادا .

وَلَقَدِ ٱسْتَثْبَتُّهُمَا قَبْلَ ٱلْقِتَالِ ، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ ، فَغَمَطَا ٱلنِّعْمَةَ، وَرَدَّا ٱلْعَافِيَةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يومىء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ ٱلْهَوَىٰ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ ، إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَىٰ عَلَىٰ ٱلْهَوَىٰ ، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَىٰ ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ ٱلرَّأْيِ .

(ولقد استثبتهما) اى طلبت رجوعهما الى البيعة والطاعة ، من ((ثاب)) بمعنى رجع (قبل القتال) فأبيا (واستأنيت بهما امام الوقاع) اى طلبت منهما الاناة والتؤدة قبل وقوع الحرب (فغمطا النعمة) اى جحداها ، والمراد نعمتى عليهما (وردّا العافية) بالسلامة من الحرب الى المحاربة والمقاتلة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يومىء فيها الى ذكر الملاحم

(يعطف الهوى على الهدى) هذا فى احوال الامام المنتظر المهدى عجل الله تعالى فرجه الذى بشر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى اخباره متواترة ذكرها علماء السنة وعلماء الشيعة ، والمعنى ان الامام يحكم بالهدى ويترك الهوى .

(اذا عطفوا) اى سائر الناس (الهدى على الهوى) بأن جعلوا الدين تبعا لهواهم ومشتهيات انفسهم (ويعطف) الامام عليه السلام (الرأى على القرآن) فيرى حسب احكام القرآن ويفتى بها (اذا عطفوا القرآن على الرأى) بأن اولوا القرآن حسب آرائهم وأفكارهم .

منها : حَتَّىٰ تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَىٰ سَاقٍ ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا ، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَىٰ مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا ،

(منها) فى بيان كيفيّة استيلاء الامام المنتظر ، وحكمه فى البلاد والعباد ، فانه عليه السلام يأتى و يثور (حتّى تقوم الحرب بكم على ساق) كناية عن اشتدادها ، كالانسان القائم على رجله ، ليتهيأ للأمر (باديا) اى ظاهرا (نواجذها) جمع ((ناجذ)) وهى أربعة فى اقصى الأضراس ، وهذا كنايه عن شدة الأحتدام ، فان الأسد اذا اشتد غضبه ابدى نواجذه ٠

(مملوءة اخلافها) جمع خلف ـ بالكسر ـ بمعنى الضرع ، وهذا كناية عن كثرة الشر و استعداده للظهور كاستعداد الحليب فى الضرع اذا امتلاء

(حلوا رضاعها) فان الناس يستعذبون تلك الحرب لما يروا فيها من سيطرة الحق (علقما) اى مرّا كالعلقم (عاقبتها) بالنسبة الى الظالمين (الا و فى غد) والمراد : المستقبل ، وانكان بعيدا ، كما يطلق الأمس على الماضى ،و انكان قبل دهر ٠

(وسيأتى غد بما لا تعرفون) جملة معترضة بين الظرف ((فى غد)) و المظروف ((ياخذ)) اتت للتهويل ٠

(يأخذ الوالى) المراد بالوالى الامام الحجة عليه السلام (من غيرها) اى ان المتصف بكونه من غير هؤلاء السلاطين ، وكأنه قد سبق ذكر للامرة و الولاية لجماعة من الناس كبنى امية و العباس ٠

(عمالها على مساوى اعمالها) اى يحاسب العمال الذين تحت نفوذه و امرته على سوء تصرفاتهم فى البلاد و العباد ، ولا يتركهم هملا يعملون كيف

وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

منها : كَأَنِّي بِهِ

بشائون كما هى العادة فى الحكومات الظالمة حيث لا تهمهم مظالم الناس و ظلم العمال ·

(و تخرج له الأرض أفاليذ) جمع افلاذ ، و هو جمع فلذة ، و هى القطعة الثمينة من المعادن ، كالذهب و الماس وغيرهما ·

(كبدها) جمع كبد شبه بها المعادن المخفية تحت الأرض ، و المراد ان المعادن و الكنوز تظهر للامام الحجة عليه السلام ·

(و تلقى) الأرض (اليه) اى الى الامام الحجة عليه السلام (سلما مقاليدها) جمع مقلاد ، و هو المفتاح ومفاتيح الأرض الأشياء التى هى سبب للوصول الى غايات مهمه ، من فتح البلاد و استخراج الثروات ، و ما اشبه ذلك ، وقوله : ((سلما)) اى بدون صعوبة كبيرة ·

(فيريكم) الامام الحجة (كيف عدل السيرة) اى السيرة العادلة ، او سيرة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فاللام للعهد الذهنى (و يحيى ميّت الكتاب و السنة) و المراد بميتهما ما اهمل و ترك العمل به منهما ، و حياته رواجه و تنفيذه ·

(منها) : اى قطعة من هذه الخطبة (كأنى به) لفظة ((كأنى)) و ما اشبه ، للدلالة على ان الأمر واقع ، حتى كأن الامام عليه السلام ينظر اليه ، و الضمير ((به)) · على ما ذكروا عائد الى عبد الملك بن مروان ، الذى ثارت أطراف البلاد عليه ، فاخمدها ·

قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ .

(قد نعق) اى صوت ، والنعيق هو الصوت الذى له اعوان (بالشام) فان مركز عبد الملك كان الشام (وفحص براياته) اى بحث بأعلامه ، وبحثها كناية عن تركيزها ، لأن العلم يركز بعد حفر الأرض كأنه فحص القطات لبيضها (فى ضواحى كوفان) جمع ضاحية وهى الناحية (فعطف) اى عبد الملك (عليها) اى على تلك الضواحى واهاليها (عطف الضروس) هى الناقةالسيئة الخلق ، والمراد انتقام عبد الملك من الأهالى ، فانه قد ثار مختار ضد بنى امية ، ثم ثار ابن الزبير فى مكة وارسل اخاه مصعبا ، فاستولى مصعب على العراق ، وقتل المختار ، ثم جاء عبد الملك وقتل مصعبا وانتقم من أهالى الكوفة وما والها انتقاما شديدا ، وأكثر فيهم القتل .

(وفرش الأرض بالرؤوس) كناية عن كثرة قتله لأهل العراق (قد فغرت) أى انفتحت (فاغرته) كناية عن فمه ، فانّ السبع اذا اراد التهام شئ فتح فاه للأكل والازدراد .

(وثقلت فى الأرض وطأته) اى قدمه التى توطئ الأرض ، وذلك كناية عن ثقله على الناس لما كانوا يخافون ويرهبون بطشه وفتكه (بعيد الجولة) أى الحركة كناية عن سيطرته فى الآفاق .

(عظيم الصّولة) أى البطش والفتك ، يقال صال الأسد اذا وثب على فريسته .

وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَٱلْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ، حَتَّىٰ تَؤُوبَ إِلَىٰ ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا! فَٱلْزَمُوا السُّنَنَ ٱلْقَائِمَةَ ، وَٱلْآثَارَ ٱلْبَيِّنَةَ ، وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي ٱلنُّبُوَّةِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ .

(والله ليشردنكم) يفرقنكم (فى اطراف الأرض حتى لا يبقى منكم) معاشر المخاطبين ، والمراد هم وذريتهم ، (الا قليل) ينجو من يده (كالكحل فى العين) من القلّة واستدارة الأعداء عليهم (فلا تزالون كذلك) فى ظلم بنى أمية واضطهادهم (حتى تؤوب) اى ترجع (الى العرب عوازب احلامها) أى غائبات عقولها ، فانّ عوازب جمع عازبة ، بمعنى الغائبة والأحلام جمع حلم بمعنى العقل ، وهل المراد بذلك بنو العباس لأنهم كانوا عربا أصيلا ــ بخلاف بنى امية الذين كان أصلهم من روم ــ او سلاطين الشيعة ، او ذلك فى زمان الامام المهدى عليه السلام ؟ احتمالات .

(فالزموا) أيها النّاس (السّنن القائمة) أى الأحكام التى هى جارية بينكم ، ولا تتركوها (والآثار البينة) اى آثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الواضحة الظاهرة (والعهد القريب) اى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو قريب من زمانكم (الذى عليه) اى على ذلك العهد (باقى النّبوة) والمراد بها الأئمة عليهم السلام ، الذين هم الباقون من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(واعلموا انّ الشيطان انما يسنى) اى يهيّئ (لكم طرقه) بالتزيين لكم وحثكم على سيرها (لتتبعوا عقبه) اى عقب الشيطان ، والعقب مؤخر القدم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وقت الشورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَىٰ دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي؛ عَسَىٰ أَنْ تَرَوْا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَىٰ فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فى وقت الشورى) قاله عليه السلام لأهل الشورى ـ الخمسة ـ حينما كانوا يريدون انتزاع أمر منه ٠

(لم يسرع احد قبلى الى دعوة الحق) فانى اول الناس اجابة الى دعوة الحق ، كما فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كان اول الناس ايمانا ، واطاعة للرسول فى كل أمر (وصلة رحم) فان قبول الاسلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان صلة للرحم ، حين قطعها سائر اقارب الرسول ٠

(وعائدة كرم) اى الكرم العائد على الناس بخير ، فالاضافة من باب اضافة الصفة الى الموصوف ٠

(فاسمعوا قولى) حيث علمتم سوابقى وانى لا اقصد ولا اعمل الا الخير (وعوا) اى ادركوا (منطقى) اى كلامى (عسى) اى لعل ـ اذا اسرعتم الى الانتخاب ـ (ان تروا هذا الأمر) اى انتخاب احد بلا روية (من بعد هذا اليوم تنتضى) اى تسل وتجر (فيه السيوف) للمقاتلة (وتخان فيه العهود) بين الأمة والولات (حتى يكون بعضكم ائمة لأهل الضلالة) اى مقتدى لهم (و

شِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

و من كتاب له عليه السلام

فى النهى عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ،

شيعة لأهل الجهالة) اى تابعا لأهل الجهل ، وقد كان كما قال الامام عليه السلام ، فان عثمان خان عهد اهل الشورى بأن يعمل بكتاب الله و سنة رسوله ، بل سار على هواه حتى اجتمع الثوار فقتلوه ، و صار اماما لأهل الضلالة كمعاوية و من أشبه ، بينما كان تابعا لأهل الجهل كصهره مروان و سائر اقرباءه يتبع آرائهم فى العمل على خلاف الكتاب و السنة .

و من كتاب له عليه السلام

فى النهى عن عيب الناس

(و انما ينبغى لأهل العصمة) الذين حفظهم الله و عصمهم عن اقتراف الآثام ، و المراد الذين لا يعصونه سبحانه ، كالعدول (و المصنوع اليهم فى السلامة) الذين صنع الله اليهم فى ان يسلموا من الآثام و السّيئات (ان يرحموا اهل الذنوب و المعصية) بأن يهتموا لاقصائهم عن العاصى ، كما لو قيل ترحّم على المريض كان معناه اعطف عليه و انجه من المرض (و يكون الشكر) على ما انعم الله عليهم بارشادهم الى الطريق و حفظهم عن العصيان .

(هو الغالب عليهم و الحاجز لهم) اى المانع لأهل العصمة (عنهم) أى

فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!

عن عيب اهل المعصية (فكيف بالعائب الذى عاب أخا) لأنه يعصى ، فهو بعدم شكره وعدم ترحمه ، قد خالف اللازم عليه فكيف اذا زاد على ذلك الاشتغال بالعيب ٠

(وعيره ببلواه) الذى ابتلى به من العصيان (اما ذكر) هذا الغائب أخاه العاصى (موضع ستر الله عليه) اى اما فعل الله تعالى بهذا الشخص العائب (من ذنوبه) بيان لما ستر ، متعلق به ((ستر)) (مما هو اعظم من الذنب الذى عابه به) فان اهل الصلاح مهما كانوا اتقياء – اذا لم يكونوا معصومين – لابد وان قد ارتكبوا جرائم هى بالنسبة اليهم ، اعظم من الجرائم التى يرتكبها الفساق بالنسبة الى أنفسهم (وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله) اى قد عمل مثل ذلك الذنب (فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه) الذى يعيب الفاسق به (فقد عصى الله فيما سواه) اى سوى ذلك الذنب (مما هو اعظم منه) وقد مرّ وجه كونه اعظم ، ثم بين الامام عليه السلام أنه اذا فرض عدم ذنب له سابقا، لكنه الآن آت بالذنب ٠

(وأيم الله لئن لم يكن عصاه) اى عصى الله (فى الكبير و) لم يكن (عصاه فى الصغير) قبل ذلك (لجرأته على عيب الناس اكبر) من عيوب الناس فهو اذا عاصى له سبحانه بعيبه للناس ٠

يَا عَبْدَ ٱللهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَىٰ نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَىٰ مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ .

(يا عبد اللّه لا تعجل فى عيب أحد بذنبه) اى بسبب ذنبه (فلعلّه مغفور له) ولا يخفى انّ هذا الكلام من الامام عليه السلام انما هو بالنسبة الى الذين لم يخلعوا جلباب الحياء ممن أمر اللّه سبحانه بذمهم وعيبهم ، ليذوقوا هون المعصية ، ويجنب الناس عن اتباعهم والاقتداء بعملهم .

(ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذّب عليه) اذ لا يعلم الانسان مورد غضب الله تعالى ، ولذا ورد لا تحقروا شيئا من المعاصى فلعل فيها غضب اللّه .

(فليكفف من علم منكم عيب غيره) اى فليحفظ نفسه من ان يعيب احدا (لما يعلم من عيب نفسه) قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

(وليكن الشكر) للّه سبحانه على ما وفّقه (شاغلا له على معافاته) اى على ان عافاه (مما ابتلى به غيره) من اصناف المعاصى والآثام .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

في النهى عن سماع الوقيعة وترتيب الأثر عليها ، وفى الفرق بين الحق والباطل

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَتُخْطِىءُ السِّهَامُ ، وَيُحِيلُ الْكَلَامُ ، وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ ، وَاللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى النهى عن سماع الوقيعة و ترتيب الأثرعليها ، و فى الفرق بين الحق و الباطل ·

(أيها النّاس من عرف) منكم (من أخيه وثيقة دين) اى ان له دينا يوثقه و يقيده عن اقتراف الآثام و المعاصى (و سداد طريق) اى صحة طريقته وسيرته فى الأمور ·

(فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال) اى كلماتهم البذيئة فيه و رميه بالجرائم (اما انه قد يرمى الرامى و تخطئ السهام) فكما انه قد تخطى السهام فلا تصيب الهدف كذلك قد يخطى الكلام فلايكون المرمى بالكلام السئ مقترفا لما رمى به ، مثلا يقال فلان ليس بامين ، والحال ان هذا الكلام مخالف للواقع، بل هو امين فى الأمور ، و هكذا ·

(و يحيل الكلام) اى يتغير عن وجه الحق (و باطل ذلك) الكلام أى المكذوب منه (يبور) أى يهلك و لا يثمر يعنى انه اذا كانت الوقيعة مكذوبة تهلك و تفسد بلا ان يضرّ المرمى شيئا (و اللّه سميع) للقذف (و شهيد) يشهد

أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِـعَ .

فسئل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعهـا بين أذنه وعينه ثم قال :

ٱلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَٱلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

على ذلك وهذا كالتهديد لمن يرمى القول جزافا .

(اما انه ليس بين الحق والباطل الآ أربع أصابع) ((فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا ؟)) ((فجمع أصابعه و وضعها بين اذنه وعينه ثم قال)) : (الباطل أن تقول سمعت ، والحق أن تقول رأيت) والمراد بذلك ان مسموعات الانسان يختلط فيها الحق بالباطل ، فمن الباطل ان يحكم الانسان بكل شئ سمع ، وذلك بخلاف ما يراه الانسان فانه حق لا شبهة فيه ، قالوا : وهاتان القضيّتان مهمتان ، اذ لا سور لهما ، ولذا جاز أن يكون من المسموع حقّا وهو ما اجتمع فيه شرائط الحجية ، ومن المرئى باطلا وهو الذى يدرك بالبصر خلاف واقعه لعلة ، كالماء المتراكم الذى يرى اسود والجسم البعيد الذى يرى صغيرا والخطان المتقاربان اللذان يرى اتصالهما بعد مسافة وهكذا .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ . مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ : مَا أَجْوَدَ يَدَهُ ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ !
فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ ،

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فى مواضع المعروف ، وانه ما قد تكون عند اهله ، وقد تكون عند غير أهله ٠

(وليس لواضع المعروف فى غير حقّه وعند غير أهله) كمن يطلق كلبا عقورا ، فان الاطلاق لغير حق ، وهو ليس بأهل للاطلاق — واللفظتان : فى غير ٠٠ وعند غير ٠٠ متقاربتا المعنى — ٠

(من الحظ فيما أتى) وعمل من فعل المعروف ، و ((من)) متعلق ب ((ليس)) (الاّ محمدة اللّئام) فانّ اللئام هم الذين يحمدون عمله (و ثناء الأشرار) فانهم يثنون عليه و يمدحونه (و مقالة الجهّال) فان الجهال يقولون فيه القول الحسن (ما دام منعما عليهم) فان الثناء منهم له مادامت نعمته قائلين (ما أجود يده) أو انها جملة مستأنفة ، اى انه جواد (و) لكن (هو عن ذات الله) أى البذل فى سبيله وحسب أوامره (بخيل) لا يبذل شيئا ٠

(فمن آتاه الله) اى اعطاه سبحانه (ما لا فليصل به القرابة) بأن يبذل على

وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ذوى قرباه (وليحسن منه) أى من ذلك المال (الضيافة) بأن يضيف النّاس ضيافة حسنة ، لا أن يضيف الأثرياء واهل المعصية أو ما أشبه (وليفك به الأسير) فى أيدى الظالمين ، يفديه بماله ليخلصه من شرهم (والعانى) الذى عناه وقصده بحاجته (وليعط منه) اى من ذلك المال (الفقير والغارم) أى المديون فى غير معصية الله سبحانه (وليصبر نفسه على الحقوق) أى وحقوق الله الناس عليه ، بادائها اليهم كالخمس والزكاة والصدقات .

(والنوائب) جمع نائبة وهى المصيبة فان للمال والاعطاء فى سبيل الصالح العام تبعات وصعوبات ، وذلك (ابتغاء الثواب) اى طلب الأجر من الله سبحانه ، لا لأجل الرياء والسمعة (فان فوزا) يفوز به الانسان (ب) سبب (هذه الخصال) التى ذكرت ، وانما نكّر ((فوزا)) للتعظيم نحو : ((ربنا آتنا فى الدنيا حسنة .

(شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة) فقد حاز المنفق ماله فى هذه السبيل لشرف الدنيا وسعادة الآخرة (انشاء الله) تعالى .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ ،

ومن خطبة له عليه السلام

فى الاستسقاء

(ألا و ان الأرض التى تقلكم) اى تحملكم (و السماء التى تظلّكم) تشبيه للسماء بالسقف الذى يظل الانسان من الحر و البرد (مطيعتان لربكم) كما قال سبحانه : ((فقال لها و للأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين)) ٠

(و ما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما) من المطر و النبات و ما أشبه (توجعا لكم) اى تألما لفقركم ، كما يتألم الانسان لانسان فقير ٠

(ولا زلفة اليكم) اى لأجل انهما تريدان الاقتراب والتحبب اليكم (ولا لخير ترجوانه منكم) فهما غنيان عنكم ٠

(و لكن امرتا بمنافعكم) امرهما الله سبحانه بان تنفعاكم (فاطاعتا و أقيمتا) أى أقامهما الله سبحانه (على حدود مصالحكم فقامتا) بأمر الله سبحانه (ان الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئة) اى اذا عملوا السيئات (بنقص الثمرات)فتحل

وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلاِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ ٱلْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ». فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ،

الأشجار ثمار اقل مما كانت تحمل سابقا .

(وحبس البركات) جمع بركة وهى النمو و الزيادة فنتاج الحيوان والأرض و ما اشبه يكون اقل .

(و اغلاق خزائن الخيرات) فالخير الذى كان يأتى سابقا ، من الانسان لأخيه ، او من السماء او من الأرض ، تغلق ابوابه (ليتوب تائب) فان التأديب موجب لليقظه و التوبة .

(و يقلع مقلع) اى ينتهى عن الشئ من اراد الانتهاء (و يتذكر متذكر) اى من له قابلية التذكر و الانزجار بواسطة التأديب (و يزدجر مزدجر) اى ينزجر عن المعصية من أراد الانزجار .

(و قد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق) اى دره و نزوله كدر الحليب (و رحمة الخلق) عطف على ((درور))

(فقال) تعالى فى القرآن الحكيم : (استغفروا ربكم انه كان غفّارا) كثير المغفرة للذنوب (يرسل السماء عليكم مدرارا) اى هاطلا بالأمطار (و يمددكم بأموال و بنين) بأن يكثر أموالكم و أولادكم ، كل ذلك بسبب الاستغفار .

(فرحم الله امرءا استقبل توبته) كما يستقبل الانسان أصدقائه و أقربائه ، و المراد تاب فى مستقبل عمره و جهله ((رحم الله)) ماض ، لكنه بمعنى الدعاء و

وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ ! ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ ٱلْأَسْتَارِ وَٱلْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ،وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . ٱللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، «وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ

الانشاء .

(واستقال خطيئته) اى طلب منه سبحانه ان يقيله ويغفر ذنبه كأنه لم يذنب (وبادر منيته) أى موت بأن عمل قبل أن يموت .

(اللهم انا خرجنا اليك) فى الصحراء ـ على ما يقتضى العادة من كون الاستسقاء فى الصحراء (من تحت الأستار) كالمخدرات التى خرجن من تحت الستر (والأكنان) جمع كن ، وهو البيت (وبعد عجيج البهائم) اى صوتها من العطش (والولدان) اى عجيج الأولاد الصغار من العطش .

فى حالكوننا (راغبين فى رحمتك) بانزال المطر ودرّ الخير (وراجين فضل نعمتك) بأن تتفضل علينا من نعمتك (وخائفين من عذابك ونقمتك) النقمة ضد الرحمة .

(اللهم فاسقنا غيثك) اى المطر النازل من نعمتك (ولا تجعلنا من القانطين) اى الآيسين من رحمة الله (ولا تهلكنا بالسنين) جمع سنة بمعنى القحط والجدب (ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) من المعاصى ، فان العاصى سفيه وان ظهر فى كمال العقل (يا أرحم الراحمين) فان رحمته سبحانه اكثر كما وكيفا من كل رحمة .

(اللهم انا خرجنا اليك) اى خروجا لنطلب لطفك واحسانك ، فانه

نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ. وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛

سبحانه منزه عن المكان ·

(نشكو اليك ما لا يخفى عليك) من عدم الأمطار ، والقحط ، و شح المياه ، وقلة الأرزاق (حين الجأتنا المضايق الوعرة) جمع مضيق ، و هو المحل الضيق الذى يصعب للانسان الكون فيه ، والوعرة بمعنى الخشنة الشديدة ، يقال أرض وعرة اى غير مستوية ·

(و اجائتنا) بمعنى جائت بنا (المقاحط) جمع مقحط ، بمعنى القحط (المجدبة) من اجدب مقابل اخصب (و اعيتنا) اى اعجزتنا (المطالب المتعسّرة) أى مطالبنا التى تعسرت علينا (و تلاحمت) اى اجتمعت حتى صارت وصلة كاللحم (علينا الفتن المستصعبة) فان القحط يوجب الفتنة لاشاعته للرعب والفوضى ·

(اللهم انا نسألك ان لا تردّنا خائبين) الخائب الذى لم يحصل على مطلبه (ولا تقلبنا) اى لا ترجعنا الى أهلنا (واجمين) الواجم هو الحزين الكاسف البال الذى اسكته الحزن عن التكلم ·

(و لا تخاطبنا بذنوبنا) بأن تسمينا عندك مذنبين ، فلا ترضا (ولا تقايسنا بأعمالنا) اى لا تجعل فعلك بنا مناسبا لأعمالنا (اللهم انشر علينا غيثك) الغيث المطر (و بركتك) اى نماءا فى الثمر و ما اشبه (و رزقك و رحمتك) الرحمة اعم

وَٱسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ ٱلْحَيَا، كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ».

من الرزق (واسقنا سقيا) اى مطرا (نافعة) للبلاد والعباد (مروية) أى تروى من الظماء والعطش (معشبة) تنبت العشب والكلاء (تنبت بهاما قد فات) فلم ينبت بسبب القحط (وتحيى بها ما قد مات) من الأشجار ، فان اصل الشجر يبقى حيا بينما يموت الشجر ، فاذا وصل اليه الماء حى من جديد .

(نافعة الحيا) أى المطر والخصب (كثيرة المجتنى) أى الثمر الذى يجتنى ويقتطف (تروى بها القيعان) جمع قاع وهى الأرض السهلة (وتسيل البطنان) جمع بطن ، وهو المنخفض من الأرض (وتستورق الأشجار) اى تخرج ورقها (وترخص الأسعار) فانّ الرزق اذا كثر رخص وذهب الغلاء (انك على ما تشاء قدير) فتقدر على أن تعمل كل ما طلبنا منك .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في بعثه الرسل ،و فضل اهل البيت ، و أحوال أهل الضلال

بَعَثَ ٱللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَىٰ سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. أَلَا إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً ،لَا أَنَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في بعثه الرسل ، وفضل أهل البيت ، وأحوال أهل الضلال ٠

(بعث الله رسله بما خصّهم به من وحيه) فانّ الوحى خاص بالرسل لا يشركهم فيه أحد (وجعلهم حجّة له على خلقه) يحتج يوم القيامة بالرّسل على العصاة ، يقول لهم : ألا بلغ الرسل ، فلماذا عملتم بالمعاصى و الآثام (لئلا تجب الحجّة لهم) اى للناس (ب) سبب (ترك الأعذار) من الله (اليهم) فيقول أهل المعاصى : يا ربّ لم نكن نعرف ما يجب علينا ، فارتكابنا للمعاصى لم يكن تقصيرا منّا ٠

(فدعاهم) الله سبحانه (بلسان الصّدق) فان الرسل كانوا صادقين فى كلماتهم (الى سبيل الحق) الذى هو مطابق للواقع لا خلاف فيه ٠

(ألا ان الله قد كشف الخلق كشفة) اى اطلع عليهم ، وذلك تشبيه بمن يكشف السر ، ويستبطن الأمر ليطلع عليه ٠

ثم بين عليه السلام ان الكشف لم يكن لجهله سبحانه ، بل لاختبارهم (لانه)

جَهِلَ مَا أَخفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ "وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ: أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْعِقَابُ بَوَاءً .

أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَىٰ ،

تعالى (جهل ما أخفوه) اى الناس (من مصون أسرارهم و مكنون ضمائرهم) جمع ضمير و هو باطن الانسان و سرّه (ولكن) كان الكشف (ليبلوهم) أى يختبرهم (أيهم أحسن عملا) و المراد أيّهم يعمل حسنا و أيّهم يعمل سيّئا (فيكون الثّواب جزاءً) اى لئلا يكون الثواب جزافا يعطى لمن لا يستحق (و العقاب بواءً) من باء اذا رجع ، اى جزاءا لما عملوا من المعاصى ، او من باء فلان بفلان ، اى قتل به ، فيكون العقاب كالقصاص ·

(أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم) أى الثابتون فيه ، فان العالم القوى يكون راسخا ، غير مردد فى الأمور ، بخلاف غيره فانه يتردد فى الأمور ، فيظن او يشك و يرجّح بالمرجحات (دوننا) أى لسنا نحن الرّاسخين و انما هم الراسخون فقد كان فى أصحاب الرسول من يزعم انه أعلم من أهل البيت ، او اقرأ أو أقضى أو ما أشبه ·

(كذبا) كان زعمهم (و بغيا علينا) أى حسدا و ذلك لأنه (ان رفعنا الله و وضعهم) قال سبحانه : ((أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله ؟)) ·

(و أعطانا) العلم (و حرمهم ، و أدخلنا) فى لطفه و رحمته (و أخرجهم) أى لم يعطهم و لم يشملهم بلطفه (بنا يستعطى الهدى) أى يطلب النّاس أخذ

وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَىٰ . إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَىٰ سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

منها : آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِياً ، وَشَرِبُوا آجِناً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ

الهدى (ويستجلى العمى) أى يطلب انجلاء الجهل (ان الأئمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم) أى البطن الطالبى العلوى (لا تصلح) الامامة (على سواهم) من سائر النّاس و سائر بطون قريش (و لا تصلح الولاة) خلفاء الرّسول (من غيرهم) .

(منها) : اى بعض تلك الخطبة (آثروا عاجلا) أى ان بعض النـاس اختاروا الدنيا العاجلة (و اخروا آجلا) و لم يعتنوا بالآخرة المستقبلة فلم يعملوا لها (و تركوا صافيا) فانّ الآخرة مصفاة من الأكدار (و شربوا آجنا) المـاء الآجن المتغير لونه و طعمه و المراد لذائذ الدنيا المشوبة بالكدورات (كأنى أنظر الى فاسقهم) أى فاسق النّاس ، أو فاسق معين ، كملوك بنى أمية ومن أشبههم (و قد صحب المنكر فألفه) كما يألف الصديق الصديق (و بسئ به) اى فرح به (و وافقه) أى وافق الفسق (حتّى شابت عليه مفارقه) جمع مفرق ، و هو أم رأسه (و صبغت به) أى بالمنكر (خلائقه) جمع خليقة ، ملكة الانسان ، اى ان ملكاته النّفسية تلونت بلون المنكر (ثم أقبل) على النّاس (مزبدا) يخرج الزبد من فيه ، بيان لحاله فى سورة غضبه (كالتّيار) و هو الشلال من الماء و نحوه ، الذى يجرى بشدة فيوجب الأمواج و التلاطم .

لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ !
أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱلْأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ إِلَىٰ مَنَارِ ٱلتَّقْوَىٰ ! أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللَّهِ ! ٱزْدَحَمُوا عَلَىٰ ٱلْحُطَامِ ، وَتَشَاحُّوا عَلَىٰ ٱلْحَرَامِ ؛ وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ ،

(لا يبالى ما غرّق) لكونه كالسكران من المعصية (او كوقع النار فى الهشيم) اى الحطام اليابس ، الذى يتهشم و يتكسر بسهولة (لا يحفل) اى لا يبالى (ما حرّق) و هكذا يكون أهل المعصية ، اما أهل الدين فانهم يراقبون كل حركاتهم و سكناتهم حتى لا يصدر منهم ما فيه لله سبحانه نهى .

(أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى) أى صحب معها مصابيح الهدى ، التى هى أحكام الله سبحانه ، فسار فى ضوئها الى موضع السعادة .

(و) أين (الأبصار اللآمحة) اى الناظرة (الى منار التقوى) كالرسول صلى الله عليه و آله و سلّم و الأئمة الطاهرين ، حيث تشع منهم التّقوى ..

(أين القلوب التى وهبت لله) فلم تفكر و لم تأمر الا فى الله و فيما لله فيه رضى (وعوقدت) عقدها أصحابها (على طاعة الله) حتى لا تتحرك الا للطاعة

(ازدحموا) أى الناس (على الحطام) أى حطام الدنيا ، و هو ما يبس من النبات حتى اذا اصادفه اقل قوة تكسرت و تلاشت ـ وقد شبهت الدنيا بذلك ، لأنها مثله فى الفناء و الذهاب ـ (و تشاحّوا) أى تضاربوا (على الحرام) أى على اقتناء كل واحد منهم المحرمات و التلذذ بها (و رفع لهم علم الجنّة و النّار) أراد عليه السلام بعلم الجنة الأحكام المؤدية اليها و بعلم النار المحرمات المنتهية اليها ، و معنى ((رفع)) ظهر كما تظهر اعلام الطريق للمارة .

فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَىٰ النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ !

(فصرفوا عن الجنّة وجوههم) اى أعرضوا عنها فلم يعملوا بما يؤدى اليها (و أقبلوا الى النّار ب) سبب (أعمالهم) المؤدية اليها (دعاهم ربهم فنفروا و ولّوا) هاربين عن دعوته (و دعاهم الشّيطان) الى المعاصى . (فاستجابوا و أقبلوا) يتمثلون أوامره و ينفذون أحكامه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في فناء الدنيا ، و ذم البدعة

(أيها النّاس انّما أنتم فى هذه الدّنيا غرض) الغرض الهدف الّذى يرمى بالسّهم (تنتضل فيه المنايا) جمع منية ، و هى الموت ، و تنتضل بمعنى تترامى اليه ، فان سهام الموت تقصد الانسان و تتوجه نحوه (مع كل جرعة) يتجرّعها الانسان من الماء و نحوه (شرق) هو الماء يذهب فى مجرى التنفس ، و احيانا يسبّب هلاك الانسان ، و كونه مع كل جرعة بمعنى ان كل جرعة معرض لذلك (و فى كل أكلة غصص) هو اللّقمة لا يتمكن الانسان من ازدرادها ، و ربما سببت الهلاك .

لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ؛ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ ؛ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا

(لا تنالون منها نعمة الاّ بفراق أخرى) فمثلا نعمة النضج الفكرى تتوقف على فقد الشباب ، ونعمة الزوجة لا تنال الا بفقد الفراغ ، ونعمة الثّروة لا تكون الاّ بفقد الرّاحة ، وهكذا .

(ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الاّ بهدم آخر من أجله) فكل يوم يعمره الانسان ، انما يكون قد هدمه وأزاله عن مدته المقرّرة كونه فى الدّنيا .

(ولا تجدد له زيادة فى أكله الاّ بنفاد ما قبلها) أى ما قبل تلك الزيادة (من رزقه) فمثلا قدران يصل الى الانسان فى يوم السبت دينار ، وفى يوم الأحد ديناران ، فان وصول الدينارين ، انما هو بعد نفاد الدينار الأولى ،أى بعد وصوله اليه وعدم ترقّبه .

(ولا يحيا له أثر الاّ مات له أثر) فانّ الأثر الّذى يؤثره الانسان فى الماء والهواء والأرض وما أشبه يأخذ فى الزوال ــ بمقتضى ان العالم كون وفساد ــ فكل وقت جديد ، يأتى فيه أثر جديد ، يذهب الأثر القديم .

(ولا يتجدّد له جديد الاّ بعد أن يخلق له جديد) يخلق أى يبلى ، فان الدّنيا داربلى (ولا تقوم له نابتة) أى الشّجرة الّتى تنبت (الاّ وتسقط منه) أى من ملك هذا الانسان (محصودة) أى ثمرة قد حصدت (وقد مضت أصول) من أجدادنا وآبائنا (نحن فروعها) فان الأولاد كالفرع بالنسبة الى الآباء (فما

بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ !

منها : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدَعَ ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ. إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا ، وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا .

بقاء فرع بعد ذهاب أصله) بمعنى انه لا بقاء له .

(منها) أى من تلك الخطبة ، فى ذمّ البدعة (وما احدثت بدعة) و هى الّتى يؤتى بها بعنوان انه من الاسلام ، و ليس من الاسلام ، بأن لم يدل على جوازه دليل عام أو خاص ، كصلاة التراويح و ما أشبه ، اما ما يؤتى به لا بعنوان انه من الاسلام ، و ان لم يكن فى زمن الرسول ، كركوب الطائرة ، أو بعنوان أنه من الاسلام حيث دلّ عليه دليل عام ، و ان لم يدل دليل خاص،كبناء المدارس الدّينيّة و ما أشبه ، فليست بدعة .

(الاّ ترك بها سنّة) فانّ البدعة انّما توضع فى مكان السّنة ، فمثلا سنّة الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم عدم صلاة التراويح ، فالاتيان بها موجب لترك السّنة هى ضدها ، و هكذا .

(فاتّقوا البدع و ألزموا المهيع) هو الطّريق الواضح ، و المراد طريق الاسلام (إنّ عوازم الأمور أفضلها) جمع ((عوزم)) كجعفر بمعنى المتقادم ، أى الأمور الّتى كانت فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم وجاء بها الدليل ــ مقابل البدعة التى هى شئ جديد ــ .

(و إنّ محدثاتها) أى ما يحدث و يبدع من الأمور (شرارها) الشرّ كل شئ يأتى منه الشّقاء و العناء فانّ البدع توجب خسران الدّنيا و الآخرة .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّىٰ بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ؛ وَنَحْنُ عَلَىٰ مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ.

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(وقد استشاره عمر بن الخطّاب فى الشخوص) أى الذّهاب والسّفر (لقتال الفرس بنفسه) وكان عمر خاف من انهزام المسلمين ، وزعم انه لو كان معهم ، كان أقرب الى النّصر ، فأشار اليه الامام بالعدم وفى بعض التّواريخ ان الامام بعث بالامام الحسن عليه السلام مع الجيش ، وانه ذهب الى ان فتح ودخل اصفهان وصلى فى مسجد هناك .

(ان هذا الأمر) اى الفتح (لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلّة) من باب اللف والنشر المرتب (وهو) اى الاسلام (دين الله الذى أظهره) من الغيب للناس (وجنده) الظاهر أن المراد كون المسلمين ــ المفهوم من الكلام ــ (الذى اعده وامده) اى هيّئه وجعل له مددا (حتى بلغ ما بلغ) اى المقدار الذى بلغ من السعة والقدرة .

(وطلع حيث طلع) أى ظهر فى الأماكن (ونحن على) أمر (موعود من الله) حيث قال سبحانه : ((وينصرون الله من ينصره)) .

(والله منجز وعده) أى لا يخلفه (وناصر جنده) الذين هم المسلمون

وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ ٱنْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً . وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِٱلْإِسْلَامِ ، وَعَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ ! فَكُنْ قُطْباً ، وَٱسْتَدِرِ الرَّحَا بِٱلْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا.

المجاهدون فى سبيله (ومكان القيم بالأمر) أى الخليفة القائم بأمر المسلمين (مكان النّظام) أى السلك (من الخرز) اسم جنس وهو ما تنظم فى سلك ، كحبة السبحة ونحوها .

(يجمعه ويضمه) اى يجمع السلك الخرز ، ويضم بعضها الى بعض (فان انقطع النظام) أى السلك (تفرق) الخرز (وذهب) بددا .

(ثم لم يجتمع بحذافيره) أى بتمامه (أبدا) فان السعادة اذا ذهبت هيهات أن ترجع (والعرب اليوم وان كانوا قليلا) بالعدد (فهم كثيرون بالاسلام) فانّ الاسلام قد أوجد فيهم طاقة هائلة ، وأورث لهم هيبة كبيرة .

(وعزيزون بالاجتماع) لأن كلمتهم واحدة تحت لواء الاسلام (فكن) باقيا فى المدينة (قطبا) لهم (واستدر الرحا) أى ادرها (بالعرب) فهم الّذين يذهبون ويفتحون ، كما تدور الرحى على القطب لتحطيم الحبّات وطحنها

(وأصلهم) أى العرب (ـ دونك ـ نار الحرب) والاصلاء ايصال الشئ الى النّار (فانّك ان شخصت) أى ذهبت وسافرت (من هذه الأرض) وهى المدينة (انتقضت عليك العرب من أطرافها) فانّهم جديدو عهد بالاسلام و مستعدّون للارتداد (وأقطارها) جمع قطر ، بمعنى النّاحية .

حَتَّىٰ يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ ٱلْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ ، فَإِذَا ٱقْتَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَىٰ قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ .

(حتّى يكون ما تدع وراءك من العورات) الجبهات الّتى تفتح ضدّ الاسلام و العورة هى المكان الّذى يخشى منه ان اغفل منه (أهم اليك مما بين يديك) أى الفرس ، فالانسان اذا تحطم داخله كان أشدّ عليه ، مما اذا لم يكن له قوة فى الخارج .

(انّ الأعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا أصل العرب) الذين يحاربوننا (فاذا اقتطعتموه) أى قتلتموه (استرحتم) مؤنة هجومهم من جديد و فتحهم لبلادنا (فيكون ذلك) الذى يسبب جرئة الأعاجم (أشدّ لكلبهم) أى ضراوتهم و شدّتهم (عليك و طمعهم فيك) فيكون رواحك بنفسك سببا لتشدّد الأمر على المسلمين ، وضعف جانب الدّاخل منهم ، ولذا فالمشورة أن لا تذهب .

أقول : لقد تقدّم وجه عدم اجازة الامام عليه السلام له فى المسير ـ فى كلام له عليه السّلام حول عدم خروجه الى حرب الروم ـ .

(فاما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين) فقد ذكر عمر للامام انه سمع ان الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين و قصدهم لذلك دليل قوتهم و أنما أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم ، فأجاب الامام بهذا الجواب ثم بين السبب فى ردعه ، و ان قصدوا ذلك بقوله :(فان الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك) لأن الله تعالى اكثر حبا للاسلام من كل أحد (و هو أقدر على تغيير ما يكره) بان يثنى

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَىٰ بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ ،

عزمهم و يلقى الرعب فى قلوبهم فلا يتمكنون من السير ·

(واما ما ذكرت من عددهم) وانهم عدد هائل وعدد المسلمين قلّة (فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة) بأنا اكثر عددا من الأعداء (وانما كنّا نقاتل بالنّصر) من الله سبحانه (والمعونة) اى اعانته ، وقد كان كما قال الامام عليه السلام : فانتصر المسلمون ، وظهر خلل رأى عثمان ، حيث أشار بخروج عمر ·

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها بيان علة البعثة ، و فضل القرآن ، والنّاس فى المستقبل ، وعظمة الناس ·

(فبعث الله) سبحانه (محمّدا صلّى الله عليه وآله بالحقّ) اى ارسالا بالحق لا ارسالا بالباطل ، كما يرسل الجبابرة الولاة ·

(ليخرج عباده من عبادة الأوثان) أى الأصنام (الى عبادته) تعالى (ومن طاعة الشيطان الى طاعته) فان العصاة يطيعون الشيطان اذ هو الآمر بالعصيان

بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّىٰ سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ . وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِٱلْمَثُلَاتِ . وَٱحْتَصَدَ مَنِ ٱحْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!

(بقرآن) اى مع قرآن (قد بيّنه) اللّه سبحانه (و أحكمه) فان احكامه متقنة لا خلل فيها ولا نقص (ليعلم) أي يعرف (العباد ربّهم اذ جهلوه) أى فى ظرف جهلوه سبحانه ، فان الناس كانوا جهلة زمان ابتعاث الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم .

(و ليقرّوا به اذ جحدوه) أى أنكروه (و ليثبتوه بعد اذ أنكروه) فلم يعترفوا بوجوده ، و لعلّ الجحود مع الاستيقان و الانكار مع الشك و الجهل عدم المعرفة اطلاقا .

(فتجلى سبحانه لهم) أى ظهر ـ ذاته و صفاته ـ (فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه) فانه سبحانه قد عرّف نفسه فى القرآن الكريم .

(بما أراهم من قدرته) فانّ الانسان اذا ذكر بآثار أحد عرفه ، فانه سبحانه قد ذكر فى القرآن صنوفا من مظاهر قدرته ، مما يلفت الانسان الى معرفته .

(وخوفهم من سطوته) أى عقابه ، بما بين من العذاب فى الدنيا و الآخرة لمن خالف وعصى .

(وكيف محق) أى أهلك (من محق) من الأمم السّابقة (بالمثلات)أى بالعقوبات التى صارت مثلا للنّاس .

(و احتصد) أى حصد كما يحصد السنبل (من احتصد بالنّقمات) جمع

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَىٰ مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ عَلَىٰ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْـهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ؛

نقمة و هى العقوبة (و انه سيأتى عليكم من بعدى) كزمان بنى أمية (زمان ليس فيه شئ أخفى من الحق و لا أظهر من الباطل) فانّ الحق قد خفى فى زمان بنى امية ، وظهر الباطل ، حتى لم يكن الناس يعرفون أمور دينهم الاّ كما شائت اهواء آل امية .

(و لا أكثر من الكذب على الله و رسوله) فقد أمر معاوية باختلاق الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وآله و سلم ، لتقوية سلطانه ، و بذل لذلك الأموال الطائلة .

(و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حقّ تلاوته) ((أبور)) يعنى لا رواج له اطلاقا ، بمعنى انه لا يعمل به ، و معنى ((تلى)) عمل به ، فان حق التلاوة العمل ، و المعنى ان الكتاب بمعناه المراد أبعد الأشياء عن العمل فقد كان آل امية يشربون الخمر ، و يزنون مع المحارم ، و يقتلون النفوس البريئة ، الى غيرها من المحرمات المنصوصة فى القرآن الحكيم .

(و لا أنفق منه) أى اروج من الكتاب (اذا حرّف عن مواضعه) بمعنى فسر كما تشاء اهواء بنى امية فقد اعطى معاوية لسمرة بن جندب اربعمائة الف درهم ، حتى صعد المنبر ونسب الى الرسول صلى الله عليه وآله و سلم ، انه قال : نزلت فى على عليه السلام آية : ((و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو الد الخصام ، و اذا تولى سعى

وَلَا فِي ٱلْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ! فَقَدْ نَبَذَ ٱلْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ : فَٱلْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَٱلْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ فِي ٱلنَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ،

فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد)) و نزلت فى ابن ملجم قاتل على عليه السلام آية : ((و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)) .

(و لا فى البلاد شئ أنكر من المعروف) هذا على طريق المبالغة ، او على ظاهره ، فان حب الامام ـ مثلا ـ كان من انكر الشتام فى بلاد معاوية .

(و لا أعرف من المنكر) فان ولاء آل امية كان من اشدّ انحاء المعروف (فقد نبذ الكتاب) أى طرحوا العمل به (حملته) كأصحاب الرّسول صلى الله عليه وآله و سلّم أمثال أبى هريرة (و تناساه) أى جعلوا أنفسهم كأنهم ناسين لأحكامه ـ مع انهم فى الحقيقة غير ناسين ـ (حفظته) الذى حفظوه (فالكتاب ـ يومئذ ـ و أهله) الحقيقيّون كشيعة الامام عليه السلام (منفيان طريدان) طردهم أهل الباطل عن المجامع ، ينفون من بلد الى بلد ، كما فعل بحجر و أصحابه (و صاحبان مصطحبان) أى صديقان يكون أحدهما صاحبا للآخر ، لا يفارقه .

و هما (فى طريق واحد) من الخير و الصلاح (لا يؤويهما مؤو) الايواء : اعطاء المكان و المسكن ، و ذلك كناية عن الاحتفال بهما ، و الاهتمام بشأنهما كالغريب الذى لا يؤويه احد (فالكتاب و أهله فى ذلك الزمان فى الناس) بهيا كلهما و جسومهما (و ليسا فيهم) بارواحهما ، لعدم الالفة بين الناس و بين

وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَىٰ، وَإِنِ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ ،

الكتاب و أهله (ومعهم) جسما و هيكلا (و ليسا معهم) روحا وعملا (لأن الضلالة) التى بأيدى النّاس (لا توافق الهدى) الذى يدعو اليه الكتاب و أهله (و ان اجتمعا) بأجسامهما فى محل واحد ـ و هذا علة لقوله عليه السلام : ليسا فيهم ، و ليسا معهم ـ (فاجتمع القوم) اى الناس المناوئون للكتاب و أهله (على الفرقة) أى التفرق ، كما هو الطابع العام لأهل الشام و من اليها فى زمن الأمويين ، و معنى الفرقة : الابتعاد عن الكتاب و أهله (و افترقوا على الجماعة) العاملة بالكتاب .

(كأنهم) فى اتخاذ آرائهم ، و تأويل الكتاب على طبق أهوائهم (أئمة الكتاب و ليس الكتاب امامهم) اذ لو كان الكتاب امامهم ، اتبعوه .

(فلم يبق عندهم منه) أى من الكتاب (الآ اسمه) اذ لا عمل به حتّى تبقى روحه لديهم (و لا يعرفون الاّ خطّه و زبره) أى كتبه يقال زبره بمعنى كتبه والمعنى انهم لا يعرفون مقاصده العالية و احكامه السامية (ومن قبل) فى ازمنة بنى اسرائيل و نحوها (ما) زائدة للتزيين (مثلوا بالصالحين كل مثلة) أى كل انواع المثلة ، و المثلة عبارة عن التنكيل و العقاب ، الذى يسبب ان يجعل ذلك مثلا عند الناس لفضاعته ، كأن تصلم الاذن ، او تفقاء العين ، أو يجدع الأنف ، و نحو ذلك ، و هذه الجملة لبيان ان تمثيل بنى امية بأهل الكتاب ليس شيئا جديدا ، فعادة الجبابرة ـ فى كل زمان ـ التنكيل بالصالحين ،أو

وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ،

المراد ان بنى امية فى زمان كفرهم فعلوا أمثال هذه الأعمال، كما فعلت هند بحمزة عليه السلام، فليس عملهم شيئا جديدا بالنسبة اليهم.

(وسموا صدقهم) أى صدق الصالحين (على الله) حيث كانوا يصدقون باحكام الله سبحانه (فرية) اى افتراءا كما كان ابو سفيان ينسب كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الافتراء ((وقالوا افك افتراه)) و ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها)).

(وجعلوا فى الحسنة عقوبة السّيئة) فالحسنة التى هى الاسلام والتوحيد، كان لدى بنى امية — قبل اظهارهم للاسلام — كانت لها عقوبة السيئة، فكانوا ينكلون بالمسلمين ويعاقبونهم — وهذا ان كان المراد بالجمل السابقة بنى امية، وانكان المراد الأمم السابقة، فالمصداق غير بنى امية وانما عتاة الأمم البائدة، وعلى أى حال ففى هذه الجمل بيان حال الجبابرة والعتاة فى كل زمان.

ثم توجه الامام عليه السلام الى نصح الناس بقوله: (وانما هلك من كان قبلكم) من الأمم (بطول آمالهم) جمع أمل، وهو أن يرجوا المرء ان يفعل فى المستقبل أشياء مرتبطة بالدنيا (وتغيب آجالهم) أى انه غاب عن أنظارهم أجلهم، فلم يتأهبوا للآخرة ولم يعجلوا بالصالحات، ومعنى هلاك الأمم اما نزول العقوبة عليهم، او ذهاب كيانهم كما ذهب كيان الرومانيين، و كيان بنى اسرائيل، وهكذا.

(حتّى نزل بهم الموعود) وهو الموت (الذى ترد عنه المعذرة) اى لا

وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ « لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » ؛ فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ ؛ وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ،

يقبل فيه عذر ، بأن يعتذر الانسان عن الموت ، فيرجع الموت ، ولا يأخذ من جاء لأجله .

(وترفع عنه التوبة) اى لا تفيد التوبة بعده اذا جاء (وتحل) اى تنزل (معه) اى مع الموت (القارعة) اى الداهية المهلكة ، كأنها تقرع الانسان وتدقه (والنقمة) اى العقاب .

(ايها الناس انه من استنصح الله) له ، بمعنى اتخذ الله ناصحا له ، باتباع أوامره ، وانتهاج مناهجه (وفق) لكل خير وسعادة (ومن اتخذ قوله) أى قول الله تعالى (دليلا) يدله على مواضع الخير (هدى) الى صراط مستقيم (للتى هى أقوم) اى للطريقة التى هى اقوم واحسن الطرق ،كما قال سبحانه : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)) .

(فان جار الله) اى الذى اتخذ أحكامه — كان جار فى ظل جاره — (آمن) عن المكاره ، وما نزل عليه منها فانما هو موجب للعوض والأجوة ، فلا منفعة تفوت من يده بلا بدل — كما يقال : الذى آمن نفسه فى ((شركة التأمين)) أمن .

(وعدوه خائف) ان عاش كان فى ضيق ، وان مات فالى النار (وانه لا ينبغى لمن عرف عظمة الله ان يتعظم) اذ الانسان يعرف الأشياء بأضدادها ، فمعرفة عظمة الله ملازمة لمعرفة حقارة النفس ، فلا ينبغى بعد ذلك التعاظم .

فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ، وَٱلْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.

(فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته) سبحانه (ان يتواضعوا له) ففي تواضعهم رفعة لهم ، اذ التواضع يدل على الفهم ، و تقدير الأشياء حق قدرها و كلا الأمرين موجب للرفعة ٠

(و سلامة الذين يعلمون ما قدرته) اى سلامتهم عن العقوبة (ان يستسلموا له) بالانقياد ، و اطاعته الأوامر (فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح) اى مثل نفار الصحيح من الحيوان (من الأجرب) الذى اصيب بداء الجرب ـ وهو داء خبيث يوجب العدوى ، و لذا يفر الصحيح منه خوفا ـ (و البارى) اى الانسان الصحيح البرى من المرض (من) الانسان ٠ (ذى السقم) اى المريض ٠

(و اعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه) فان الانسان لا يدرك حسن الأشياء ، الا اذا رأى قبح اضدادها ، و لذا قالوا تعرف الاشياء بأضدادها ٠

(و لن تأخذوا بميثاق الكتاب) أى بأحكامه المحكمة التى هى بمنزلة المواثيق والعهود بين الله و بين خلقه (حتى تعرفوا الذى نقضه) فان قبح الناقض يوجب ترفع الانسان عن ان يماثله ، و ذلك موجب للأخذ بالكتاب (و لن تمسكوا) أصله ((تتمسكون)) (به) أى بالكتاب و التمسك قوة الأخذ و العمل بأحكامه (حتى تعرفوا الذى نبذه) اى طرح العمل به ، و العلة لذلك

فَالْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

كما ذكرنا فى الجمل السابقة (فالتمسوا) أى أطلبوا (ذلك) العمل بالكتاب، والمراد العلم بقاصد الكتاب (من عند أهله) وهم الأئمة والعلماء الربانيرن (فانهم عيش العلم) بهم يعيش العلم ، ويبقى فى الحياة .

(وموت الجهل) اى انعدامه ونفيه ، فان العلماء هم الذين يميتون الجهل وينيرون الناس بالعلم (هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) فان الانسان اذا حكم فى قضية ، عرف من حكمه انه عالم او ليس بعالم (وصمتهم عن منطقهم) فان العالم صموت ، والجاهل ثرثار ، فصمت الانسان دليل علمه .

(وظاهرهم عن باطنهم) فان الظاهر عنوان الباطن ، فاذا كان الظاهر حسنا ، دل على قلب حسن ملئ بالغضيلة والتقوى .

(لا يخالفون الدين) بترك أوامره ، والاتيان بنواهيه (ولا يختلفون فيه) بأن يكون لكل واحد اتجاه يخالف اتجاه الآخر ، فان اتجاه اهل الدين واحد (فهو) اى القرآن (بينهم شاهد صادق) يشهد بحسن اعمالهم ، لمطابقة أعمالهم له (وصامت ناطق) فانه لا يتكلم ، لكنه يعلّم ويبين ويرشد.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ إِلَىٰ ٱللهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ!

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فى ذكر اهل البصرة)

و هم الذين اجتمعوا لمحاربة الامام فى وقعة الجمل و على رأسهم طلحة والزبير وعائشة .

(كل واحد منهما) أى من طلحة و الزبير (يرجو الأمر) أى أمر الخلافة (له) فمحاربتهما ليست لأجل الدين و انما لأجل الدنيا (ويعطفه عليه) أى يحيل الأمر الى نفسه (دون صاحبه) وصديقه ، فهو مخالف فى قلبه حتى مع صاحبه .

(لا يمتان الى الله بحبل) اى لا يتصلان اليه سبحانه بحبل الدين و الايمان (ولا يمدان اليه) تعالى (بسبب) فلا سبب بينهما و بينه تعالى ، من أسباب الايمان (كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه) الضب حيوان معروف ، والعرب تضرب المثل به فى الحقد أى ان كل واحد من طلحة والزبير يحقد صاحبه و يحسده ، و انما جمعهما المصلحة المشتركة ، فى قبال الخلافة (وعمّا قليل يكشف قناعه) اى قناع كل واحد منهما (به) اى بسبب الحقد

وَاللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَىٰ هٰذَا قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ .

الذى يطوى عليه لصاحبه ، كما قال الشاعر :

و مهما يكن عند امرء من خليقــة و ان خالها تخفى على الناس تعلن

و قد ظهر صدق مقالة الامام عليه السلام فانهما اختلفا فيمن يصلى بالناس ، و أراد كل واحد منهما أن يكون هو الامام حتى خافت عائشة تفكك الجيش فأصلحت بينهما بأن يصلى محمد بن طلحة فى يوم ويصلى عبد الله بن الزبير فى يوم ، وادعى عبد الله بن الزبير ان عثمان نص عليهما بالخلافة يوم الدار ، لكن منجنيق حجاج كانت أقوى من نصر عثمان ، وطلب كل واحد من طلحة و الزبير ان يسلم الناس عليه بامرة المؤمنين ، وطلب كلّ واحد منهما تولى القتال ، الى غير ذلك من المهاذل ·

(و الله لئن أصابوا الذى يريدون) من انتزاع الأمر من يدى و الاستبداد به (لينتزعنّ هذا ·) أى احدهما (نفس هذا) اى الآخر (وليأتين هـذا) احدهما بالقتل (على هذا) اى الآخر ، اى لقامت الحرب بينهما حتى ان كل واحد منهما يريد قتل الآخر و الاستراحة منه ·

(قد قامت الفئة الباغية) التى تبغى و تظلم ، و تهدم الاسلام (فأين المحتسبون) اى الذين يجاهدون حسبة لله ، اى فى حسابه و قربة اليه ·

(فقد سنت لهم) اى للمحتسبين الذين يريدون ثواب الله سبحانه (السنن) اى دلّوا على الخير (وقدم لهم الخبر) فعلموا من على الحق ومن على الباطل ، فان الرسول صلى الله عليه وآله و سلم اخبر بكل ذلك قبل الوقوع،

وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا على : حربك حربى . وقال : على مع الحق والحق مع على . وقال : لعن الله من اذانى فى علىّ . الى غير ذلك .

(ولكل ضلّة) اى ضلال (علّة) هذا بيان لعلة ضلال هؤلاء ، وهى طلب الخلافة (ولكل ناكث) ينكث البيعة ويخون العهد (شبهة) ما يسبب له اشتباه الحق بالباطل - عن عمد او جهل - كما كانت شبهة هؤلاء دم عثمان .

(والله لا أكون كمستمع اللدم) هو ضرب الانسان على صدره ووجهه عند المصيبة (يسمع) مستمع اللدم (الناعى) الذى يخبر بموت شخص (ويحضر الباكى) اى يراه .

(ثم لا يعتبر) والمعنى انه عليه السلام لا يتغافل عن هؤلاء ، بعد ما عرف نواياهم ، وظهرت له آثار نكثهم ، فلا يكون كمن يرى موضع الخطر ، فيرى ان الناعى نعى من وقع عليه الخطر ، والباكى بكاه ، ثم لا يتجنب ذلك الموضع ، حتى يقع الخطر عليه ويموت كما مات من قبله .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ ٱمْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ .وَٱلْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ. وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ ٱلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قبل موته

والسيد ((ره)) أراد بذلك ، انه صدر منه عليه السلام بعد ما ظهر أثر الموت عليه ٠

(أيها النّاس كل امرئ لاق) اى يلقى (ما يفرّ منه) أى الموت (في فراره) فان الانسان بمواظبته على صحة جسده و وقايته عن الآفات كالفار عن الموت ، لكن الفرار ليس ظاهريا ، بل عمليا وقائيا ٠

(والأجل مساق النفس) اى ان الأجل يسوق الانسان حتى يوصله الى ساعته المقررة فيموت فيها (والهرب منه) اى من الموت (موافاته)أى يوجب الوصول اليه ، اذ الهرب يحتاج الى الزمان ، وكلما أنقض زمان اقترب الانسان بمقدار ذلك الزمان الى الموت ٠

(كم اطردت الأيام) أسناد الاطراد الى الأيام مجاز ، والأصل اطردت ما أريد فى الأيام ، نحو صائم النهار ، واطراد الشئ جعله طريدا لاقتناصه و التحصيل عليه ٠

(أبحثها) أى أبحث فى الأيام و أطلب (عن مكنون هذا الأمر) أى وقت

فَأَبَى ٱللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ! أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ. وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا. حُمِّلَ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ،

الموت ، وكأنّ الامام عليه السلام اطال التفكير فى ايام عديدة ، لتحصيل قاعدة يعرف منها وقت موت كل انسان ، كما تعرف النتائج من مقدماتها ، و كما تعرف الأمراض عن علائمها .

(فأبى الله الا اخفاءه) وهذه الجمل كناية عن عدم الفائدة فى اتعاب النفس لمعرفة وقت الموت فقد شاء الله أن لا يكون للموت علامة — يعرف بها وقت الموت بحيث يعرف كل انسان اى وقت يموت — وهذا فى الحقيقة من عجيب ، فانه اشغل بال الحكماء ، لكن احدا لم يقدر على الاستخراج .

(هيهات) لا يعلم أحد فانه (علم مخزون) قد خزن فى الغيب الذى لا يعلمه الا الله سبحانه ، ولمن شاء سبحانه ان يعلّمه .

(اما وصيّتى : فالله لا تشركوا به شيئا) أى لا تجعلوا شيئا شريكا له (و محمدا صلى الله عليه و آله فلا تضيعوا سنته) اى طريقته التى هى احكامه وما جاءه من عند ربّه .

(أقيموا هذين العمودين) اى التوحيد و النّبوّة (و أوقدوا هذين المصباحين) أى أبقوا لهما ضوئهما و المراد الاستنارة الدائمة منهما .

(وخلاكم ذم ما لم تشردوا) اى ليس عليكم ذم ما لم تفروا من هذين الأمرين (حمل كل امرئ منكم مجهوده) اى ليحمل كل انسان ما يقدر عليه من العمل ، وهذا تحريض على العمل بمنتهى الطاقة .

وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ أَنَا بِٱلْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَداً مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ ٱللّٰهُ لِي وَلَكُمْ ! إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدْحَضِ ٱلْقَدَمُ إِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ ،

(وخفف عن الجهلة) أي ليخفّف كل انسان احكامه على الجهّال ، كأهل البوادى و من أشبه ، و هذا اشارة الى انه لا يحقّ لانسان عالم عامل ان ينظر بالازدراء الى الجهّال ، لأنهم لا يعلمون كما يعلم ، و لا يعملون كما يعمل — كما هى العادة عند العاملين غالبا — .

(أنا بالأمس) فى حال صحّتى (صاحبكم) الذى صحبكم و كان منكم (وأنا اليوم عبرة لكم) تعتبرون بى كيف ان الانسان يفارق الحياة ، و لا يقدر — فى مقابل قضاء الله — على شئ (وغدا مفارقكم) بالموت و الذهاب الى الآخرة (غفر الله لى) باعطاء الدّرجات الرّفيعة (و لكم) بمحو الخطايا (ان تثبت الوطأة) أى الثقل ، اى ان بقيت حيّا فى دار الدنيا (فى هذه المزلة) أى محلّ ذلّة الحياة ، حيث ضرب عليه السلام .

(فذاك) ما يرجوه أهله عليه السلام و النّاس (و ان تدحض القدم) أى تزل و تزلق ، و هذا كناية عن موته عليه السلام (ف) ليس قولى بعجيب ، اذ الانسان فى دار الدّنيا عارية ، كالّذى فى ظل شجرة او ظل غمام ، فانه يذهب الظل عنه .

(انما كنّا فى أفياء) جمع فئ ، و هو الظّل (أغصان) جمع غصن (و مهابّ رياح) جمع مهب و هو محل هبوبها ، فانّ الرّياح لا تلبث ان تسكن فلا يتمتع الانسان بها .

وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ ، اُضْمَحَلَّ فِي ٱلْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا، وَعَفَا فِي ٱلأَرْضِ مَخَطُّهَا وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً ، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاَءً : سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ . لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي ، وَخُفُوتُ إِطْرَافِي ، وَسُكُونُ أَطْرَافِي ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ ٱلْمَنْطِقِ ٱلْبَلِيغِ

(وتحت ظلّ غمام) أى السّحاب (اضمحلّ فى الجوّ) أى انعدم فى الفضاء (متلفّقها) أى المنضم بعضه الى بعض ، والضمير للغمام ـ و انما انث باعتبار الجنس ـ .

(وعفا فى الأرض مخطّها) أى المكان الّذى تخطّ الرّياح فى الأرض ، فانّ آثار الرّياح تذهب سريعا و ((عفى)) بمعنى ((انعدم)) .

(وانّما كنت) بينكم (جارا جاوركم بدنى أياما) وكان التّخصيص بالبدن لبقاء روحه عليه السّلام فى النّاس الى الأبد .

(وستعقبون منّى جثّة خلاء) أى ستبقى بدنى ، خاليا عن الرّوح (ساكنة بعد حراك) أى بعد تحرّك (وصامتة بعد نطق) أى ساكتة ، وهذا وصف للشئ باعتبار جزءه .

(ليعظكم هدوّى) أى سكونى (وخفوت أطرافى) من خفت بمعنى السّكون و الاطراف جمع طرف بمعنى الاعين (و سكون أطرافى) جمع طرف بمعنى الأعضاء (فانّه) الهدوّ و السّكون .

(أوعظ للمعتبرين) أى الّذين يريدون الاعتبار ، فانّ الانسان اذا رأى الميّت تذكّر فناء الدّنيا ، وكان ذلك أكثر تأثيرا فى قلبه من الموعظة (من المنطق البليغ) الّذى يبلغ المتكلم مراده من الوعظ .

وَٱلْقَوْلِ ٱلْمَسْمُوعِ . دَاعِيكُمْ وَدَاعُ ٱمْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

(والقول المسموع) الّذى يسمعه المستمع (و داعيكم) أى أنا أودّعكم ــ والأصل وداعى لكم ــ .

(وداع امرئ مرصد) أى منتظر (للتّلاقى) فى الآخرة (غدا ترون أيامى) فى الآخرة تكون أيامى عامرة بالسّيادة و العزّة لا كأيام الدّنيا الّتى كانت علىّ .

(ويكشف لكم عن سرائرى) فانّ السّرائر فى الدّنيا مخفية لا يعلم حسنها من سيّئها ، فاذا صارت القيامة وظهرت السّرائر ، كما قال سبحانه : ((يوم تبلى السّرائر)) يظهر نقاء سريرة الامام و كدورة سرائر أعدائه .

(و تعرفوننى) فى الدّنيا (بعد خلو مكانى وقيام غيرى مقامى) فانّ الامام كان عطوفا رؤفا يعدل و يقسم المال بالسّوية ، واذا قام غيره مقامه ، أظهر كلّ فساد وظلم و تعد ، وقد كان كما قال الامام عليه السّلام حين استولى معاوية وأخذ يجور فى النّاس جورا لم ير مثله ، وكذلك اجلاف امية ، وبنى العبّاس .

وَمِن خُطبَة له عليه السّلام

في الملاحم و في وصف اهل الضلال

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً طَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ. فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ

وَمِن خُطبَة له عليه السّلام

(في الملاحم) و في وصف أهل الضّلال

(وأخذوا) أى النّاس (يمينا و شمالا) أى فى طرق الضّلال ، فانّ جادّة الهدى ، هى الوسط ، و أطرافها ضلال و هلاك (طعنا) أى ولوجا (فى مسالك الغىّ) أى الضّلال (و تركا لمذاهب الرّشد) أى طرقه ، فان مذاهب جمع مذهب ،وهو الطريق ، و الاتيان باللّفظ جمعا ، باعتبار انّ كلّ واحد من النّبى و الإمام و العالم طريق الى اللّه سبحانه و انكان الجميع حاكيا عن أمر واحد .

(فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد) لقد كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامام عليه السّلام أخبرا بأمور مستقبلة ، فكانّ النّاس يستعجلون فى صيروورتها، فنهاهم الامام عن ذلك ، لأن الاستعجال لا يفيد الا قلق المستعجل ، و معنى ((مرصد)) : ((مراقب)) ينتظره الانسان (و لا تستبطئوا ما يجئ به الغد) أى لا تعدوه بطيئا .

(فكم من مستعجل بما) أى لشئ (ان أدركه ودّ أنه لم يدركه) لما

وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ! يَا قَوْمِ ، هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ ، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ. أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَىٰ مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً ، وَيُعْتِقَ رِقّاً ،

يصاحبه من الفتن و الابتلاء (و ما أقرب اليوم من تباشير غد) تباشير الشئ أوله ، و المعنى انّ الغد قريب حتّى انّ الانسان ــ و هو فى يومه هذا ــ قريب من طلائع الغد ٠

(يا قوم هذا) الوقت (أبان) أى قرب وقت (ورود كلّ موعود) من مواعيد الرّسول و الامام حول تسلّط الأمويين ، كما رأى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المنام انّهم ينزون على منبره نزو القردة و غير ذلك من الاخبارات المستقبلة (و دنو) أى قرب (من طلعة ما لا تعرفون) يقال طلع الشّئ اذا ظهر بعد اختفائه (ألا و من أدركها) أى الموعودات (منّا) أى من أئمّة أهل البيت عليهم السّلام ٠

(يسرى فيها بسراج منير) فانّ تلك الفتن الموعودة لا تؤثر فيهم انحرافا ، (و يحذو فيها) أى يتبع (على مثال الصّالحين) من الأنبياء و المرسلين ، و هذا تحريض للنّاس على أتباعهم عليه السّلام فى الفتن ، و انّما يرى الامام بسراج منير (ليحلّ فيها) أى فى تلك الفتن (ربقا) جمع ربقة ، و هى الحبل الّذى فيه عدّة عرى لربط البهائم ، أى يريد الامام حلّ رقاب النّاس من الهلكة ٠

(و يعتق رقا) أى عبوديّتهم ، فكأنّ النّاس فى الفتن عبيد شهواتهم و عبيد الظّالمين ، و الأئمة يعتقونهم من العبوديتين ٠

وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ. تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ،

(ويصدع شعبا) الشعب التفرق ، والصدع الجمع (ويشعب) أى يفرق (صدعا) أى جمعا فى معسكر الضّلال ، وانّهم يبصرون الطّريق ويهدون النّاس الى السّبيل .

(فى سترة عن النّاس) أى فى حالكونهم متسترين عن الناس ، او فى حال سترة للحق عن الناس بحيث لا يرونه ، حتّى انه (لا يبصر القائف) وهو الّذى يعرف الآثار ويستدلّ بها على الأمور (أثره) أى أثر نفسه ، وهذا بيان لشدّة الظّلام وتراكم الباطل على الحق (ولو تابع) القائف (نظره) بأن نظر مرّة بعد مرّة ليرى أثره (ثمّ) لترتيب الكلام لا لترتيب المطلب فان ((ثم)) يأتى للأمرين .

(ليشحذنّ) من شحذ السكين ونحوها بمعنى حدّدها (فيها) أى فى تلك الفتن (قوم شحذ القين) أى الحداد (النّصل) أى هى حديدة السّيف والسّكين ونحوهما ، والمراد : انّ فى تلك الفتن تتقوى أذهان جماعة من النّاس فتصير مستعدّة لدرك العلوم والمعارف وفهم الحقائق ، كما هى العادة فى الفتن ، فانّها ـ حيث كانت محل تقلب الآراء وتبدّل السّماة والعلاماة ـ توجب شحذ أذهان جماعة من النّاس (تجلى بالتّنزيل) أى القرآن (أبصارهم) فانّهم حيث يرون الفتن يرجعون الى القرآن ليجدوا حلا لها فينكشف لديهم أسرار القرآن .

(ويرمى بالتفسير فى مسامعهم) حيث يسألون عن تفسير الآيات ، فتفسر

وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ !

في اهل الضلال

منها : وَطَالَ ٱلْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا ٱلْغِيَرَ ، حَتَّىٰ إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَىٰ ٱلْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ ،

لهم كأنه القاء في المسامع (و يغبقون) أي يسقون (كأس الحكمة) أي تفهّم الأشياء و ادراك الأمور (بعد الصّبوح) أي بعد ما شربوها بالصّباح ، و هذا كناية عن دوام تعلّمهم الأمور في كلّ صباح و مساء .

(منها :) في أهل الضّلال (وطال الأمد) أي المدّة (بهم) حيث لم يروا جزاء أعمالهم فاوغلوا في المعاصي (ليستكملوا الخزي) أي يكملو سخط الله سبحانه بهم (و يستوجبوا الغير) أي احداث الدّهر و نوائبه ، فانّ الانسان انّما يستوجب تغيّر النّعمة عنه اذا تمادى في الطّغيان و الظّلم ، كما قال سبحانه : ((وما كان الله مغيّرا نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم)) .

(حتّى اذا اخلولق) أي استوى (الأجل) يقال : اخلولق السّحاب اذا استوى و صار خليقا أن يمطر ، و المعنى قرب أجلهم (و استراح قوم الى الفتن) بمعنى انهم اعتزلوها و تركوا الفتنة تأخذ مجراها بدون أن يقوموا بتغيّرها .

(و أشالوا) أي رفعوا أنفسهم (عن لقاح حربهم) أي عن تهييج المحاربة مع أهل الفتنة ، فانّ الفتنة اذا دخلها جماعة هاجت ، فكانت كالنّاقة اذا لقحت للحمل .

لَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ ؛ حَتَّىٰ إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ ؛حَتَّىٰ إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ ٱلْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ ، وَٱتَّكَلُوا عَلَىٰ ٱلْوَلَائِجِ ،

(لم يمنّوا على الله بالصّبر) جواب ((اذا)) أى انّ هؤلاء المؤمنين اذا أحدثت تلك الحوادث قاموا فى وجه الباطل صابرين لما يلقون من الأذى فى سبيل الجهاد ، و اعلاء كلمة الحق ، بدون أن يمنّوا على الله فى صبرهم لأجله سبحانه (و لم يستعظموا بذل أنفسهم فى الحقّ) فلا يعدون أنفسهم عظيمـا حتّى يرون أن بذلّها شئ مهم (حتّى اذا وافق وارد القضاء) أى القضاء الآلهى الوارد فى وجوب الجهاد (انقطاع مدّة البلاء) بأن جاء القضاء بالجهاد و انقطعت مدّة البلاء (حملوا بصائرهم على أسيافهم) فانّهم يظهرون عقيدتهم داعين اليها بالأسياف ، فكأنهم جعلوا البصائر ــ جمع بصيرة بمعنى العقيدة الصّحيحة ــ على السّيف ، يدعون الى البصيرة ، و الاّ فالسّيف ٠

(و دانوا لربّهم بأمر واعظهم) الّذى هو الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم ــ و حيث انّ الجمل السّابقة كانت فى أحوال الجاهليّة ، كما يظهر من سياق الكلام ــ قال عليه السّلام : (حتّى اذا قبض الله رسوله) محمّدا (صلّى الله عليه و آله ، رجع قوم على الأعقاب) جمع عقب : و هى مؤخرة الرّجل ، بمعنى ارتدّوا الى الجاهليّة كما كانوا سابقا ، و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس (و غالتهم) أى هلكتهم (السّبل) المتفرّقة الّتى سلكوها عوض سلوك سبيل الحق ٠

(و اتّكلوا) أى اعتمدوا فى أخذ الدّين (على الولائج) جمع وليجة ، أى

وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ،وَهَجَرُوا السَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرَٱللهُ بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ، عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ :

دخائل المكر و الخداع الّتي يدخل فيها الانسان للمؤامرة على الحق (و وصلوا غير الرحم) أى غير رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،حيث نحتوا لانفسهم الخليفة (و هجروا السّبب) المتّصل باللّه سبحانه ــ يعنى نفسه الشّريفـــة ــ (الّذى أمر اللّه بمودّته) كما قال سبحانه : ((قل لا أسألكم عليه أجـرا إلاّ المودّة فى القربى)) .

(و نقلوا البناء عن رصّ أساسه) أى عن سمت أساسه ،كناية عن تزحزح الأمر من علىّ عليه السّلام الّذى هو أساس الإسلام ، الى أبى بكر (فبنوه) أى البناء ــ و هو كناية عن الخلافة ــ (فى غير موضعه) الّذى هم آل البيت عليهـــم السّلام .

(معادن كلّ خطيئة) بيان لـ ((غير موضعه)) (و أبواب كلّ ضارب فى غمرة) الغمرة : الشدّة و الضّارب فى الغمرة ، كناية عن المشيرين للفتن ، و الخلفاء كانوا أبواب أولئك ، إذ بسببهم تمكّنوا من ايجاد الفتن ، كخالد بن الوليد ، و مروان ، و ابن أبى سرح ، و من اليهم (قد ماروا) أى تحرّكوا و اضطربوا (فى الحيرة) أى فى ما يوجب التّحيّر وعدم فهم حلّ المشاكل (و ذهلوا فى السّكرة) فهم كالسّكران الّذى لا يعلم من يختار و ما يعمل (على سنّة من آل فرعون) فان فرعون على فى الأرض وجعل اهلها شيعا ،يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابنائهم و يستحيى نسائهم وقد فعل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة مثل ذلك

مِن مُنْقَطِـعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحذر من الفتن

وَأَحْمَدُ ٱللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

و هكذا قضايا أخر مذكورة فى كتب السّير ، تشبه أعمال فرعون و آله (من منقطع الى الدّنيا راكن) اليها (أو مفارق للدّين مباين) له ٠

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

و فيها تحذير من الفتن

(و أحمد الله و أستعينه على مداحر الشّيطان) الدّحر بمعنى الطّرد ، و مداحر جمع مد حر ـ مصدر ميمى ـ بمعنى الأمر الّذى به يدحر الشّيطان،يعنى استعين الله سبحانه على أن يوفّقنى لطرد الشّيطان ٠

(ومزاجره) جمع مزجر : بمعنى الزّجر ، أى على أن يوفّقنى لزجرالشيطان (و) على (الاعتصام من حبائله و مخاتله) أى أن يحفظنى سبحانه لئلاّ أقع فى حبائله ، و هى جمع حباله ، بمعنى شرك الصّياد ، و المخاتل جمع مختل ، بمعنى المحل الّذى يختل و يختفى فيه الشّيطان ليكمن لأجل اصطياد الفريسة ٠

(و أشهد أن لا اله إلاّ الله ، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله) ذكر فى ما سبق أن ذكر ((عبده)) لعلّه فى مقابل النّصارى ، الّذين يزعمون انّ المسيح

وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُوَازَىٰ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ ؛ وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ ؛ يَحْيَوْنَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ عَلَىٰ كُفْرَةٍ !

٣٦٦ .... توضيح نهج البلاغة

وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُوَازَىٰ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ ؛ وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ ؛ يَحْيَوْنَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ عَلَىٰ كُفْرَةٍ !

(بعد الضّلالة المظلمة) الّتى كانت شاملة للنّاس فى زمن الجاهليّة (و) بعد (الجهالة الغالبة) على النّاس حتّى انّهم لم يكونوا يعرفون طريق الرّفاه و السّعادة و الخير (و الجفوة) يجفو و يظلم بعضهم بعضا (الجافية) وصف للتأكيد مثل ((ليلة ليلاء)) ٠

(و النّاس) فى ذلك الزّمان (يستحلّون الحريم) أى المحرم المحظور من الأشياء (و يستذلّون الحكيم) فانّ الجاهل لا يعرف قدر العالم العارف بالأشياء و لذا لا يقدّره ، بل يستذلّه (يحيون على فترة) أى خلو من الشّرائع السّماويّة (و يموتون على كفرة) أى على هيئة الكفر و الانكار للّه سبحانه ٠

(ثم) حذر الامام عليه السلام المسلمين بان لا يعملوا ما يستحقوا بذلك رجوع حالات الجاهليّة ، بقوله : (انكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت) أى

فَٱتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ ،وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ ، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَؤُولُ إِلَىٰ فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ . شِبَابُهَا

انّ البلايا تقصدكم ، كما يرمى الغرض بالسّهم ٠

(فاتّقوا سكرات النّعمة) فانّ الانسان اذا رأى نفسه منعما أخذته الغفلة — الّتى هى كالسّكرة — فيعمل بما يوجب سخط الله سبحانه ، الموجب لزوال نعمته ٠

(واحذروا بوائق النّقمة) بوائق جمع بائقة ، وهى الدّاهية الواردة و النّقمة ضدّ النّعمة (و تثبتوا) أى تروّوا و لا تعملوا شيئا بدون تدبّر و تبصّر (فى قتام العشوة) القتام : الغبار ، و العشوة أن يركب الانسان الأمر بلا بصيرة ، يعنى فى حالات الفتن و الاضطرابات لا تركبوا الأمور بدون تثبّت و تفحّص لئلاّ تضلّوا و تشقوا ٠

(واعوجاج الفتنة) فانّ الفتنة لها طرق ملتوية معوّجة ، بخلاف الحالات العادية الّتى لها طرق واضحة ، و سبل معلومة (عند طلوع) أى ظهور (جنينها) أى جنين الفتنة ، فكأن الفتنة تحمل أولا ثمّ تظهر نتائجها ٠

(وظهور كمينها) من يكمن و يختفى ليظهر و يلقى الفتنة على غيرة و فجئة (و انتصاب قطبها) و هو الّذى تدور عليه الفتنة من المنافقين و الكفّار (و مدار رحاها) أى دوران رحى الفتنة ٠

(تبدأ) الفتنة (فى مدارج خفيّة) جمع مدرج : وهو محل الدرج و الحركة ، أى انّ الفتنة تبدء فى اختفاء (و تؤول) أى تنتهى (الى فظاعة جليّة) أى الى شناعة واضحة غير مخفيّة (شبابها) أى شباب الفتنة ، و المراد

كشَبَابِ ٱلْغُلَامِ ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ ، تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَىٰ جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ. وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ ،

أولها حين قوّتها (كشباب الغلام) الّذى له نشاط متزايد ، و سرعة فى النّمو و الحركة ٠

(و آثارها كآثار السّلام) الحجارة الصّم واحدها سلمة ، أى انّ لها فى الأبدان كأثر الحجارة من الرّضى و الجرح و الكسر (تتوارثها) أى تلك الفتنة (الظّلمة) جمع ظالم (بالعهود) يعهد بعضهم الى بعض ، كما عهد معاوية الى يزيد و هكذا ٠

(أولهم) أى أول الّذين يثيرون الفتنة (قائد لآخرهم) فهو بما وضع من الخطط و الأساليب كالقائد للآخر الّذى يتبع مناهجه ٠

(و آخرهم مقتد بأولهم) حيث يتّبع خطواته الفاسدة ، بدون أن يتبصّر هو بالأمر ، و يأخذ بما يوجب السّعادة و الخير ٠

(يتنافسون) أى يتغالبون و يتحاسدون (فى دنيا دنّية) وضيعة لا قيمة لها (و يتكالبون) كما يتهارش الكلاب (على جيفة مريحة) أى منتنة ، فانّ الدّنيا كالجيفة و آكلها كالكلاب — الآ اذا كانت فى طاعة اللّه سبحانه — ٠

(وعن قليل) أى بعد قليل — حين الموت و مشاهدة الآثار أعمال الآخرة — (يتبرأ التّابع من المتبوع) لأنه صار سببا لهلاكه (و القائد من المقود) أى المتبوع من التّابع ، كما قال سبحانه : ((اذ تبرء الّذين اتّبعوا من الّذين اتبعوا ، و رأوا العذاب ، و تقطّعت بهم الأسباب)) ٠

فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا

(فيتزايلون) أى يزول بعضهم عن بعض و يفارق أحدهم الآخر (بالبغضاء) بالعداء لا كمثل مفارقة الأحباء بعضهم لبعض .

(و يتلاعنون عند اللّقاء) أى يلعن بعضهم بعضا ، اذا جمعوا فى الآخرة ، و بعد ما أشار عليه السّلام الى فتنة بنى أمية الّتى نكب الاسلام بها أكبر نكبة ، أشار الى فتنة التّتار أو الفتنة فى زماننا هذا بعد سقوط الدّولة الاسلامية بقوله :

(ثمّ يأتى بعد ذلك طالع الفتنة) أى الفتنة الطّالعة الظّاهرة (الرّجوف) الكثيرة الرجفة و الاضطراب (و القاصمة) الكاسرة لظهر الاسلام و المسلمين (الزحوف) التى تزحف من بلاد الكفار الى بلاد الاسلام .

(فتزيغ قلوب) أى تميل من الاسلام (بعد استقامة) فانّ النّاس تبع للملوك ، و حيث انّ التتار قلبوا البلاد الى مناهج كافرة ، انحرف كثير من المسلمين فأخذوا يتعاطون المنكرات .

(و تضلّ رجال بعد سلامة) من أديانهم (و تختلف الأهواء) أى الميول و الاتّجاهات (عند هجومها) أى هجوم تلك الفتنة لبلاد الاسلام .

(و تلتبس الآراء) أى حقّها بباطلها (عند نجومها) أى ظهور تلك الفتنة .

(من أشرف لها) أى جعل ينظر الى تلك الفتنة ـ خارجا عنها ـ أو

قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَىٰ فِيهَا حَطَمَتْهُ ؛ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ ! قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ . تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ ، وَ تَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا ! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ ،

المعنى أراد دفعها (قصمته) أى كسرته (ومن سعى فيها) بأن صار جزءا لها (حطمته) أى أهلكته وابادته ــ والجملتان كناية عن شمول الفتنة لكلّ الناس من دخلها ومن لم يدخلها ــ .

(يتكادمون) أى يعض بعضهم بعضا (فيها) أى فى تلك الفتنة (تكادم الحمر) جمع حمار (فى العانة) وهى القطيع من حمر الوحش ، أى اذا كانت حمر الوحش فى جماعة من أنفسها كيف تتعاض بعضها البعض كذلك هؤلاء (قد اضطرب معقود الحبل) أى الحبل المعقود فى رقاب الاجتماع الجامع لهم على منهاج الاسلام واضطرابه كناية عن اضطراب النّاس فى الآراء و الأخلاق والأعمال والعقائد ــ كما هو المشاهد فى زماننا هذا ــ .

(وعمى وجه الأمر) فلا يعرف الحق من الباطل أو الصحيح من السقيم (تغيض) أى تغور وتنضب (فيها) أى فى تلك الفتنة (الحكمة) فلا حكمة عند النّاس ولا حكماء لهم .

(وتنطق فيها الظّلمة) جمع ظالم ، بالظّلم والعدوان (وتدق) تلك الفتنة (أهل البدو) أى أهل البادية ــ مقابل الحضر ــ (بمسحلها) هى آلة النّحت وذلك كناية عن شدّة وقعها عليهم كشدّة وقع آلة النّحت على الشئ المنحوت (وترضهم) رض الشئ دقه وهشمه (بكلكلها) أى بصدرها .

(يضيع فى غبارها الوحدان) جمع واحد : أى المتفردون ، والمراد

وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ؛ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ، وَتُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ. مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ! تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ،

الفضلاء ، فانّ للفاضل قدر فى زمن الهدوء ، امّا فى زمن الفوضى فيتقدّم الأشرار و يضيع الأفاضل .

(و يهلك فى طريقها الرّكبان) أى انّ أهل القوة الخائفين فى تلك الفتنة يهلكون ، فكيف بسائر النّاس (ترد) هذه الفتنة على النّاس (بمرّ القضاء) أى القضاء الالٓهى الذى هو مر فى اذهان الناس .

(و تحلب عبيط الدّماء) أى الغليظ من الدّم الطّرى ، وحلبها له كناية عن ايجاب تلك الفتنة اراقة الدماء ، كما يحلب الانسان اللّبن .

(و تثلم) أى تكسر و تهدم تلك الفتنة (منار الدّين) كالعلماء والمدارس الدّينيّة و ما أشبه ذلك (و تنقض عقد اليقين) أى يقين النّاس بالله و الرّسول والأصول و الفروع ، فانّها تسبّب زوال يقين النّاس ، لما تلقيه من الشّبهة و الاشكالات .

(تهرب) أى تفر (منها) أى من تلك الفتنة (الأكياس) جمع كيس و هو الحاذق العاقل (و تدبّرها) أى تهيئتها و تدير شئونها (الأرجاس) جمع رجس و هو القذر ، و المراد أشرار النّاس (مرعاد مبراق) أى لتلك الفتنة أصوات هائلة كالرّعد و كشوف عجيبة كالبرق ، تشبيه بالسّحاب الموجب للهول لرعده و برقه (كاشفة عن ساق) اشاره الى عملها المتواصل ، كالذى يريد العمل فيكشف عن ساقه لئلاّ يمانعه الثّوب .

(تقطع فيها الأرحام) لأن الفتنة توجب تفرّق النّاس ، فتقطع الرحم رحمه

وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلإِسْلَامُ ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ !

منها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ ٱلأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ ٱلإِيمَانِ ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ ، وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ ؛ وَ ٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ؛

(ويفارق عليها) أى على تلك الفتنة (الاسلام) فالنّاس يتركون الاسلام انسياقا مع تلك الفتنة (بريّها سقيم) يعنى ان الدخل فيها ولو كان برى الجسم ، لكنّه سقيم النّفس .

(وظاعنها مقيم) أى انّ من يسافر فرارا عنها تدركه الفتنة ، فهو والمقيم سواء فى اشتمال الفتنة عليهم جميعا .

(منها :) أى من تلك الخطبة ، فى وصف النّاس عندها (بين قتيل مطلول) يقال طل دمه : بمعنى هدر فلم يقتص من القاتل (وخائف مستجير) يستجير ويلوذ بالناس لرجاء النّجاة .

(يختلون) اى ان الناس يخدعون(بعقد الايمان) فالظالمون يقولون لهم انّا مؤمنون ، حتى يخدعوهم ويقضون منهم مأربهم (وبغرور الايمان) جمع يمين اى يحلفون لهم بحسن نواهم ، ليخدعوهم فيظنّون انّ حلفهم صادقة (فلاتكونوا) أيها النّاس (انصاب الفتن) جمع نصب ، وهوما يوضع ليقصد ، أى لا تكونوا من حمات الفتنة حتّى يقصدكم النّاس الّذين يريدون الفوضى والشغب (و أعلام البدع) جمع بدعة (وألزموا ما عقد عليه حبل الجماعة) وهى الكتاب و السنّة ، فانهما كالحبل المعقود فى رقاب المسلمين ، والمعنى الزموا جماعة المسلمين فى أعمالهم ، ولا تتفرقوا فى الأحزاب والأهواء (و بنيت عليه أركان الطّاعة) أى أسس الاسلام التى بنيت على تلك الأسس أركان طاعة

وَأَقْدِمُوا عَلَىٰ ٱللهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ؛ وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ ؛ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ .

الله سبحانه ٠

(و اقدموا على الله مظلومين و لا تقدموا عليه ظالمين) يعنى اذا دار الأمرين بين ان تكونوا احدهما فكونوا مظلوما لا ظالما ٠

(و اتّقوا مدارج الشّيطان) جمع مدرج ، و هو محل درجه و سيره ، و المعنى المعاصى (و مهابط العدوان) أى المحلات التى اسست على التّعدى على الناس ، كمراكز الحكومة و السلطان الظالمة ٠

(و لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام) جمع لعقه ، و هى ما تأخذه فى الملعقه (فانّكم بعين من حرم عليكم المعصية) اى انه سبحانه يراكم ، وسيجازيكم عليه (و سهّل لكم سبيل الطّاعة) حتّى لا تصعب عليكم ٠

وَمِنْ خُطبة لهُ عَليهِ السَّلام

في صفة الله سبحانه، وصفة ائمة الدين

اَلْحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ،

وَمِنْ خُطبة له عَليهِ السَّلام

في صفة الله سبحانه ، و صفة أئمّة الدّين

(الحمد لله الدّال على وجوده بخلقه) فان الخلق اثر له سبحانه ، والأثر يدل على المؤثر (و بمحدث خلقه على أزليته) اذ لو كان محدثا هو سبحانه ، لاحتاج الى محدث ، فلم يكن الها (و باشتباههم) اى مشابهة بعضهم لبعض (على ان لا شبه له) اذ الاشباه تجمعها الصفة الواحدة ، فلو كان سبحانه شبيها للخلق ، لكان واياهم ، داخلين فى صفة واحدة ، و ذلك يستلزم الامكان ، وحيث انّ الأشياء تعرف بما يقابلها ، عرف ازليته وعدم شباهته ، بحدوث الأشياء و انها يشبه بعضها بعضا ٠

(لا تستلمه المشاعر) اى لا تصل اليه سبحانه الحواس ، فلا يبصر ، ولا يلمس وهكذا ، ومشاعر جمع مشعر بمعنى محل الشعور و الادراك (ولا تحجبه السواتر) اى انه سبحانه عالم بكل شئ ، و انكان مخفيا تحت الاستار (لافتراق الصانع و المصنوع) فالمصنوع حادث ذو شبه يمكن حجبه و الصانع بالعكس من كل ذلك ٠

وَٱلْحَادِّ وَٱلْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَٱلْمَرْبُوبِ ؛ ٱلْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَٱلْخَالِقِ لَا بِمَعْنَىٰ حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَٱلْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ، وَٱلْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَٱلْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْقَهْرِ لَهَا،

(والحادّ) الّذى جعل الحدود (والمحدود) الذى جعل له الحدود (والرب والمربوب) اى الخلق الذين هم تحت تربيته سبحانه .

(الأحد بلا تأويل عدد) يعنى انه سبحانه واحد ، لكن لا بالوحدة العدديّة ، بأن يكون داخلا فى الأعداد ، حتّى يكون واحدا من جنس ما يكون له ثان وثالث وهكذا (والخالق لا بمعنى حركة و نصب) أى التعب ، فكونه خالقا ، انما هو بالارادة ، لا كما فى الانسان الذى لا يتمكن من خلق و صنع شئ الا اذا تحرك و تعب .

(والسّميع لا بأداة) أى آلة السّمع كالاذن بل يسمع سبحانه بذاته (و البصير لا بتفريق آلة) فان الأبصار فى الانسان و نحوه لا يكون الاّ بتفريق الأجفان وفتح أحدهما عن الآخر ، و ليس له سبحانه عين حتّى يكون هكذا .

(والشّاهد) أى الحاضر (لا بمماسّة) أى مسّ جسم الشّاهد لهواءخاص ومكان خاص ، حتّى يكون مقتربا من المشهودعليه ، فاللّه سبحانه منزّه عن القرب المكانى ، والمماسة الجسميّة (والبائن) أى المنفصل عن الأشياء (لا بتراخى مسافة) أى بابتعاد شئ عن شئ فى المسافة ، فانّ ذاته سبحانه مبائن للأشياء

(والظاهر) فى العالم (لا بروئية) الانسان له ، بل ظاهر بآثاره وأدلته (والباطن) اى الخفى ذاته (لا بلطافة) فان الأشياء الباطنة كالماء الذى يتسرب فى الباطن وما اشبه يحتاج الى لطف حتى يتسرب ويبطن و ليس الله سبحانه هكذا (بان من الأشياء بالقهر لها)

وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ. وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ

اى انه سبحانه منفصل عن الأشياء انفصالا قاهرالها ــ لا انفصالا محايدا ــ (والقدرة عليها) فهو قادر على التصرف فيها و التقليب لها ٠

(و بانت الأشياء منه بالخضوع له) فكلّ شئ خاضع له سبحانه مطيع لأمره (و الرّجوع اليه) فكلّ شئ يرجع فى بقائه و تقلباته ــ تكوينا ــ اليه تعالى (من وصفه) سبحانه (فقد حدّه) و المراد من وصفه بصفات الأشياء بأن بين كيفيته وخصوصيّاته ، فان ذلك مستلزم لتحديده و حصره فى جانب واحد ، و اللّه سبحانه غير متناه و لا وصف بصفات المخلوقين (و من حدّه فقد عدّه) أى جعله معدودا فى ردف سائر الموجودات فهو واحد منهم ٠

(و من عدّه فقد أبطل أزله) اذ لو كان سبحانه كالموجودات لم يكن أزليّا (و من قال : كيف) بأن بيّن كيفيّته سبحانه (فقد استوصفه) أى وصفه بماهو برى منها ، فانّ اللّه سبحانه لا كيف له ، أو المراد انّ من قال كيف ــ على سبيل الاستفهام ــ فقد طلب وصفه ٠

(و من قال أين) أى انّه تعالى فى المكان الكذائى (فقد حيّزه) أى جعل له حيّزا و مكانا خاصّا ، و اللّه لا مكان له ٠

(و) هو تعالى (عالم اذ لا معلوم) اذ علمه بالأشياء منذ الأزل (و رب) أى له صفة الربوبية ــ التى معناها التربية ــ (اذ لا مربوب) و ليس ان وجدت له صفة الرّبوبية ، و صلاحية الخلق ، بعد ان لم تكن له تلك الصلاحية (وقادر

إِذْ لَا مَقْدُورٌ

منها : قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَبِيَوْمٍ يَوْماً ؛ وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ. وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ؛

اذ لا مقدور) اذ القدرة صفة ذاتية لا انّها وجدت حين خلق المقدورات ·

(منها :) فى بيان أوصاف أئمّة الدّين ، ووصف الاسلام (قد طلع طالع) أى خرج الى الخلافة ، قالوا خطب الامام عليه السّلام بهذه الخطبة بعد مقتل عثمان ، فلعلّ المراد بالأوصاف أوصاف نفسه الشّريفة و الأئمّة من ذرّيته ، أو انها أوصاف الامام المهدى عليه السّلام (ولمع لامع) أى أشرق (ولاح) أى ظهر (لائح) وهذه الجمل تفيد المفاجات غير المترقّبة ·

(واعتدل مائل) فانّ الأمر كان مائلا فى زمن الخلفاء نحو الانهيار واعتدل فى زمن الامام عليه السّلام ·

(واستبدل الله بقوم قوما) جعل القوم الّذين على الحق فى مكان القوم الّذين كانوا على الباطل (و بيوم يوما) أى جعل يوم الحق مكان يوم الباطل (و انتظرنا الغير) أى صروف الدّهر حتّى تأتى بالحق (انتظار المجدب) أى الذى فى القحط ، من الجدب مقابل الخصب (المطر) ليخرج من البلاء الى الرّخاء ، ثم بين عليه السّلام وصف الأئمّة الّذين يليقون بأخذ الزّمام ·

(و انّما الأئمّة قوام الله) أى القائمون من طرفه سبحانه (على خلقه) ليسوقوهم الى الخير و السّعادة (وعرفاؤه على عباده) جمع عريف بمعنى النّقيب ، المطّلع على أحوال النّاس ·

لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ. إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ خَصَّكُمْ بِٱلْإِسْلَامِ ، وَٱسْتَخْصَكُمْ لَهُ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ . ٱصْطَفَى ٱللهُ تَعَالَىٰ مَنْهَجَهُ ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ . لَا تَفْنَىٰ غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ

(لا يدخل الجنّة الاّ من عرفهم وعرفوه) بأن يكون بينهما تعارف و تواصل (ولا يدخل النّار الاّ من أنكرهم و أنكروه) بأن يكون بينهما تناكر و تدابر (انّ الله تعالى خصكّم) أيها المسلمون (بالاسلام) بأن وفّقكم الاعتناقه والالتزام به (واستخصكّم له) أى طلب منكم أن تخصّصوا أنفسكم للاسلام ، بأن تعملوا من أجله ولاعلائه (وذلك) أى لماذا طلب منكم أن تخصّصوا أنفسكم للاسلام (لانه اسم سلامة) أى علامة على سلامة الدّنيا والآخرة ، فينبغى أن يخصص الانسان نفسه لأجله (وجماع كرامة) أى مجتمع الكرامات الدّنيوية و الأخروية فمن عمل به سعد فى النشأتين .

(اصطفى الله تعالى منهجه) أى اختار طريق الاسلام للنّاس (و بين حججه) أى الأدلة الدّالة على انّه أحسن الأديان و المناهج (من ظاهر علم) أى انّ ظاهر حجج الاسلام علم (وباطن حكم) فلكل حجة من حجج الاسلام حكمة و مصلحة وعمق ، و ((من)) بيان الحجج ، فانّ الحجّة قد تكون تافهة سخيفة ، وقد تكون فى ظاهرها دليلا علميّا ، ولكن كانت جدلا لا باطن حقيقى لها ، وليس كذلك حجج الاسلام (لا تفنى غرائبه) أى غرائب الاسلام فكلّما تعمق الانسان فى الاسلام ظهرت له غرائب أحكام تدلّ على انه من جعله سبحانه لا من جعل البشر .

(ولا تنقضى عجائبه) أى الأمور العجيبة المودوعة فى الاسلام (فيه) أى

مَرَابِيعُ النِّعَمِ ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَ لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ . فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي ، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي .

فى الاسلام (مرابيع النعم) جمع مرباع و هو المكان الذى ينبت فيه نبت الرّبيع ٠

(ومصابيح الظّلم) أى المصباح الذى يكشف الظلمة و يجعل مكانها نورا (لا تفتح الخيرات الأبمفاتيحه) يعنى انّ الخير لا يتوجّه نحو الانسان الآ اذا سلك الانسان السّبيل الذى جعل الله للخير و قرّره فى الاسلام ، مثلا العلم لا يحصله الانسان الآ بالتعلم من عالم ، و المال لا يحصله الانسان الآ بالكد و الاكتساب ، وهكذا سائر الشئون الدينية و الدنيوية لها مفاتيح بينت و قررت فى الاسلام فالضمير فى مفاتيحه عائد الى الاسلام ٠

(ولا تكشف الظلمات) ظلمات الجهل و الفتنة و ما أشبه (الابمصابيحه)

اى مصابيح الاسلام (قد أحمى) الله أى حفظ و رعى (حماه) الضمير للاسلام ، و الحمى هو المحل الذى يحظر استطراقه لاحترام جعل له ٠

(و أرعى مرعاه) أى هيّ الاسلام لأن يكون مرعى للعلم و الحكمة و الخير ،كما يرعى الانسان المرعى لرعى دوابه (فيه) أى فى الاسلام (شفاء المشتفى) أى من أراد الشفاء من الآثام و الشقاء (و كفاية المكتفى) أى الذى ليس حريصا ، و انما يكتفى بالخير و الوسط فى الاسلام كفاية له ، اذ بالاسلام يحصل الانسان على خير الدنيا و سعادة الآخرة ٠

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَلَيهِ السّلام

صفة الضال

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ ، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ ، بلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

منها : حَتَّىٰ إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَلَيهِ السّلام

في صفة الضّال ، ووصف الغافل ، والوعظ والارشاد

(وهو) أى الضّال الحائد عن طريق الله سبحانه (فى مهلة من الله) قد أخّر أجله لينظر عمله (يهوى) وينزل فى دركات الآثام (مع الغافلين) الذين غفلوا عن الله وأحكامه .

(ويغدو) أى يصبح (مع المذنبين) العاصين لله تعالى (بلا) أن يكون له (سبيل قاصد) أى متوسط يوصل الى المطلوب والمراد به سبيل الحق (ولا امام قائد) له الى السّعادة والخير فانّ الانسان المذنب يترك الطريق الحق ، ويترك الامام الهادى الّذى يقوده الى النجاة ، ويشتغل بالمعاصى و الآثام .

(منها) : فى صفات أهل الغفلة ، وانّهم كيف يندمون حيث لا ينفع الندم (حتى اذا كشف لهم) الله سبحانه (عن جزاء معصيتهم) وذلك بعد ان قبض أرواحهم (واستخرجهم) أى أخرجهم (من جلابيب غفلتهم) جمع

ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ. وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ. وَنَفْسِي، هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَٱنْتَفَعَ بِٱلْعِبَرِ،

جلباب ، وهو الثّوب الواسع الّذى يلبس الانسان ، فكأنهم كانوا من جلباب من الغفلة لايهتدون الى الحق حتى اذا جائهم الموت خرجوا من ذلك الجلباب.

(استقبلوا مدبرا) أى العذاب الأخروى (واستدبروا مقبلا) أى الدّنيا ومتاعها ، فقد كانوا فى الدّنيا يتوجّهون الى الدّنيا ، ويولّون الدّبر للآخرة ، فلمّا جاءهم الموت انعكس الأمر ، استقبلوا الآخرة ، وأدبروا عن الدّنيا ، و ذلك لانقضاء أيام الدّنيا ، ومجئ أيام الآخرة (فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم) يعنى انّ ماادركوه فى الدّنيا من لذائذها وشهواتها ، لم ينفعهم اذا أدبرت ولم تبق معهم .

(ولا بما قضوا من وطرهم) أى حاجتهم فانّ حوائجهم الدّنيوية التى قضيت لم تنفعهم فى الآخرة ، حيث انقطعت الدّنيا بما فيها (أنى أحذّركم) أيّها النّاس (و) أحذّر (نفسى) من (هذه المنزلة) أى أن يكون للانسان هذه المنزلة الموجبة للنّدم .

(فلينتفع امرؤ بنفسه) وذلك بالعمل الصّالح ، وهذا أمر وطلب لأن لا يضيع الانسان نفسه فى الدّنيا ، بطلب الشّهوات والغفله عن الآخرة (فانّما البصير من سمع) الوعظ والارشاد والاعتبار (فتفكّر) فى أمر نفسه و عمل لنجاتها (ونظر) الى الدّنيا وأحوالها (فأبصر) الحقيقة ولم تعمه الشّهوات (وانتفع بالعبر) الموجبة لأن يعتبر الانسان ، ويدرك حقيقة

ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي ٱلْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ،

الدّنيا و زوالها و ضرر شهواتها ، و خير تركهما فى سبيل الآخرة ٠

(ثم) بعد الاعتبار (سلك جددا) أى طريقا (واضحا) هو طريق الحقّ و الهدى ٠

(يتجنّب فيه) أى فى ذلك الجدد (الصّرعة) أى الوقوع و الهلاك (فى المهاوى) جمع مهوى ، و هو المحل المنخفض الذى يقع فيه الانسان ، وذلك كناية عن المعصية و الاثم ، فانّها توجب هوى الانسان عن مراتب الكمال الى النّقص ، ثم العقاب فى الآخرة ٠

(و) عن (الضّلال) و ان يتيه الانسان (فى المغاوى) جمع مغواة ، و هى محل الغوى و الضلال ، كما يضل الانسان الطريق فى الصحارى المجهولة

(و لا يعين على نفسه الغواة) جمع غاوى و هو الضال عن طريق الهداية ، اى لا يعينهم ـ باتباع طريقهم ـ على ضد نفسه و هلاكها (بتعسّف فى حق) ٠ بأن يتكلف الباطل و يترك طريق الحق (او تحريف فى نطق) بأن ينطق بالباطل و يحرف بكلامه ، الحق (او تخوف من صدق) بأن لا يصدق خوفا من الناس ، فان الانسان اذا عمل هذه الأعمال ، كان معينا للغوات ، فانهم يطمعون فيه و يأخذونه معهم ٠

ثم أخذ عليه السلام فى الوعظ و الارشاد (فأفق ايّها السّامع) لكلامى (من سكرتك) السكرة كناية عن الغفلة ، و الافاقة كناية عن الالتفات ٠

وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ – صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ،

(واستيقظ) أى تنبه (من غفلتك) فان الغافل كالنائم اذ كلاهما لا يدركان الواقع (واختصر من عجلتك) أى سرعتك فى طلب الدنيا ،والاختصار التأنى ليرى الصحيح من السقيم ، والنّافع من الضّار .

(وأنعم الفكر) أى تفكّر فكرا حسنا (فيما جاءك على لسان النّبى الأمى) محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنسوب الى ام القرى ، وهى مكة (مما لابدّ منه) أى فى الأحكام التى لابد للانسان من الأخذ بها ، او المراد من أمور الآخرة التى لابد وان تصل الى الانسان .

(ولا محيص) أى لا مفرّ (عنه) اذ لا يمكن الفرار من الأحكام لمن أراد السّعادة ، أو لا يمكن الفرار من أمور الآخرة فانها آتية لا محالة (وخالف من خالف ذلك) الاشارة الى ((مالابد منه)) (الى غيره) أى العصاة الذين خالفوا الأحكام وما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم خالفهم ، ولا تتبع طريقتهم .

(ودعه) أى ذر المخالف العاصى (وما رضى لنفسه) من الآثام (وضع فخرك) أى لا تفتخر فانّ الافتخار دليل صغر النّفس (واحطط كبرك) أى لا تتكبر فانّ الكبر دليل خفّة النّفس وعدم وزن لها (واذكر قبرك) فانّ ذكر القبر يوجب أن يعمل الانسان صالحا (فان عليه) أى على القبر (ممرّك) مصدر ميمى ، أى مرورك فى سفرك من الدّنيا الى الآخرة .

وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غداً ، فَٱمْهَدْ لِقَدَمِكَ ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ! وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ! «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» .

إِنَّ مِنْ

(وكما تدين تدان) أى كما تعمل تجزى ، فان الجزاء من جنس العمل ، فان ((دان)) بمعنى عمل أى كما تعمل بك (وكما تزرع) أى كالذى تزرع من حنطة و شعير ــ و المراد هنا الأعمال التى يعملها الانسان ــ (تحصد) و من المعلوم انه ((لا يجتنى الجانى من الشوك الغب)) ((و لا من الأعناب شوكا ذا تعب)) ٠

(و ما قدمت اليوم) أى الى الآخرة ــ من صالح الأعمال أو فاسدها ــ (تقدّم عليه غدا) فى الآخرة (فامهد) أى هيّئ فى الآخرة (لقدمك) أى المكان الّذى تضع فيه قدمك ، و ذلك بطيب الأعمال ليكون محلك هناك حسنا ٠

(و قدم) الأعمال الصّالحة (ليومك) أى الآخرة فانّه يوم نجاح الانسان أو سقوطه (فالحذر الحذر) مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى احذر الحذر اللازم (ايّها المستمع) لئلاّ تعمل بما يوجب خزيك هناك ٠

(و الجد الجد) أى جد جدّا لأن تعمل بما يجب عليك (أيها الغافل) عن عواقب الأعمال («ولا ينبّئك مثل خبير ») أى لا يخبرك عن الواقع ، مثل الانسان الخبير المطّلع على الأمور ، و هذا كناية عن اطلاع المتكلم عن الحقيقة مما يلزم على السامع قبول خبره ٠

ثم بين عليه السّلام جملة من خصال الشّر الموجب لسوء العاقبة (ان من

عَزَائِمِ ٱللهِ فِي الذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا ، لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ،

عزائم اللّه) جمع عزيمة ، وهى الفريضة ، مقابل الرخصة ، والمراد هنا المحرمات ، لأنه سبحانه فرض تركها والزم العقاب لمرتكبها (فى الذكرالحكيم) اى المذكورة فى القرآن ، ووصفه بالحكيم ، لأنه يضع الأشياء مواضعها ،ويبينها على حقائقها (التى عليها) اى على تلك العزائم (يثيب) اى يعطى الثواب سبحانه ، لمن تركها (ويعاقب) لمن ارتكبها ٠

(ولها) أى لتلك العزائم (يرضى) اذا تركت (و يسخط) اذاعمل بها (انه) اسم ((ان)) فى قوله ((ان من عزائم الله)) والجار خبر مقدم (لا ينفع عبدا ــ وان اجهد) ذلك العبد (نفسه) فى الطاعة (و أخلص فعله) الطاعات للّه سبحانه (أن يخرج) فاعل ((ينفع)) وجملتا ((اجهد)) و ((اخلص)) معترضتان ٠

(من الدنيا لاقيا ربّه) ملاقاة اللّه كناية عن الوصول الى المحلّ الذى أعدّه اللّه سبحانه للثّواب والعقاب ، ووجه الكناية : انّ الانسان يلاقى الحاكم لدى المحاكمة ، فالتشبيه للمعقول بالمحسوس (بخصلة من هذه الخصال) التى سنذكرها ، بحيث (لم يتب منها) أى انّ الانسان اذا عمل بعض هذه الأعمال ، ثم خرج من الدّنيا قبل التّوبة ، لابد وأن يلاقى سخط اللّه سبحانه وعقابه ، اذ انّها ميزان الثّواب والعقاب ، والرّضا والسّخط (أن يشرك باللّه فيما افترض) الله(عليه من عبادته) ((فيما)) بيانية ، أى ان الشّرك فى

أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ

عبادة الله ، بأن يعبد الانسان صنما أو ما أشبه ، يوجب العقاب ، و انكان أخلص الانسان فى الأعمال الخيريّة ، و أجهد نفسه فى الطّاعات ، فقد قال سبحانه : ((انّ الله لا يغفر أن يشرك به)) .

(أو يشفى غيظه بهلاك نفس) بأن يقتل أحدا شفاءا لغضبه ، لا أن يكون القتل له سبحانه ، كالحدود و القصاص ، فقد قال سبحانه : ((و من يقتل مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنّم خالدا فيها)) .

(أو يقرّ بأمر فعله غيره) لعلّ المراد بذلك ، ان يقول الانسان فعلت كذا من الخير ، و الحال انّه لم يفعله ، بل فعله غيره ، لقوله سبحانه : ((لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أوتو ، و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا،فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب)) أو المراد قذف انسان ،فالمعنى القول بأنّ الغير فعل كذا ، لقوله سبحانه : ((انّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الّذين آمنوا لهم عذاب أليم)) و هنا احتمالات أخر ذكرها الشّرّاح .

(أو يستنجح حاجة الى النّاس) أى يطلب نجاح حاجته من النّاس (باظهار بدعة فى دينه) بأن يبدع فى الدّين ما ليس منه ، و لعلّ الآية الدّالة على ذلك قوله سبحانه : إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّناه للنّاس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون)) أو قوله : ((فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم ممّا كتبت أيديهم و ويل لهم ممّا يكسبون)) .

(أو يلقى النّاس بوجهين) فاذا حضروا مدحهم و اذا غابوا ذمّهم (أو يمشى

فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . اعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَىٰ شِبْهِهِ .

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا ، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَىٰ غَيْرِهَا ، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ؛

فيهم بلسانين) لسان مدح واطراء ، ولسان ذمّ وازدراء ، ولعلّ الجملتين لمفادّ واحد ، والدّليل عليه قوله سبحانه : ((انّ المنافقين فى درك الأسفل من النّار)) (اعقل ذلك) الّذى ذكرت من الوعظ والارشاد ٠

(فانّ المثل دليل على شبهه) أى انّ الأحوال الّتى تجرى على الأشياء ، دليل على انّ مثل تلك الأشياء أيضا تجرى عليه مثل تلك الأحوال ، مثلا: الحكم الّذى يجرى على صاحب هذا السّلطان من العزّة والجاه يجرى على صاحب السّلطان الآخر ، والخوف الّذى يسيطر على هذا الجيش المنكسر يجرى مثله على الجيش الآخر اذا انكسر وهكذا ، وهذه الجملة امّا تابعة للجمل السّابقة ، والمعنى انّ المحرّمات الّتى لم يذكرها الامام ، كالمحرّمات الّتى ذكرها فى عدم الانتفاع بصالح الأعمال لمن يرتكبها ، ممّا وعد الله النّار عليها ، كالرّبا ، و الزّنا ، وأشباه ذلك وامّا مقدّمة لما يأتى وذلك لبيان انّ الانسان التّابع لشهواته كالبهيمة ، الخ ٠

(انّ البهائم) جمع بهيمة وهى الحيوان الّذى لا يفصح ، ولذا سمّى بهيمة ، والتّأنيث باعتبار النّفس (همّها بطونها) أن تملأها و تفرّغها (وانّ السّباع همّها العدوان على غيرها) فهى بما أودع فيها من الغرائز تريد الظّلم والتّعدّى دائما ٠

(وانّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدّنيا ، والفساد فيها) اذ المرأة بوصف كونها عاطفيّة ، تهتمّ بالفساد كلّما هاج منها العاطفة نحو جانب ، فهى

إن ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ. إن ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

في فضل اهل البيت و الارشاد

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ. دَاعٍ دَعَا ،

مفرطة فى جانب ، و مفرطة فى جانب آخر ، بخلاف الرّجال الّذين تتعال فيهم قوتا العقل و العاطفة (انّ المؤمنين مستكينون) أى خاضعون لله عزّ و جل ، من استكان بمعنى تضرّع ، و المستكين لا يكون فى فكر البطن ، و انّما فى فكر الاطاعة و العبادة (انّ المؤمنين مشفقون) أى خائفون متعطّفون ، من أشفق بمعنى خاف و تعطّف ، و الخائف المتعطّف لا يعتدى على أحد (انّ المؤمنين خائفون) و الخائف لا يهتمّ بالزّينة و الفساد ٠

وَمِنْ خُطبةٍ لهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

فى فضل أهل البيت و الارشاد

(و ناظر) أى عين (قلب اللّبيب) أى العاقل — وعين القلب ، كناية عن ادراكه للاشياء ، كما يدرك البصر للمتبصّرات (به) أى بسبب ذلك النّاظر (يبصر) اللّبيب (أمده) أى منتهى أمره ، و اذا أدرك الانسان منتهى الأمور و ما يؤل اليه الأعمال ، لابد و أن لا يخرج عن حدود العقل و الشّريعة ، ممّا يضرّه فى دينه و دنياه ٠

(و يعرف غوره) أى عمقه و انخفاضه (و نجده) أى ارتفاعه أى يرى ما يوجب الرّفعة و ما يوجب الضّعة (داع دعا) و المراد به الرّسول صلّى اللّه

وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ . قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ ،

عليه و آله و سلّم (وراع رعى) النّاس فى مواضع الرّفاه و السّعادة ، والجملتان السّابقتان كالمقدّمة لهذه الجمل ، حيث انّ البصير يدرك الحقيقة ، فمن الضّرورى أن يتبع الحق المتمثّل فى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

(فاستجيبوا) أى أجيبوا أيها النّاس ، ولعلّ الاتيان من باب الاستفعال لأن الاجابة يسبقها التفكّر ، و اهتمام النّفس بالاجابة (للدّاعى) الّذى دعى الى الهدى .

(واتّبعوا الرّاعى) الّذى يرعاكم فى معاشبٍ أمن و سلامة ، اما غيرنا ممن أخذ زمام الأمور عنفا و تخويفا فـ (قد خاضوا) أى دخلوا (بحار الفتن) حيث أهلكوا أنفسهم من غير بصيرة .

(و أخذوا بالبدع) الّتى أبدعوها (دون السّنن) جمع سنّة ، أى : الطّرائق الّتى سنّها الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، كابداعهم صلاة التّراويح ومنع المؤلفة ، و تحريم متعتى الحجّ و النّساء ، وغيرها (و أرز المؤمنون) أى انقبضوا و ثبتوا و لاذوا بالصمود لئلاّ ينحرفوا مع المنحرفين (و نطق الضّالّون المكذبون) للّه و رسوله حيث استولوا على الأمور بالقوّة ، و أخذوا ينطقون بما يشائون .

(نحن الشّعار) للدّين ، و هو الثّوب الّذى يلبس ملاصقا للجلد ، وسمّى شعارا : باعتبار اتّصاله بشعر جسم الانسان ، فكأنهم عليهم السّلام لشدّة لصوقهم بالدّين كالشّعار للجسد (و الأصحاب) للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

منها : فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا . فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ،

سلّم الّذين صحبوه لأجل الاسلام فقط ، لا لحبّ الرئاسة و ما أشبه ·

(و الخزنة) جمع خازن : وهو الحافظ للشئ النّفيس ، فهم عليهم السّلام خزّان علم الكتاب و سنّة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و الأبواب) للعلم و المعرفة ، فكما انّ الانسان لا يتمكن من الدّخول فى الدّار و نحوها ، الاّ بطرق الباب ، كذلك لا يتمكّن الانسان من الدّخول فى مدائن العلم و العرفان الاّ بالسؤال منهم (لا تؤتى البيوت الاّ من أبوابها) كما قال سبحانه : (فمن أتاها من غير أبوابها سمّى سارقا) و هكذا من طلب الاسلام من غير طريقهم عليهم السّلام ·

(منها) : أى بعض الخطبة فى شأن آل البيت عليهم السّلام (فيهم) نزلت (كرائم القرآن) جمع كريمة : و هى الآيات المادحة الموجبة لتكريم المراد منها ·

(و هم كنوز الرحمن) فكما انّ الكنز محلّ الشّئ الثّمين ، فهم محلّ العلوم و المعارف الثّمينة بايداع اللّه سبحانه ذلك فيهم (ان نطقوا) و تكلّموا فى خبر أو حكم أو قصّة أو ما أشبه (صدقوا) لعلمهم بالأشياء ·

(و ان صمتوا) و لم يتكلّموا (لم يسبقوا) أى لم يسبقهم أحد بالكلام لهيبتهم ، فانّ الانسان اذا علم وجود أعلم منه فى المجلس ، لا يقدر على الكلام خوفا من الفضيحة (فليصدق رائد أهله) الرّائد هو الّذى يتقدّم القوم المسافرين

وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَالنَّاظِرُ بِٱلْقَلْبِ، ٱلْعَامِلُ بِٱلْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ. فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ. فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ.

لينظر لهم مكانا حسنا، لنزولهم فيه، و المراد هنا انّ رواد العلم الّذين يأخذون العلوم و الأحكام، يلزم عليهم أن يصدقوا النّاس فى ذكر فضائلهم عليهم السّلام و انّهم هم الأئمّة و الخلفاء دون سواهم.

(و ليحضر عقله) أى يعمل عقله فى تميز الحق من الباطل، لا أن يجرى على عواطفه و تقاليده (و ليكن من أبناء الآخرة) الّذين يخافون عذاب اللّه و يرجون ثوابه، فيعملون عملا صادقا، و ان خالف ذلك دنياهم (فانّه منها) أى من الآخرة (قدم) فانّ آدم عليه السّلام كان فى الجنّة، ثمّ جاء الى الأرض (و اليها ينقلب) أى يرجع بعد موته (فالنّاظر بالقلب) نظر تبصّر و تعقّل (العامل بالبصر) أى الّذى يعمل بنهج البصيرة و الادراك، لا بنهج الجهّال (يكون مبتدأ عمله أن يعلم: أعمله عليه أم له؟) أى انّ الّذى يريد الشروع فيه، هل يوجب له الخير و السعادة والثواب ام الشر والشقاوة و العقاب

(فان كان) العمل المراد (له) أى نافعا له (مضى فيه) وعمله (و ان كان عليه وقف عنه) و لم يرتكبه لئلاّ يتضرّر به.

(فانّ العامل بغير علم) بعاقبة عمله (كالسّائر على غير طريق) منحرفا مورّبا عنه (فلا يزيده بعده عن الطريق الاّ بعدا من حاجته) و هذا تحذير عن العمل على غير هدى، و بدون أن يفكّر الانسان فى مصير عمله.

وَٱلْعَامِلُ بِٱلْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ : أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ !

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَىٰ مِثَالِهِ. فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - : «إِنَّ ٱللهَ

(و) انّ (العامل بالعلم) بأن تبصّر عاقبة ما يريد عمله (كالسّائر على الطّريق الواضح) الّذى يصل الى هدفه بدون كلل أو ملل (فلينظر ناظر) أى عامل يريد السّير فى طريق (أسائر هو) سيرا يوصله الى غايته (أم راجع) يوجب سيره الخزى والنّدامة ، كالمراجع الّذى يريد مقصدا ، لكنّه يسير ضدّ اتّجاهه ، وبعد ما بيّن الامام عليه السّلام ميزان العمل الصّحيح ، بيّن التّلازم بين الظّاهر والباطن ، حتّى لا يقال انّ ظاهر العمل ليس دليلا على صحّة الباطن أو سوءه .

(واعلم انّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله) أى مثل ذلك الظّاهر (فما طاب ظاهره طاب باطنه) فانّ الظّاهر عنوان الباطن (وما خبث ظاهره خبث باطنه) وذلك لأن خبيث السّريرة لم يتمالك من تصحيح ظاهره ، وان أراد اخفاء سريرته ، اذ السّريرة تعمل تلقائيا ، والظّاهر يعمل بتكلّف ، والتلقائى لابد وأن يظهر أثره ، بمجرد ان رفع القسر ، ولو بالسّهو والنّسيان ونحوهما ، وهكذا طيب السريرة ، ولذا قال الامام عليه السّلام : ((ما نوى امرء شيئا الاّ ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه)) وقال الشّاعر :

و مهما يكن عند امرء من خليقة ... وان خالها تخفى على النّاس تعلن

(وقد قال الرّسول الصّادق صلّى الله عليه وآله) وسلّم : (انّ الله

يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَىٰ بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ . وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

يحبّ العبد) اذا كان نقى السّريرة طاهر الضّمير (ويبغض عمله) الّذى يأتى به اذا كان منكرا ، زل اليه .

(ويحبّ العمل) الصّالح (ويبغض بدنه) أى الشّخص الّذى عمل ذلك العمل ، اذا كان خبيث السّريرة ، فاسد الضّمير ، والاستشهاد بهذا الكلام لبيان خبث العمل ــ احيانا ــ لا يسبّب سقوط الظّاهر الحسن اذا كان الباطن حسنا ، وبالعكس طيب العمل احيانا ، لا يسبّب سقوط الظّاهر السّيئ اذا كان الباطن سيّئا ، فانّ الظّاهر يتبع الباطن فى الحسن والقبح ، و لا يتبع بعض الأعمال النّادرة الّتى تصدر مخالفا للباطن احيانا .

(واعلم انّ لكلّ عمل نباتا) أى ثمرا ونموّا ونتيجة (وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة) فالعمل مثلا كتأليف الكتاب ، والنبات هو الثمر الذى يترتب عليه من ارشاد الناس ، والمياه هو المحل الذى استقى من المؤلف الرشد ــ من القرآن ، اوكتب الفلاسفة ــ (فما طاب سقيه طاب غرسه) اى نباته (وحلت) من الحلاوة (ثمرته) كالمستقى من القرآن الحكيم ــ فى المثال ــ .

(وما خبث سقيه خبث غرسه) ونموه (وأمرّت ثمرته) أى صارت مرة لا تستساغ ، وهذا تحريض على صحة العمل وتحسين الشخص لنواياه التى هى بمنزلة الماء وانتقاء مصدر العمل .

وَمِن خُطبَة لَه عَليهِ السَّلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ ! هُوَ اَللهُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى اَلْعُيُونُ ،

وَمِن خُطبَة لَه عَليهِ السَّلام

في حمد الله و تنزيهه ، ويذكر فيها بديع خلقة الخفّاش

(الحمد لله الّذي انحسرت) أي انقطعت و انفرجت (الأوصاف) أي أوصاف النّاس له سبحانه (عن كنه معرفته) فلا تدرك الأوصاف معرفة كنهه سبحانه ، لأن ذات الله لا تعرف ، و ذلك لأنّ الانسان محدود ، و الله سبحانه غير محدود ، ولا يعقل احاطة الحدود ، بغير المحدود ، و الاّ لزم الخلف (و ردعت عظمته) تعالى (العقول) الّتي تريد ادراكه (فلم تجد) العقول .

(مساغا) أي محلاّ ممكنا ، يسوغ ـ أي يجوز ـ عليها الوصول الى ذلك المحل (الى بلوغ غاية ملكوته) أي ملكه الواسع (هو) المتّصف بتلك الصّفات (الله الحق) في مقابل الأصنام الباطلة (المبين) الظاهر بآثاره (أحقّ و أبين) أي أظهر (ممّا ترى العيون) فانّ العين يمكن أن تغلط ، كما ترى الماء الكثير أسود ، وكما ترى الشّمس صغيرة و هي كبيرة ، وكما ترى الخطّين المتوازيين الممتدّين متّصلا ـ بعد مسافة ـ الى غيرها ، امّا العقل فلا يمكن

لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ. وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ . وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ ،

غلطه ، فاذا قال لابد للأثر من مؤثر ، أولا يمكن اجتماع النّقيضين ،او انّ الكل أعظم من الجزء ، لابد وأن يكون ولا خطأ فيه اطلاقا .

(لم تبلغه العقول بتحديد) بأن يحدّده العقل ويعرف حدوده (فيكون) سبحانه (مشبّها) شبيها بسائر الأمور المحدودة (ولم تقع عليه الأوهام) أى العقول (بتقدير) بأن يبين قدره تعالى (فيكون) سبحانه (ممثّلا) أى مثلا لسائر المخلوقات ، ولعلّ المراد بالتّحديد الحدّ المنطقى ـ أى الجنس و الفصل ـ ، وبالتقدير ، الكمّ والكيف ، وما أشبه .

(خلق) سبحانه (الخلق على غير تمثيل) أى لم يكتسب مثالا للخلق ، حتّى يكون صنعه للخلق حسب ذلك المثال (ولا مشورة مشير) استشاره فى أمر الخلق (ولا معونة معين) بأن أعانه فى الخلق أحد أوآلة ـ كماهى الحالة عند النّاس فى أعمالهم ـ (فتمّ خلقه) تعالى للأشياء (بأمره) سبحانه (و أذعن) أى انقاد الخلق (لطاعته) تكوينا (فأجاب) الخلق لمّاأراد تعالى (ولم يدافع) سبحانه بأن يأبى الخلق من الانقياد التّكوينى له (وانقاد) أى خضع الخلق (ولم ينازع) سبحانه بأن يخاصمه أحد فى خلقه .

ثمّ أخذ سبحانه فى بيان خلقة الخفّاش ، ذكرا لمثال من أمثلة خلقه الّتى تدلّ على عظيم لطفه وعلمه وصنعه ، وانكان المخلوق فى النّاس منفورا منه ، غير ظاهر عليه آثار القدرة (ومن لطائف صنعته) أى دقائقها (وعجائب خلقته)

مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ؛ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا. وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ

أى الخلق المورث للعجب (ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش) جمع خفّاش و هو حيوان معروف (الّتى يقبضها الضّياء الباسط لكلّ شئ) فانّ ضياء الشّمس يسبّب حركة الانسان و الحيوان فى مذاهبهما و الى مصالحهما ، الاّ انّ الخفّاش ينقبض و يأوى الى بيته بالنّهار لأنّ الضّياء يؤذيه .

(و يبسطها) بالحركة و الانتشار (الظّلام القابض لكلّ حىّ) ممّا يسبب له اخماد الحسّ و الحركة (وكيف عشيت) العشاء : سوء البصر ((ضعفه)) و يسمّى خفّاشا لذلك ، لأنّ الخفش بمعنى ضعف البصر (أعينها عن أن تستمدّ من الشمس المضيئة نورا) فانها ضعيف البصر، و لذا تؤذيها الشمس فتفر منها فلا (تهتدى به) أى بنور الشّمس (فى مذاهبها) جمع مذهب ، و هو طريق الذّهاب و الاياب .

(و تتصل بعلانية برهان الشّمس) أى بظهور دليل الشّمس ـ و المراد بدليلها ـ نورها (الى معارفها) الى المواضع الّتى تتعرّف اليها الخفافيش (و ردعها) أى منع النّور الخفافيش (ب) سبب (تلألؤ ضيائها) أى ضياء الشمس (عن المضى فى سبحات اشراقها) أى درجاتها و اطوارها (واكنها) اى استر النور الخفافيش (فى مكامنها) جمع مكمن ، و هو : محل الاختفاء (عن

الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا . فَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ . فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا . وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ

الذّهاب فى بلج) أى ضوء (ائتلاقها) أى لمعان الشّمس .

(فهى) أى الخفافيش (مسدلة الجفون) من اسدل الستر بمعنى نصبه (بالنّهار على أحداقها) جمع حدقة وهى العين .

(و) هى (جاعلة اللّيل سراجا) أى مصباحا (تستدلّ به) أى باللّيل (فى التماس أرزاقها) أى طلب رزقها فهى تبصر بالنّور القليل الوجود فى اللّيل .

(فلا يردّ أبصارها أسداف ظلمته) يقال اسدف اللّيل اذا أظلم (و لا تمتنع) الخفافيش (من المضى) والسير (فيه) أى فى الليل (لغسق) أى شدّة ظلمة (دجنته) الدجنة بمعنى : الظلمة .

(فاذا ألقت الشّمس قناعها) كناية عن ظهورها كأنّ اللّيل قناع تقنع الشّمس به (و بدت) أى ظهرت (أوضاح نهارها) جمع وضح بمعنى بياض الصّبح (و دخل من اشراق نورها على الضّباب) جمع ضب ، وهو حيوان معروف ، يسكن فى داخل الأرض (فى وجارها) الوجار : حجر الضب ،فانّ النّور لزم أن يشتدّ حتّى يدخل فى الثّقوب العميقة فى داخل الأرض .

(اطبقت) الخفافيش (الأجفان) جمع جفن ، وهو غطاء العين (على مآقيها) جمع مآق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف (و تبلّغت) أى اقتاتت

بِمَا اكْتَسَبَتْ مِنَ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً ، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً ! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّيَرَانِ ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا . تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا

واكتفت (بما اكتسبت من فئ ظلم لياليها) والمراد بفئ الليل ، القوت الذى حصلته فى الليل .

(فسبحان من جعل الليل لها) أى للخفافيش (نهارا) أى كالنهار فى الحركة (ومعاشا) أى لأجل تحصيل المعاش الذى يعيش به (والنهار سكنا) تسكن فيه (وقرارا) تقر و تنام فلا تخرج .

(وجعل لها أجنحة من لحمها) فانّ جناح كل طائر من الريش الا ان جناح الخفّاش من اللحم (تعرج) أى تصعد (بها) أى بسبب تلك الأجنحة (عند الحاجه الى الطيران ،كانها) اى كان تلك الأجنحه (شظايا) جمع شظيه ، بمعنى القطعه من الشئ (الآذان) فان جناح الخفاش يشبه قطعة الأذن فى انه كالغضروف ، فى حال كون تلك الأجنحه (غير ذوات ريش ولا قصب) كقصب ريش الطائر وانكان لجناح الخفاش أيضا قصب من جنس الغضروف (الا انك ترى مواضع العروق) فى جناح الخفاش (بينة أعلاما) أى رسوما ظاهر ، فان علم الشئ دليله .

(لها جناحان لما يرقا) أى لم يرقا ، وجئ بـ ((لما)) للطف لايخفى (فينشقا) فى الطيران (ولم يغلظا فيثقلا) ويمنعا الخفاش عن الطيران (تطير) الخفافيش (وولدها لاصق بها) فانها تحمل أولادها الصغار اذا

لَاجِىءُ إِلَيْهَا ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِىءِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ !

ارادت ان تطير ٠

(لاجئ اليها) مخافة السّقوط (يقع) الولد أي يهبط (اذا وقعت) الخفافيش (و يرتفع اذا ارتفعت) أي طارت (لا يفارقها) الولد (حتّى تشتدّ أركانه) الضّمير عائد الى الولد ، و اشتداد الأركان كناية عن قوته للنهوض و الاستقلال ٠

(و يحمله للنهوض جناحه) أي حتّى يحمل الولد جناحه للنهوض والطيران و هذا عطف بيان لقوله : تشتدّ أركانه (و يعرف مذاهب عيشه) أي يتمكن الولد من الاستعاشة بنفسه و القيام بمهامه (و مصالح نفسه) فحينذاك ينفكّ عن أمه ٠

(فسبحان البارئ) أي الخالق (لكل شئ على غير مثال خلا) أي بقى ذلك المثال (من غيره) تعالى ، بأن يكون عمل أحد قبله سبحانه ، ثم تعلم منه تعالى ، فانه لا أحد قبله و لا شئ مخلوق لغيره ٠

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ . فَلْيَفْعَلْ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ . وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ وَأَمَّا فُلَانَةُ

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم)

أى قصّة حرب الجمل ، وفيها وصف الايمان ، وحال أهل القبور .

يظهر من السياق ان الامام عليه السلام أخبر عن بعض الفتن المستقبلة ، ثمّ قال : (فمن استطاع عند ذلك) الأمر المستقبل (أن يعتقل) أى يحفظ (نفسه على الله عزّ وجلّ) بأن لا يخرج عن طاعته (فليفعل) وجملة الشرط للتأكيد ، ولبيان صعوبة الحفظ فى طريق الله سبحانه ، كما يقال : ان كنت رجل فافعل كذا .

(فإن أطعتمونى) فى حفظ أنفسكم (فانّى حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنّة) أى أوصلكم اليها ، ولفظ ((حامل)) باعتبار أى الحمل والارشاد مشابهان فى الايصال .

(وان كان) حفظ النّفس ـ وان وصلية ـ (ذا مشقّة شديدة) لأنّ المغريات والأهواء على ضد ذلك (ومذاقة مريرة) أى ان ذوق المحافظة و التحمّل لها مرّ صعب (وأمّا فلانة) والظّاهر انّ المقصود بها ((عائشة))

فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ ٱلنِّسَاءِ. وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلْأُولَىٰ ، وَ ٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وكانه سأل عليه السلام عن أمرها فى قصة الجمل ، و ما الذى حملها على محاربة الامام ؟ مع انّها ما كانت تطمع بالملك ، كما كان الزبير و الطلحة يطمعان فيه ؟ .

(فأدركها رأى النّساء) فانّ النّساء يعملن بالعواطف لا العقول ـ غالبا ـ فلا علّة لعملهنّ الاّ الاعتباط فى كثير من الحركات .

(وضغن) اى حقدقديم (غلا فى صدرها) فانها كانت تغار من فاطمة الزهراء زوجة الامام عليه السلام ،كما كانت تحقد على الامام كونه الخليفة الشرعى المنافس لابوها ابو بكر ،و لما تعلم من ان الامام لا يذرهاتعمل ما تشاء ،كماكانت تفعل فى ايّام الخلفاء من نشر الأحاديث الزائفة وما أشبه ، وكانت تعلم انّ الامام لا يفضلها فى العطاء ، وانما يقسم بالسوية حسب ما كان يعمل الرسول صلى الله عليه وآله و سلم .

(كموجل القين) المرجل القدر ، و القين الحداد ، فانّ من عادة الحدادين أن يضعوا الحديده المحماة فى الماء ، و ذلك الماء اذا وضع فيه الحديد يغلى غليا شديدا . (ولو دعيت) عائشة (لتنال من غيرى ما أتت الىّ) من السب و تجهيز الجيش و تحريض الناس و ما اشبه (لم تفعل) لأنها كانت تكره الامام اشدّ الكره ، على خلاف أمر الله و الرسول صلى الله عليه وآله و سلم (ولها بعد) أى بعد كل ذلك الذى تقدمت بها الىّ (حرمتها الأولى) فانّى احترمها كما كنت احترمها سابقا ـ لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله (و الحساب على الله تعالى) فانه يجازيها بأعمالها .

وصف الايمان

منه : سَبِيلٌ أَبْلَجُ ٱلْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ . فَبِٱلْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ ٱلْإِيمَانِ ، وَبِٱلْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ ، وَبِٱلْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ ، وَبِٱلْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ ٱلْآخِرَةُ ، وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَىٰ

(منه) : أى بعض هذا الكلام ، فى وصف الايمان ، هذا الايمان (سبيل ابلج المنهاج) أي واضح الطّريق (أنور السّراج) أى مضئ المصباح (فبالايمان يستدل على الصالحات) اذ لا يعرف الانسان الاعمال الصالحة ، وأنما الايمان دليل على ان الشئ الفلانى صالح والشئ الفلانى غير صالح (وبالصالحات يستدل على الايمان) فانّ العامل بالصالحات مؤمن ، فالعمل دليل الايمان ، اما من يقول انا مؤمن ولا يعمل فكلامه كذب ، اذ للايمان آثار .

(وبالايمان يعمر العلم) اذا العلم انما يحفزعليه الايمان ، اما العلم الذى لا يحفزعليه الايمان ، ففيه المخلوط من الحق والباطل ، مثلا العلم بمبدء الكون ومنتهاه يأتى من الايمان ، ولذا نرى من لا ايمان له يقول بالتعطيل او الشرك أو ما أشبه (وبالعلم يرهب الموت) اى يخشى منه ، اذ من يعلم عاقبة أمره يخشى من العمل الفاسد ومن ان يلقى الموت بلا استعداد .

(وبالموت تختم الدنيا) كما ان بالولادة تبتدء الدنيا ، وانما ينتقل الانسان بالموت الى الآخرة (وبالدنيا تحرز الآخرة) اذ الأعمال الصالحة المحرزة للآخرة انما تؤتى فى الدنيا (وانّ الخلق لا مقصر لهم) اى لا مستقرّلهم (عن القيامة مرقلين) اى مسرعين (فى مضمارها) اى ميدان الدنيا (الى

ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَىٰ .

منه : قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ . وَصَارُوا إِلَىٰ مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ .
لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا لا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنهَا .
وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانِ مِنْ خلقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ،

الغاية القصوى) أى أبعد الغايات ، وهى الآخرة فان العمر يذهب بكل سرعة .

(منه) : أى بعض هذا الكلام ، فى حال حشر الانسان (قد شخصوا) أى سافروا ، وتحرّكوا (من مستقرّ الأجداث) جمع جدث وهو القبر ، أى قد سافروا من قبورهم التى كانت محل قرارهم الى الآخرة ــ وقد تم برزخهم ــ (وصاروا الى مصائر الغايات) مصائر جمع مصير ، وهو ما يصير الانسان اليه من سعادة او شقاء وجنة أو نار (لكل دار) من الجنة والنار (أهلها) فللجنّة المؤمن العامل بالصالحات ، وللنار غيره .

(لا يستبدلون بها) بدارهم دارا أخرى (ولا ينقلون عنها) فالسّعداء فى الجنّة أبدا ؛ والأشقياء فى النّار أبدا ، وانما ينتقل من النار المؤقتة الى الجنّة السّعداء ، والمقصود أبدية البقاء بالآخرة ، لا من الابتداء ، واذ كان الأمر خطرا فعلى الانسان أن يعمل لانقاذ نفسه وانقاذ غيره ، اما انقاذ الغير فبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واما انقاذ النفس فبالعمل بالكتاب ، ولذا شرع عليه السلام ــ بعد بيان الجنّة والنّار ــ فى التحريض على هذين الأمرين .

(وانّ الأمر بالمعروف) وهو كل ما حسّنه الشرع والعقلَ (والنهى عن المنكر) وهو كل ما قبحه الشرع والعقل (لخلقان من خلق الله سبحانه) فمن

وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ ، «فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ» ، وَٱلشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ ، وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ،

اخلاقه سبحانه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، فانه لم يرسل الرسل ، و لم ينزل الكتب الآ لأجل هذين الأمرين (و انهما لا يقربان ، من أجل) الآمر الناهى ·

(و لا ينقصان من رزق) فانه يغلب على ظنّ الناس انهم ان امروا او نهوا قتلوا ، أو نقص رزقهم بعدم توفيره من فاعل المنكر ـ اذا كان سببا لرزقهم ـ و الأمر ليس كذلك ، فانهما بشرائطهما ـ التي منها الأمن من الضرر ـ لايوجبان شيئا من تقريب الأجل و نقص الرزق ، اما ما يوجب أحد الأمرين ـ أى الضرر ـ فذلك من الجهاد فى سبيل الله ، و مورده غير مورد الأمر و النهى ·

(وعليكم بكتاب الله) أى ألزموه فان ((عليك)) اسم فعل بمعنى ألزم (فانه الحبل المتين) أى المحكم الذى لا ينقطع ، تشبيه له بالحبل الذى يرفع الانسان من البئر ونحوها ·

(و النور المبين) بمعنى الواضح ، من ابان بمعنى ظهر (و الشفاء النافع) الذى ينتفع به الانسان من مشاكل الدنيا و الآخرة (والرى) اى الارتواء من الماء (الناقع) أى المزيل للعطش ، يقال نقع العطش اذا أزاله ·

(و العصمة للمتمسك) اى يعصم و يحفظ المتمسك به ، من الأخطار (و النجاة للمتعلق) فمن تعلق بالقرآن ، اى عمل به نجى من المهالك (لا يعوج) و ينحرف (فيقام) كما يقام الرمح و شبهه اذا اعوج ·

وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، «وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ»، وَوُلُوجُ السَّمْعِ. «مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ».

وقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله – صلى الله عليه وآله – عنها ؟ فقال عليه السلام :

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ، قَوْلَهُ : «الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»

(ولا يزيغ) من زاغ بمعنى مال (فيستعتب) من اعتب اذا انصرف ، و المعنى لا يطلب منه الانصراف عن زيغه ، كما يطلب من الانسان الزائغ ان يرجع الى الجادة ، فليس القرآن كالقوانين الوضعية التى يلزم تعديلها باختلاف الظروف و تبدل الحالات (ولا تخلقه) أى تبليه كما يبلى الثوب و نحوه (كثرة الرد) اى القراءة .

(و ولوج السمع) أى دخول القرآن فى سمع الانسان ، و هذا من عجائب القرآن ، فان اسلوبه و معانيه جديدة الى الأبد لانطباقه على كل زمان و مكان (من قال به) اى بالقرآن ، بأن بين محتوياته (صدق) لأنه مطابق للواقع (و من عمل به سبق) غيره الى السعادة و الخير .

(وقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، و هل سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عنها .. ؟ ؟ فقال عليه السلام :)

(لما أنزل الله سبحانه قوله : ((الٓم أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا))) أى ظنّوا أنهم بمجرّد اظهارهم الايمان يتركوا و شأنهم بدون امتحان و اختبار (« و هم لا يفتنون ») أى لا يمتحنون ، و هذا استفهام انكارى ، أى ليس الأمر كذلك ، و انما كل أحد يظهر الايمان لابد و أن يختبر و يمتحن

عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي »، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : « أَبْشِرْ ، فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ » فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِي :

(علمت أنّ الفتنه) أي الامتحان (لا تنزل بنا و رسول اللّه صلى الله عليه و آله بين اظهرنا) و ذلك لدلالة الآية على كون الفتنة فى المستقبل لا فى الحال ، و القرائن تدل على ان المستقبل بعد فوت الرسول (ص) (فقلت يا رسول اللّه ما هذه الفتنة التى أخبرك اللّه تعالى بها) ؟ ٠

(الظاهر ان قوله عليه السلام : ((لما أنزل اللّه)) و قوله : ((فقلت)) لبيان كون السئوال و الجواب بعد نزول الآية فى الجملة ، لا لكونهما وقعا بعد النزول مباشرة و بلا فصل ، حتى يستشكل ان السورة مكية ، فكيف يجتمع كلامه عليه السلام ((لما)) مع كون السئوال بعد ((قصة احد)) ؟

(فقال :) صلى الله عليه و آله (يا على : ان امتى سيفتنون من بعدى) أى يمتحنون ايهم يثبت على الحق و ايهم ينحاز الى الباطل ٠

(فقلت : يا رسول الله ، أو ليس قد قلت لى يوم أحد ، حيث استشهد من استشهد من المسلمين) كحمزة عليه السلام و غيره (و حيزت) اى نحيت (عنى الشّهادة) فلم أقتل فى سبيل اللّه (فشقّ ذلك علىّ) حيث لم استشهد حتّى أنال درجات الشّهداء (فقلت لى : ((أبشر فانّ الشّهادة من ورائك))) أى على يدى ابن ملجم لعنه اللّه (فقال صلى الله عليه و آله لى :

«إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَىٰ وَٱلشُّكْرِ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ،

((انّ ذلك))) النهى قلت (لكذلك) كائن لا محاله (فكيف صبرك اذا)) ؟ أي على اية حالة تكون حين تضرب ؟ على حالة الصبر او حالة الجزع؟

(فقلت : يا رسول اللّه : ليس هذا من مواطن الصّبر) أى ينبغى أن لا أسأل هل أصبر أم لا ، فانّ ذلك مثل أن يسأل ((من زف اليه عروس)) : هل تصبر ؟ !(ولكن من مواطن البشرى) اى البشارة (والشكر) فان أهل الايمان وأولياء اللّه يستبشرون بالمنية فى سبيل اللّه ٠

(فقال يا على :) فى جواب السئوال عنه صلى اللّه عليه وآله ((ما هذه الفتنة ؟ والجمل فى وسط السؤال والجواب معترضه لبيان وقت السئوال والجواب معترضه لبيان وقت السؤال والجواب ٠ وبيان انه كيف يجمع بين ((افتتان النّاس)) مما ظاهره كونه بسبب الامام بعد موت الرسول صلى اللّه عليه وآله وبين ((استشهاد الامام)) ما ظاهره كون ذلك فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله والظاهر ان السيد الرضى ((ره)) بتر وسط الكلام الموجب لربط الجمل بعضها ببعض ــ وقد نقل بعض الشارحين وسط الكلام ــ ففى المقام سؤالا وجوابان :

الأول : ((ما الفتنة)) ؟ وجوابه مذكور بقوله صلى الله عليه وآله : ((يا على ٠٠٠ الخ))

(والثّانى : كيف يفتن النّاس بسبب الامام ، والحال انه سيقتل ؟ ٠ والجواب : انه يقتل بعد افتتان الناس به ــ وهذا ساقط فى الذى نقله

إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ ، وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسُّحْتَ بِٱلْهَدِيَّةِ ، وَالرِّبَا بِٱلْبَيْعِ »

قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ

السيد ((ره)) ــ

(انّ القوم سيفتنون بأموالهم) فانّ الانسان اذا رأى ماله كثيرا طغى ومنع الحقوق . (و يمنون بدينهم على ربّهم) فيزعمون انّ اسلامهم الظاهرى منّة منهم على الله تعالى ، بينما الله سبحانه غنى عن العالمين . (و يتمنون رحمته) بلا عمل يستحقّون به الرّحمه (و يأمنون سطوته) أى عقابه و نكاله ، من دون أن يتركوا المناهى و المحرّمات .

(و يستحلّون حرامه) أى الذى حرمه سبحانه (بالشّبهات الكاذبة) أى يجعلون المحرم مشتبها ، و هم يعلمون انهم كاذبون فى هذا الجعل (والأهواء السّاهية) أى الموجبة للسهو عن الحق ، و ذلك مثل قوله تعالى ((فى عيشة راضية)) أى مرضية .

(فيستحلّون الخمر ب) اسم (النبيذ) وهو نوع من الخمر لكنه أخفّ من خمر العنب (و السّحت) كالرشوة و ما اشبه (ب) اسم (الهديّة) فاذا أراد أن يرشى القاضى و من أشبهه ، قال : انه هديّة (و الربا ب) اسم (البيع) فيبيع ما قيمته مائة بمائة و خمسين ثم يشتريه منه بمائة ، و لا يريد بهذا الا اعطاء قرض مائة و أخذ مائة و خمسين ، و انما البيع لفظ محض و صورة مجردة .

(قلت يا رسول الله :) اذا كان كذلك (بأى المنازل أنزلهم) أى بأى

عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ :« بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها الحث على التقوى و العمل للآخرة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ،

حكم أحكم على مثل هؤلاء (عند ذلك ؟) الامتثال و الامتحان ؟ (أبمنزلة ردّة) وانهم مرتدّون عن الاسلام (أم بمنزلة فتنة) وانهم مخدوعون مفتنون ، فانما لهم التأديب والتأنيب ، لا القتل و التّعذيب .

(فقال :) صلى الله عليه وآله (بمنزلة فتنة) اذ هذه الأمور معاصى و ليست كفرا و ارتدادا ، و انّما الكفر فى الانكار ، ولعلّ وجه سئوال الامام عليه السّلام ، لأن يعرف الخوارج ان ليس كل عاص كافرا ــ كما كانوا يزعمون ــ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها الحث على التقوى و العمل للآخرة

(الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحا لذكره) فاذا أراد الانسان ذكره سبحانه لزم ان يفتح الكلام بالحمد ، كما يفتح الباب بالمفتاح ، وقد ورد ((كل أمر ذى بال لم يبدء فيه بحمد الله فهو أبتر)) (و سببا للمزيد) أى الزيادة (من فضله) كما قال سبحانه : ((لئن شكرتم لأزيدنّكم)) و الحمد أحد أنواع الشّكر ، فانّ مواقع الشكر الجنان ، و الاركان ، و اللسان ، و لذا قال سبحانه : ((اعملوا آل داود شكرا)) .

وَدَلِيلاً عَلَىٰ آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ. عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ؛ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّىٰ مِنْهُ، وَلَا يَبْقَىٰ سَرْمَدًا مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ. مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ

(ودليلا على آلائه) جمع ((آلى)) بمعنى النعمة (وعظمته) فان الانسان الذى يحمد الله يتوجه الى نعمته سبحانه والى عظمته ، اذ اللفظ يوجب الايماء الى الذهن بالتفكر حول ما يلفظ ، يا (عباد الله ان الدهر) أى الزّمان ، والدنيا (يجرى بالباقين كجريه بالماضين) فان حال الباقى من الناس ، فى الدنيا ، كحال الماضى منهم ، فالدنيا نسخة مكررة لأمر واحد (لا يعود ما قد ولى منه) أى من الدهر ، والمراد مما فيه من حيوان وانسان و نبات وسائر الأشياء ، فانها اذا فنيت لم تعد ٠

(ولا يبقى سرمدا) باقيا دائما (ما فيه) فانّ كلّشئ فيه الى **زوال** و اضمحلال (آخر فعاله) أى فعال الدّهر (كأوله) حياة وموت ، ووجود و عدم ، وما أشبه (متسابقة أموره) أى تتسابق الأمور الجارية فى الدنيا ، فمثلا الفقر يريد أخذ مكان الغنى ، والغنى يريد أخذ مكان الفقر ، وكذلك فى الصّحة والمرض ، والحياة ، والموت ، وغيرها ، وفى بعض النسخ ((متشابهة أموره)) (متظاهرة أعلامه) أى تتوالى العلاماة على الأشياء ، فانّ كلّ ما يوجد فى الدنيا ، او يعدم له علم ـ أى علامة ـ ليبق ذلك الشئ ليدلّ عليه (فكأنكم بالسّاعة) أى القيامة (تحدوكم) أى تحرضكم على السير ، فانّ الانسان يسير سيرا حثيثا نحو الآخرة ، فكأنّ السّاعة تحدوه (حدو الزاجر) أى سائق الابل (بشوله) جمع شائلة ، وهى : الخالية عن الولد فان سوق

فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّىءَ أَعْمَالِهِ فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ. اعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَ

الانسان لها أعنف .

(فمن شغل نفسه بغير نفسه) بأن لم يشتغل باصلاح نفسه ، بل اشتغل بعمارة الدنيا و بأمور النّاس و ما أشبه (تحيّر فى الظّلمات) أى ظلمات الجهل و ظلمات العاقبة السّيئة (و ارتبك فى الهلكات) ((ارتبك)) أى تحيّر ، فيما اذا وقع فى الهلكة ، ماذا يصنع ؟ و الهلكة انما تكون لأنه لم يهيّئ نفسه للسّعادة الأبدية (و مدت به شياطينه فى طغيانه) أى أمدوه بالوسوسة ، و الاغواء ، حتّى لا يخرج عن الطغيان ، و هو المخالفة لأوامر اللّه سبحانه .

(و زيّنت) الشّياطين (له سيّئ أعماله) فانّ الانسان اذا اعتاد عملا زين ذلك العمل فى نظره ، كما قال سبحانه : ((أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا)) .

(فالجنّة غاية السّابقين) الّذين سبقوا الى الخيرات (و النّار غاية المفرطين) الذين فرطوا و قصروا فى الأعمال الصالحة (اعلموا عباد اللّه انّ التّقوى دار حصن عزيز) أى موجبة لعزّة الكائن فى هذه الدّار ، أى الملابس للتّقوى .

(و الفجور) أى الخروج عن أوامر اللّه سبحانه (دار حصن ذليل) توجب ذلّة الدّاخلين فيها (لا يمنع) الفجور (أهله) عن المكاره و الآفات (و لا يحرز) أى لا يحفظ (من لجأ اليه) واعتصم به (ألا) فليتنبّه السّامع (و

بِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا ، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى .

عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ،

بالتّقوى تقطع حمة الخطايا) حمة هى ابرة الزنبور و العقرب و ما اليهما ،والمراد بها هنا سطوة المعاصى ، فانّ المتّقى يحفظ نفسه ـ بسبب تقواه ـ من أن يناله الخطايا بسوء .

(و باليقين) بالمبدء و المعاد (تدرك الغاية القصوى) اى أبعد الغايات ، و هى الجنّة ، فانّ الانسان المتيقّن يجتنب عن العصيان ، مما يوجب ادراك السّعادة الأخرويّة .

يا (عباد اللّه) احذروا (اللّه) احذروا (اللّه فى) أن تفعلوا شيئا يوجب هلاك (أعزّ الأنفس عليكم) و المراد بها نفس الانسان ، فانّها أعز الأنفس (و أحبّها اليكم) فانّ الانسان يحبّ نفسه أكثر من حبّه لأىّ نفس آخر (فانّ اللّه قد أوضح لكم سبيل الحقّ) الموجب لنجاة من سلكه (و أنار طرقه) أى الطّرق الى مختلف السّعادات (ف) انّ وراء الانسان ليس الاّ (شقوة لازمة) بالخلود فى النّار لمن كفر وعصى (أو سعادة دائمة) بالخلود فى الجنّة لمن آمن و أطاع .

(فتزوّدوا فى أيام الفناء) و هى أيام الدّنيا (لأيام البقاء) فى الآخرة (فقد دللتم على الزّاد) و هو الايمان و العمل الصّالح (و أمرتم بالظّعن) أى ما يوجب الحسن ، و هو العمل الصّالح ، فانّ معنى الظّعن السّير .

وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ ، لَا يَدْرُونَ مَتَىٰ يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ !

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ . عِبَادَ ٱللهِ ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ ،

(وحثثتم على المسير) أى تهيئة أسباب السّير المريح ، أو المراد انّ الدّنيا تحث الانسان على السّير بتقلّب أحوالها و قصر أيامها (فانّما أنتم كركب وقوف) جمع واقف (لا يدرون متى يؤمرون بالمسير) فانّ الموت يأتى مفاجئا (ألا فما يصنع بالدّنيا من خلق للآخرة) ؟ استفهام للانكار فانّ الانسان الّذى لا يبقى فى الدّنيا ، اذا عمل من أجلها كان سفها وعبثا .

(وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه) أى يؤخذ منه ، وذلك حين الموت (وتبقى عليه تبعته) فانّ ما يتبع المال من الآثام فيما اذا منع حقّه ، أو صرف فى غير حقّه ، أو اكتسب من غير حقّه ، يبقى على الانسان (وحسابه) فانّ الانسان محاسب بما ملك سواء من الخير أو من الشّر ، وسواء صرفه فى الخير أو فى الشّر أو لم يصرفه .

يا (عباد اللّه انّه ليس لما وعد اللّه من الخير مترك) أى محل ممكن التّرك فانّ كلّ ما أمر اللّه سبحانه لابدّ وأن ينفذ ويطاع ، وقوله عليه السّلام ((من الخير)) أى من موجبات الخير ، وهى الواجبات الّتى توجب السّعادة (ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب) أى محل رغبة فانه لا يمكن للانسان أن يأتى بمناهى اللّه سبحانه الموجبة للشّر ، يا (عباد اللّه احذروا يوما تفحص فيه الأعمال) أى يرى الصّحيح منها والسّقيم ، وذلك للجزاء .

وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ .

ٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ ،

(و يكثر فيه الزّلزال) كما قال سبحانه : ((و انّ زلزلة السّاعة شئ عظيم)) فانّ من أحوال القيامه وقوع الزلازل فيها (و تشيب فيه الأطفال) أى يبلغون حدّ الهرم ، أما لطوله فانه خمسون ألف سنة ، و اما لأهواله فانّ الهول يوجب الضعف الموجب لبياض الشّعر ، كما قال الشاعر : ((و أشاب الدّهر رأسى قبل ابّان المشيب)) .

(اعلموا عباد الله انّ عليكم رصدا) أى رقيبا يرصد عليكم (من أنفسكم) فانّ فى باطن الانسان قوّة توقظ الانسان و تنبّهه ، فاذا أراد عمل الخير حثّه و اذا أراد عمل الشّر ردعه (و عيونا من جوارحكم) فانّ جوارح الانسان تشهد على الانسان بما فعل ، فى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ((أليوم نختم على أفواههم ، و تكلّمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)) فالجوارح كالجواسيس على الانسان .

(و حفّاظ صدق) أى صادقين فى كلامهم و كتابتهم (يحفظون أعمالكم) و هم الملائكة ، كما قال سبحانه : ((ما يلفظ من قول الاّ لديه رقيب عتيد)) (و عدد أنفاسكم) يعنى انّ الحساب دقيق الى هذا الحدّ .

(لا تستركم منهم) أى من اولئك الحفظة (ظلمة ليل داج) دجى بمعنى أظلم و اشتدّ ظلامه (و لا يكنّكم) من الكنّ ، بمعنى : محلّ الحفظ (منهم باب ذو رتاج) أى ذو أحكام فى الغلق أى لا يتمكن الانسان أن يهرب

وَإِنَّ غداً مِنَ اَلْيَوْمِ قَرِيبٌ . يَذْهَبُ اَلْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ اَلْغَدُ لَاحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ اَلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ،

الى مكان و يغلق الباب على نفسه لئلاّ يعلم بأعماله الحفظة من الملائكة ·

(و انّ غدا) الّذى فيه حسابكم (من اليوم قريب) فانّ كل آت قريب ، و هذا تحريض للعمل لذلك اليوم ، لا أن يقال : انّه بعيد فلا يهمّ العمل لأجله ، فانّ الانسان لا يهتمّ للمستقبل البعيد (يذهب اليوم) أى أيام الدّنيا (بما فيه) من خير و شرّ (ويجئ الغد) و هو ما بعد الموت (لاحقا به) أى بهذا اليوم ، الّذى نحن فيه من أيام الدّنيا ·

(فكأنّ كلّ امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته) و هو القبر (و مخطّ حفرته) الحفرة المكان الذى يحفر ، و المخطّ موضع التّخطيط ، فانّ القبر يخطط مقداره اولا ، ثم يحفر (فيا له) لفظة تعجّب فى فرح أو حزن أو ما أشبه ، و أصله ((يا قوم له)) و الضّمير عائد الى ما يسبقه ، يفسّره ((من)) فيما بعده ، و ((اللام)) تعجّب من هذا النّحو من المالكيه ، فمثلا : مالكية القبر لهذا النّحو من الوحدة المنقطعة عن جميع النّاس ، و هكذا ·

(من بيت وحدة) لا أحد مع الانسان فيه (و منزل وحشة) يوجب وحشة الانسان ، و هى حالة خوف تطرئ على الانسان المتوحّد فى محلّ مخوف ، كالصّحراء أو المكان المظلم أو ما أشبه (و مفرد غربة) أى محل يفرد فيه الانسان و هو غريب لا عهد له به (وكان الصيحة) أى صيحة الموت ، أو صيحة القيام للمحشر (قد أتتكم) و الثّانى أقرب ·

وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ .

(و السّاعة) أى ساعة القيام للسوق نحو المحشر (قد غشيتكم) أى شملتكم (و برزتم) أى ظهرتم فى المحشر (لفصل القضاء) أى للقضاء الفاصل بين السّعيد و الشّقى و أهل الجنّة و أهل النّار (قد زاحت) أى انكشفت (عنكم الأباطيل) الّتى كانت تكتنفكم فى الدّنيا ، من زخارفها و مالها و جاهها و ما أشبه ، لأن الانسان يجرد من كلّ ذلك فى الآخرة .

(و اضمحلّت) أى بطلت (عنكم العلل) الّتى كنتم تعللون بها أعمالكم الفاسدة فى الدّنيا ، فانّ هناك لا تقبل العلل الباطلة ، كأن يعلل شربه للخمر بأنه اعتادها ، او لعبه للقمار بأنه مسلّى له (و استحقّت بكم الحقائق) أى أحاطت بكم ، يقال استحقّ الدين اذا جاء وقته (و صدرت بكم الأمور مصادرها) أى وصلتكم الأمور الصّادرة من مصادرها ، و هذا للتهويل ، فانّ الأمر لا يصدر من المصدر الا انه يوجب غاية و نتيجة مهمة بالنسبة الى الانسان (فاتعظوا بالعبر) جمع عبرة ، وهى ما يوجب التفات الانسان ، وادراكه لما ينفع و ما يضر (و اعتبروا بالغير) أى التغيرات فان تغيرات الدنيا توجب اعتبار الانسان ان فكر فيها و أعطاها حقّ النظر (و انتفعوا بالنّذر) جمع نذير و هو كل أمر يوجب تخويفا من عمل ، لأنّ له عاقبة سيّئة .

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عَلَيهِ السَّلام

فيها بيان فضل الرسول ، وغظمة القرآن ، و دولة بنى أمية

أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ . ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ،

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عَلَيهِ السَّلام

فيها بيان فضل الرّسول ، وعظمة القرآن ، و دولة بنى أميـة

(أرسله) أى أرسل اللّه تعالى محمّد صلّى اللّه عليه و آله (على حين فترة من الرّسل) أى حين عدم وجود الرّسل ، و بعد زمانهم الذى كانوا فيه ، فان بين رسول الاسلام ، وعيسى عليه السّلام ما يقرب من خمسائة عام (وطول هجعة) أى نوم ، والمراد نوم عن المعارف و الأحكام (من الأمم) فقد كانت أمم العالم تغطّ فى نوم الجهل و الغفلة (و انتقاض من المبرم) أى المحكم ، و اصله مبرم الحبل و نحوه اذا فتل فتلا قويا ، أى انّ أحكام اللّه سبحانه المبرمة كانت منقوضة فى زمن الجاهليّة لا يعمل بها .

(فجاءهم) الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (بتصديق الّذى بين يديه) أى ما كان أمامه صلى الله عليه و آله من الرّسل و أحكام اللّه سبحانه (و النّـور) أى جاءهم الرّسول بالنّور (المقتدى به) و هو القرآن الحكيم ، الّذى يقتدى به النّاس (ذلك) النّور هو (القرآن فاستنطقوه) أى اطلبوه أن ينطق لكم ، و لكنه (لن ينطق) نطقا باللّسان ، و انما النّطق بمعنى بيان القصص والمعارف

وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُم عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

منها : فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَىٰ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ

و الأحكام .

(و لكن أخبركم عنه) أى عن القرآن ، و كيفية ارشاده (ألا إنّ فيه علم ما يأتى) من أحوال القيامة و الجنّة و النّار و ما أشبه (و الحديث عن الماضى) المبدء و أحوال الأنبياء و قصصهم مع أقوامهم (و دواء دائكم) فانّ داء الانسان الجهل و المرض و الرّذيلة ، و دواء الكلّ فى القرآن (و نظم ما بينكم) فانّه ينظم أمور النّاس حتّى يسعدوا جميعا فى ألفة و رفاه ...

(منها :) فى دولة بنى أميّة (فعند ذلك) أى قيام الحكم الأموى (لا يبقى بيت مدر) مصنوع من حجارة و نحوها (و لا وبر) مصنوع من الشّعر و نحوه ، أى الخيام (الاّ و أدخله الظّلمة) جمع ظالم ، و المراد حكّام بنى أمية (ترحة) أى بؤسا و شدّة ، ضد ((فرحه)) .

(و أولجوا فيه نقمة) أى أدخلوا فيه الانتقام و الشدة ، فانّ حكم الباطل هكذا يكون دائما ، يوجب ضيقا فى النّفوس ، و ضنكا فى الحياة (فيومئذ) أى فى ذلك اليوم الّذى يحكم فيه الأمويون و يذيقونكم ألوان العذاب .

(لا يبقى لكم فى السّماء و لا فى الأرض ناصر) و ذلك لأنّ النّاس اذا اشتغلوا بالمعاصى ، و لم يغيّروا المنكر ، انقطع عنهم عون السّماء ، و اذا انقطع عون السّماء ، لم يكن لهم عون فى الأرض (أصفيتم) أى آثرتم و قدمتم (بالأمر

غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَٱلْمَقِرِ ، وَلِبَاسِ شِعَارِ ٱلْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا ٱلْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ ٱلْآثَامِ فَأُقْسِمُ ، ثُمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا

غير أهله) أي بأمر الخلافة و الامارة ٠

(و أورد تموه غير مورده) تشبيه للخلافة بالحيوان الّذى يورد على الماء ،فانه اذا أورده السّائق فى غير المشرعة تعب السّائق و الحيوان معا ٠

(و سينتقم اللّه ممّن ظلم) باعطاء الأمر الى الأمويّين ، و السّكوت على أعمالهم (مأكلا بمأكل) أى يؤكله سبحانه المرّ ، كما أكل الحلو (و مشربا بمشرب) أى يشربه الكدر ، كما شرب العذب (من مطاعم العلقم) شئ شديد المرارة (و مشارب الصّبر و المقر) الصّبرعصارة شجرة مرة ، و المقرّ السّم ،يعنى انّ الجزاء تقديم بنى أميّة هذه الأمور ، و هى كناية عما يلاقونه من الشّدائد فى دولتهم ٠

(و) من (لباس شعار الخوف) أي باطنه الخوف (و دثار السّيف) أى ظاهره السّيف ٠ فانّ الانسان فى دولة الظّلمة خائف القلب ، مهيّئ السلاح وشبه الخوف بالشّعار ــ و هو الثّوب الّذى يلاصق شعر الجسد ــ لأنه فى داخل قلب الانسان ، و أما الدّثار و هو الثّوب الّذى فوق الشّعار ظاهر، ولذا شبّه به السّيف الظّاهرعلى جسد الانسان ٠

(و انّما هم) أى آل أميّة (مطايا الخطيئات) كأنّ الخطايا و الآثام تركب عليهم لتسوقهم الى النّار (و زوامل الآثام) جمع زاملة ، و هى : ما يحمل عليها الطعام من الابل ونحوه (فأقسم ثم اقسم) تكرار للتأكيد (لتتخمنها

أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يبين فيها حسن ادارته للرعية

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ ،

امية) النخامة : ما يدفعه الصدر او الدماغ من الماء اللزج ، معنى الجملة ان امية تلفظ الخلافة ، كما يلفظ الانسان النّخامة ، وذلك كناية عن خروج الأمر من أيديهم ، بسبب بنى العبّاس (من بعدى كما تلفظ) أى تطرح (النّخامة) ولعلّ وجه أسناد اللّفظ اليهم ، انّهم ارتكبوا جرائم أوجبت ذلك — وان كان خروج الخلافة عنهم كان بكره منهم — .

(ثم لا تذوقها) أى الخلافة (ولا تتطعم بطعمها) أى لا تعرف طعم الخلافة (أبد ، ما كرّ الجديدان) هما اللّيل والنّهار وكرهما ودورانهما .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يبين فيها حسن ادارته للرعية

(ولقد أحسنت جواركم) ايّها المسلمون ، فأوصلت الخير اليكم ، وكففت الأذى عنكم (وأحطت — بجهدى — من ورائكم) أى حفظتكم عن أن ينال أحد منكم مكروها ، كما يحيط البناء بالانسان حافظا له عن الأخطار (و أعتقتكم من ربق الذّل) جمع ربقة ، وهى : الحبل فيه عرى ، لربط اعناق الاغنام بها

وَحَلَقِ الضَّيْمِ ، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ ، وَ شَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ ، مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ .

لينخرط الكل فى نظام واحد يساقون كما يشاء الرّاعى ، فان عثمان جعل المسلمين اذلاّء ، بسبب أعماله و حكّامه ، حتّى انّهم كانوا يعدون العراق ((بستان قريش)) .

(وحلق) جمع حلقة (الضّيم) أى الذّل ، فكأنه حلقة فى رقابهم ، و أيديهم و أرجلهم (شكرا منّى للبرّ القليل) أى ما رأيته من برّ بعضكم ، فانّى جازيت ذلك البرّ بتلك الأعمال من احسان الجوار وغيره (و اطراقا) يقال أطرق رأسه ، اذا لم يرفعها ، وكأنه لا يرى ما يفعل أمامه (عمّا أدركه البصر) منكم من سوء الأعمال (و) اطراقا عمّا (شهده البدن) أى لمسه بدنى — و ذلك كناية عما أدركه عليه السلام والأذى الوارد على جسده الشريف — (من المنكر الكثير) الصّادر منكم ، كل ذلك بعكس عثمان و ولاته ، الّذين سبقوا الامام فى ادارة البلاد .

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

في حمده سبحانه و بيان عظمته ، و فضائل رسله ،و حقيقة الرجاء

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ .

اَللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَىٰ ما تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَىٰ مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي ؛ حَمْداً يَكُونُ أَرْضَىٰ ٱلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ .

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليهِ السَّلام

في حمده سبحانه ، وبيان عظمته ، وفضائل رسله ، وحقيقة الرجاء

(أمره) سبحانه بشئ (قضاء) لازم لا يمكن الفرار عنه (وحكمة) فانه تعالى لا يأمر الا حسب المصلحة والخير (ورضاه) اذا رضى عن أحد (أمان) له عن الأخطار (ورحمة) له بالانعام والافضال (يقضى) أى يحكم فيما يحكم (بعلم) فليس حكمه صادرا عن جهل .

(أللّهمّ لك الحمد على ما تأخذ و تعطى) فان كليهما خير للانسان ، ولذا يستحقّ سبحانه على كل واحد منهما الحمد و المدح (وعلى ما تعافى و تبتلى) فانّ ابتلاءه اما لحط ذنب اولرفع درجة ، وكلاهما نعمة تستحق الحمد (حمدا يكون أرضى الحمد لك) أى تكون أنت أكثر رضا من ذلك الحمد ، من رضاك سائر أنواع حمد الحامدين ، وذلك كناية عن بلوغ حمد الحامد الدّرجة الكاملة حتى يكون سبحانه شديد الرضا به (وأحبّ الحمد اليك) أى تحبّه أكثر من حبّك لسائر أنواع المحامد (وأفضل الحمد عندك) فانّ الرّضا والحب قد يتعلّقان بغير الأفضل ــ كما يتداول عند النّاس ــ .

حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ .

حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ،

(حمدا يملأ ما خلقت) هذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، فلو كان الحمد جسما لملأ كل شئ ، ومثل هذا الكلام تعبيرعن مدى اهتمام النفس بهذا الجانب ، حتى انه لو تمكن من هذا المقدار من الحمد ــ تكوينا،لا رمزا ، كما يقوله الآن ــ لمحّد ، والحاصل انّ مثل هذا اللّفظ رمز الى هذا المقدار من الحمد النّفسى ، كما تقول : ألف رحمة على فلان ، تريد انّك لو قدرت لترحمت عليه ألف مرة ((رحمة رحمة رحمة ٠٠٠)) حتّى تبلغ الألف فى التّعداد وحيث لا تقدرعلى ذلك ــ عدم قدرة حقيقة أو ادّعاء جعلت لفظ ((الألف)) رمزا الى ذلك ، دلالة لما تنطوى عليه نفسك من ارادة نزول الرحمة على ((فلان)) (ويبلغ ما أردت) لوكان جسما ، وأريد بلوغه الى المكان المرتفع ((الفلانا)) لبلغ (حمدا لا يحجب عنك) فانّ الانسان اذا كان عاصيا حجب ومنع حمده عن اللّه سبحانه ، بمعنى انّه لم يقبل ولم يترتّب عليه الأثر المترتّب على حمد الحامدين (ولا يقصر) نفس الحمد (دونك) أى دون البلوغ الى رضاك ، فانّ عدم الوصول قد يكون بسبب منع مانع عن الوصول وقد يكون بسبب عدم وجود المقتضى فى الشّئ ٠

(حمدا لا ينقطع عدده) فلوكان يعد لبقى الى الأبد (ولا يفنى مدده) ما يمدّه من الحمد المتوالى بعضه اثر بعض ٠

(فلسنا نعرف كنه عظمتك) أى مقداره الزائد ، و ((الفاء)) لتعليل هذا الحمد الكثير ، كأنّ قائلا قال : ولم هذا القدر الكبير من الحمد٠؟ فأجيب

إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ «حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ». لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ. أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ «بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ». وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ،

لعظمته سبحانه البالغة حدّاً لا يدرك، فهو أعظم من أن يفى الحمد مهما كثر بعظمته (إلاّ إنّا نعلم انّك حيّ) لا تموت أبدا (قيّوم) قائم بالأمور لا تغفل عنها طرفة عين (لا تأخذك سنة) هى مقدّمة النّوم (ولا نوم) فانّه سبحانه لا تعرض عليه العوارض (لم ينته اليك نظر) فيراك أحدك من خلقه، لأنّ النّظر يقع على الجسم و لوازمه و هو سبحانه منزّه عنهما.

(ولم يدركك بصر) عطف بيان للجملة السّابقة، أو المراد بالنّظر: الفكر فالجملتان مختلفتان (أدركت الأبصار) والتّخصيص بها للمقابلة (وأحصيت الأعمال) بمعنى علمه سبحانه بها و بكميتها و كيفيتها.

(وأخذت بالنواصى) جمع ناصية، وهى: مقدم الرأس (والأقدام) جمع قدم، و ذلك كناية عن كون النّاس تحت قدرته الكاملة، كما انّ من يأخذ بناصية شخص و قدمه ـ جميعا ـ يكون مسلّطا على المأخوذ أقوى سلطة (و ما الّذى نرى من خلقك؟) استفهام للتّحقيق، أى انّ مرئياتنا ليست بمهمّة بالنّسبة الى غيرها الّتى لا نراها ممّا خلقت و صنعت (و نعجب له من قدرتك) ممّا ندركه بحواسنا (و نصفه من عظيم سلطانك)؟.

(و) الحال ان (ما تغيب) أى غاب (عنّا منه) أى من خلقك (و قصرت أبصارنا عنه) فلا نراه لبعده عنّا، أو لحيلولة شئ بيننا و بينه، أو لصغره

وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَالِهاً ، وَفِكْرُهُ حَائِراً .

منهـا : يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ ،

حتّى لا يرى بالعين المجرّدة (وانتهت عقولنا دونه) فلا تدركه عقولنا ، لأنّ عقولنا أقصر من ادراكه .

(وحالت سواتر الغيوب) أى كونه غائبا عنّا ، فكأنّ الغيب ساتر (بيننا وبينه) فلا تدركه (أعظم) خبر قوله ((وما تغيب منّا)) ثمّ لمح عليه السّلام الى بعض ما لا يدركه العقل من أسرار الخلقة بقوله (فمن فرّغ قلبه) عن كلّ شئ ليفكّر فى هذا الأمر : ((كيف أقمت)) فقط (واعمل فكره ليعلم كيف أقمت عرشك) على أكتاف الملائكة ، أو فى الفضاء أو المراد كيف هو ـ بالذّات ـ .

(وكيف ذرأت) أى خلقت (خلقك) من أى شئ ، وبأية كيفيّة (وكيف علّقت فى الهواء سماواتك) هذه الأجرام الثّقيلة ، والمنضمات الكثيرة .

(وكيف مددت على مور الماء) أى اضطرابه وموجه ـ الذى كان عند بدء الخلقة ـ (أرضك ، رجع) جواب ((من فرغ)) (طرفه حسيرا) أى ممنوعا عن الفهم والاسناد الى الطرف ، لأنه آلة الادراك (وعقله مبهورا) أى مغلوبا عن الفهم (وسمعه والها) اذ لا يسمع ما يفيد ذلك (وفكره حائرا) غير مدرك لما أراد .

(منها :) فى بيان حقيقة الرّجاء (يدعى ـ بزعمه ـ انه يرجو اللّه) و

كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ - إِلَّا رَجَاءَ ٱللهِ تَعَالَىٰ - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ، إِلَّا خَوْفَ ٱللهِ فَـإِنَّهُ مَعْلُولٌ .

الرجاء عبارة عن تقرب المحبوب ، ورجاء الله ترقّب رضاه واحسانه وفضلـــه (كذب) فى قوله انه يرجو (و) الله (العظيم) انه لا يرجوا رجاءا حقيقيّا (ما باله لا يتبيّن رجاؤه فى عمله) ؟ ((ما باله)) أى ما شأنه ، لو صدق فى قوله ، انه لا يظهر من أعماله كونه راجيا ٠

(فكل من رجا عرف رجاؤه فى عمله) فانه لا يصح أن يقول الزارع انى أرجو أن احصل فى هذه السنة على حنطة جيدة ، وهو لم يزرع الحنطة ، أو يقول المهندس انى أرجو أن احصل على دار جميله ، وهو لم يخطط ولم يبين ، فان الرجاء عبارة عن ترقب المحبوب ، بعد تهيئة الانسان للمقدمات التى بيده ، و انما الرجاء بالنسبة الى سائر المقدمات التى ليست بيد الانسان ، فانه يرجـــو تمامها بقدرة الله تعالى ، ويخاف عدم تمامها ، كما يرجو ويخاف الزارع اذا زرع ، ان يهطل المطر ، وان لا يهطل ٠

(وكل رجاء الا رجاء الله تعالى ، فانه مدخول) اى مغشوش قد دخله العيب اذ ليس بايدى الناس شئ ، الا اذا شائت الاقدار ، وهذا كما يقال كل ملـك غير ملك الله مجاز ، فلو قدر الله وصول الدينار من ((زيد)) الى الرّاجى وصل ولو لم يقدر لم يصل ٠

(وكلّ خوف محقّق) أى انّ الناس يخافون من كل مخوف خوفا حقيقيّـــا (الاّ خوف الله فانه معلول) أى فيه علّة وسقم ، فانّ الغالب من النّاس لا يخافون الله سبحانه ، خوفا هو أهله ولذا يغلبهم الذنب ، مع العلم انه لو

يَرْجُو ٱللهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي ٱلرَّبَّ ! فَمَا بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَ كَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي

كان خوفهم خوفا تاما لم يقدموا على الذنب ، بعد ما أعدّ له من العقاب ۰

ثم بين عليه السلام ان الناس كيف لم يؤدّوا حق الله مع عظيم رجائهم منه ۰

(يرجو الله فى الكبير) أى فى الشئ الكبير كالأولاد و الجنّة ، وما أشبه (و يرجو العباد فى الصّغير) كاعطائه مالا أو منصبا أو ما أشبه (فيعطى العبد) من التقدير و الاحترام (ما لا يعطى الرّب) من الائتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهيه ، وهذا كما لو رجوت ((زيدا)) ألف دينار ، ولم تطعه ، ورجوت ((خالدا)) دينارا و أطعته ۰

(فما بال الله) أى ما شأن الانسان مع الله (جلّ ثناؤه يقصر به عمّا يصنع لعباده) أى لا يأتى الانسان بواجب تقديره ، مثل ما يأتى بواجب تقدير العباد ((أتخاف أن تكون فى رجائك له كاذبا) ؟ فأنت لا ترجوه حقيقة، ولذا لا تقدّره حقّ قدره ، بينما ترجو سائر العباد حقيقة ، ولذا تقدرهم حق قدرهم والمعنى : هل السبب فى عدم تقديرك لله انك لا ترجوه حقيقة ۰

(او) السبب فى عدم تقديرك له سبحانه انك (تكون لا تراه للرجاء موضعا) و من الطبيعى ان من لا يرجوه الانسان لا يقدره ۰ بخلاف الناس ، فانت تراهم موضع رجاء و أهلا لا يرجون ، فلذا تقدرهم (وكذلك) لما أتمّ عليه السّلام الكلام حول الرّجاء تكلم حول الخوف ، على طريق ((اللف و النشر المرتب)) ۰

(ان هو) أى الانسان (خاف عبدا من عبيده أعطاه من خوفه مالا يعطى

رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً . وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا قَلْبِهِ ، آثَرَهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْداً لَهَا .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَىٰ ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ،

ربّه) فانّ الانسان الخائف من شخص يتجنب سخطه و يريد ارضاءه بكلّ وسيلة ليحمد الخوف ، وليس الانسان كذلك مع الله ، فانه و ان خافه لم يطعه ، ولم يأت بمرضاته ، ولذا لا يعصى الانسان الملك الذى يخاف منه ، ويعصى الله و ان ادعى انه يخاف منه تعالى (فجعل خوفه من العباد نقدا) حيث يأتى بمقتضى الخوف (و خوفه من خالقهم) أى خالق العبيد (ضمارا) يسوف به و يضمره (و وعدا) يعد و لا يفى ٠

(و كذلك من عظمت الدّنيا فى عينه) يعامل مع الله أقل من معاملته مع النّاس ، فى بابى الرّجاء و الخوف ، لأنه قدم الدنيا على الآخرة (وكبر موقعها فى قلبه) أكبر من موقع الله سبحانه و موقع الآخرة (آثرها) أى اختارها و قدّمها (على الله تعالى فانقطع اليها) فلم يسر الى ماورائها (و صار عبدا لها) فى الانقياد و الخضوع لا عبدا لله سبحانه ٠

(ولقد كان فى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - كاف لك فى الأسوة) أى الاقتداء (و دليل لك على ذمّ الدّنيا وعيبها) أى انها مذمومة معيوبة (و كثرة مخازيها) جمع مخزى ، بمعنى الخزى - و هو السقوط عن درجة الاعتبار و اهمال الشأن بحيث لا يعتنى به - (و مساويها) من السوء بمعنى القبح ٠

إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَىٰ كَلِيمِ ٱللهِ – عليه السلام – **إِذْ يَقُولُ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».**

ثم بين عليه السلام وجه الدلالة بقوله : (اذ قبضت عنه أطرافها) أى أطراف الدنيا . طرف المال وطرف المأكل ، وطرف النّساء وهكذا ، فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله لم يتمتّع بمال الدنيا ومأكلها ، والحسان من أبكارها – وهذا وان كان بارادة الرسول صلى اللّه عليه وآله فى الواقع ، الا انه لم يتهيّأ له صلّى اللّه عليه وآله ما تهيّأ للقياصرة والاكاسرة فى الظّاهر – ولو كانت الدّنيا حسنة ممدوحة ، لم يحرم منها الرسول صلى الله عليه وآله وتعطى لغيره .

(ووطئت لغيره أكنافها) جمع كنف ، بمعنى : الجانب ، ومعنى ((وطئت)) هيّئت وذلّلت (وفطم عن رضاعها) كناية عن عدم التذاذه صلّى اللّه عليه وآله بلذائذ الدّنيا (وزوى) أى ابتعد (عن زخارفها) جمع ((زخرف)) بمعنى الزّينة .

(وان شئت) أن تدرك كيف انّ الدّنيا مذمومة (ثنّيت بموسى كليم اللّه عليه السّلام) أى ذكرته صلى الله عليه وآله ثانيا ، لترى كيف انه انقطع عن الدنيا (اذ يقول) كما يحكيه القرآن الحكيم (((ربّ انّى لما أنزلت الىّ من خير ، فقير))) ((فقير)) مبتدء مؤخر ، و ((لما)) خبر مقدم ، أى أنا فقير لكل نوع من أنواع الخير الذى تتفضّل به علىّ ، وقد قال موسى عليه السلام ذلك حين ما جاء الى ((مدين)) هاربا من ((فرعون)) ولم يكن زاد ولا مركب ولا

وَ ٱللهِ ،مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُودَ – عليه السلام – صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ ، وَقَارِىءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ . فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا .

مأوى (و اللّه ما سأله الا خبزا يأكله) فكان سؤاله عليه السلام لشبع بطنه (لأنه كان يأكل بقلة الأرض) فى سفره من ((مصر)) الى ((مدين)) .

(ولقد كانت خضرة البقل) أى العشب (ترى من شفيف صفاق بطنه) الصفاق الجلد الأسفل تحت الجلد الذى عليه الشعر ، و شفيفه كونه غير ممتل حتى يكون كالزجاج رقة (لهزاله) عليه السلام (و تشذّب لحمه) أى تفرّقه و تحلّله ، حتّى لم يبق له لحم كثيف يحول بين ما فى البطن ، و بين نفوذ النظر فى الداخل ، فلو كانت الدنيا ممدوحة لم تذ و عن مثل موسى عليه السلام .

(و ان شئت) الزيادة فى عرفان ذم الدنيا (ثلّثت بداوود عليه السلام) أى ذكرته كمثال ثالث (صاحب المزامير) جمع ((مزمور)) و هو ما يترنم به من الأناشيد ، فقد كان داوود عليه السلام يقرء ((الزبور)) – و هو الكتاب السّماوى المنزل عليه بلحن طيب جميل ، لا بلحن الغناء – كما ربما يزعم – .

(و قارئ أهل الجنّة) كما ورد فى الأحاديث انّ اللّه سبحانه ينعّم على أهل الجنّة بقراءة داود بصوته الجميل الرخيم (فلقد كان يعمل سفائف الخوص) جمع سفيفة ، و هى : المنسوجه من خوص الأشجار ، أى كان ينسج الخوص (بيده) الكريمة (و يقول : لجلسائه أيكم يكفينى بيعها) بأن يبيع هذه السّفائف ، لكى لا ابيعها أنا بنفسى (و يأكل قرص الشعير من ثمنها) أى ثمن

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ . وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَ لَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ،

تلك السفائف ، ولو كان للدنيا قدر ، لم يتركها مثل داود النبى العظيم عليه السلام .

(وان شئت) الزيادة فى معرفة ذمّ الدنيا (قلت فى عيسى بن مريم عليه السّلام) بعض أحواله و زهده فى الدنيا (فلقد كان يتوسّد الحجر) اى يجعله وسادته ، فيضع رأسه عليه (ويلبس) اللّباس (الخشن) غير النّاعم(و يأكل الحشب) أي الغليظ من الطعام (وكان ادامه) هو الشئ الّذى يؤكل مع الخبز (الجوع) هذا كناية عن انه لم يكن له ادام ، بل كان يأكل قدرا من الخبز ، و يجوع عوض الادام فالجوع كان يملأ بعض بطنه عوض الادام ، وهذا من بليغ العبارة :

(وسراجه باللّيل القمر) اذ لم يكن له مصباح يستضيئ بنوره فى اللّيالى(و ظلاله فى الشّتاء) أى ما يظله من البرد (مشارق الأرض ومغاربها) ففى الصباح كان يأوى نحو الشّرق حتّى تشرق عليه الشمس ، وفى العصر نحو الغرب حتى لا يحرم من الشمس .

(وفاكهته وريحانه) الفاكهة الثمار ، كالرمان ، والريحان الخضروات كالفجل (ما تنبت الأرض للبهائم) من القت و نحوه (ولم تكن له زوجة تفتنه) أى توجب فتنته و امتحانه (ولا ولد يحزنه) أى يوجب حزنه ، لمرضه أوما أشبه

وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ !

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ،

(ولا مال يلفته) أي يجلب التفاته و نظره فينشغل عن الآخرة (ولا طمع) في مال احد او منصب او شئ (يذله) فان الطامع يذل لمن يطمع فيه .

(دابّته رجلاه) فكان يسير من مدينة الى مدينة راجلا بغير دابة (وخادمه يداه) لا خادم له يخدمه ، و انما كان يقضي حوائجه بنفسه ، ثم لا يخفى ان مثل هذا الالحاح في الأحاديث وكلمات الرسول و الأئمة عليهم الصلاة و السلام ، انما هو لتعديل جانبي الدنيا و الآخرة ، فان الناس مغرقون في الدنيا ، و من الغريب ان الناس بعد ذلك كله لم يعتدلو ، بل مضو في نفس الخطة البهيمة لكن بادني تفاوت .

(فتأسّ) أي اقتد ايها المسلم (بنبيّك الأطيب) ريحا (الأطهر) خلقا ، و في سائر أنواع الطّهارة (صلى الله عليه وآله) دعاء في صورة خبر، أي اللهم اعطف عليه و ارحمه بفضلك (فانّ فيه) صلى الله عليه وآله (أسوة) و . مقتدى (لمن تأسّى) أي لمن أراد الاقتداء ، لأنه صلى الله عليه وآله كامل في الجهات الانسانية ، و المثل الرفيعة (وعزاء) أي صبرا و سلوة (لمن تعزّى) أي لمن أراد التصبّر و التسلّي ، فانّ الانسان الّذي يترك اللّذائذ تهيج به النفس ، فلابد له من سلوة يتسلّى بها ، فان النفس تستقر اذا رأى الذين هم مثلها في الصبر عند المكاره .

(وأحبّ العباد الى الله المتأسّي) أي المقتدي (بنبيّه) صلى الله

وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ .

عليه وآله وسلم (والمقتص) أي المتتبع (لأثره) يمشى فى المحل الـــذى مشى فيه ، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ـ تقريبا للذهن (قضم) صلّى الله عليه وآله (الدنيا قضما) القضم ، هو : الكسر بالأسنان ، فكأنه صلّى الله عليه وآله كسر الدّنيا كسرا ، ولم يبق عليها سالمة كمن يقضم الشئ الذى لا حاجة له به (ولم يعرها) من أعار بمعنى أعطى العارية (طرفا) أى لم ينظر اليها ، ولم يعطها طرفه ، وانّما كان نظره الى الآخرة ٠

(أهضم أهل الدّنيا كشحا) الكشح : ما بين الخاصرة والضلع الخلفى ،أى انه صلّى الله عليه وآله كان أخلى النّاس بطنا ، فانّ الهضم بمعنى خمص البطن وخلوه من الطعام ، وذلك كناية عن اعتراضه عن الدنيا (واخمصهم من الدنيا بطنا) اى ان بطنه كان اخلى بطون اهل الدنيا (عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها) فان الله سبحانه عرض الدنيا على الرسول صلى الله عليه وآله ،لكن الرسول صلى الله عليه وآله امتنع من قبولها ،لانه كان يعلم انه لافائدة فيها وانها زائلة لاتبقى ٠

(وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئا) أى الدّنيا (فأبغضه) وبغض الله للدّنيا ، من جهة كونه سبحانه يعصى فيها ، والاّ فالدّنيا المحلّلة الّتى هـى وسيلة الآخرة ، فقد كان النّبى صلّى الله عليه وآله وسائر الرّسل يقبلون عليها ، ولذلك أخذ الرّسول صلّى الله عليه وآله فى يده الملك والقوّة (وحقّر) الله (شيئا فحقّره) أى عدّه حقيرا ، فانّ الدّنيا فى جنب الآخرة حقيرة جدّا ،حتّى لا تساوى جناح بعوضة ٠

وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لله ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ . وَلَقَدْ كَانَ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ،

(و صغّر شيئا فصغّره) والفرق بين الحقير و الصّغير ، انّ ما لا كمال له ، و الثّانى مالم يبلغ الكمال ، وانكان له كمال مترقّب ، ولذا يقال للطّفل صغير ولا يقال له حقير (ولو لم يكن فينا الاّ حبّنا) أى محبّتنا (ما أبغض الله) ايّاه (و رسوله) له ، ومصداق ((ما)) : الدّنيا ، أى حبّنا للدّنيا الّتى أبغضها الله و رسوله .

(و تعظيمنا) لـ (ما صغّر) ه (الله و رسوله) والمراد بها الدّنيا أيضا (لكفى به) أى بذلك الحب (شقاقا لله) المشاقة بمعنى : المخالفة، كأنّ أحد الطّرفين فى شق ، والآخر فى شقّ ثان (ومحادة عن أمر الله) المحادّة المخالفة في عناد (ولقد كان صلّى الله عليه و آله يأكل على الأرض) أى جالسا عليها ، لا على الكرسى والفرش ، أوكان يضع خبزه و ما أشبه على صعيد الأرض .

(ويجلس جلسة العبد) فانّ العبد لا يجلس جلسة استراحة و تربيع ، و انّما يجلس جلسة المنتظر للقيام ، لأنه منتظر لأمر مولاه ، حتّى اذا أمره كان مهيّا فورا ، بدون تأخير حتى بمقدار أن ينتقل من الجلسة المريحة الى الجلوس التّهيئ ثم القيام ، وهكذا يكون دائما أصحاب الأشغال الكثيرة المتواضعون فى أنفسهم (ويخصف) أى يخيط (بيده نعله) اذا احتاجت الى الخياطة و نحوها (و يرقع بيده ثوبه) الرّقعة : الوصلة ، توضع فى موضع الخرق ، ثمّ

وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَىٰ بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ : « يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَىٰ أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا ». فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَي لَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً ، وَلَا

تخاط بالثوب لئلاّ يبقى الخرق (و يركب الحمار العارى) فلا يأنف من عريه (و يردف خلفه) هو أن يجلس الرّاكب معه غيره ، و هذا يدلّ على التّواضع.

(و يكون السّترعلى باب بيته فتكون فيه التّصاوير) أى الصور مقابل السّتر الّذى لا صورة فيه (فيقول) صلى الله عليه و آله (يا فلانة ـ لأحدى زوجاته ـ غيّبيه عنّى) و المراد رفع السّتر ، لا يبقى معلقا تظهر صوره (فانّى اذا نظرت اليه ذكرت الدّنيا و زخارفها) جمع زخرف ، بمعنى : الزّينة ، ومن المعلوم انّ الانسان بمقدار ما تذكّر الدّنيا و تعلّق قلبه بها ، يغفل عن الآخرة ، فانّ القلب لا يتوجّه الى طرفين مختلفين ، كما أشار اليه سبحانه بقوله : ((ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه)) .

(فأعرض عن الدّنيا بقلبه) و لعلّ ذكر القلب للاشارة الى انّ الإعراض كان حقيقيّا ، لا كبعض النّاس ، الّذى يظهرون الاعراض ، و يبطنون الحبّ و الاقبال (و أمات ذكرها من نفسه) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فلم يكن يذكر الدّنيا و يميل اليها حتّى فى نفسه .

(و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه) حتّى لا يراها ، ليكون فى موضع الافتتان بها و الحبّ لها ، فانّ القلب يميل الى الشّئ الجميل اذا نظر اليه ، أو ذكرعنده (لكى لا يتّخذ منها رياشا) الرّياش اللّباس الفاخر و نحوه (و لا

يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً ، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ،

يعتقدها قرارا) أى انها دار قرار و بقاء ، فانّ الانسان اذا تعلّق قلبه بشئ قويت فيه ملكة التّلاقى معه دائما (ولا يرجو فيها مقاما) أى لا يترقّب البقاء و الاقامة فى الدّنيا (فأخرجها) صلى الله عليه وآله (من النّفس) فلم يكن للدّنيا فى نفسه الشّريفة محل و اعتبار (وأشخصها) أى أبعدها (عن القلب) فلم يتعلّق قلبه المبارك بها (وغيبها عن البصر) فلم ينظر اليها و لم يجمع حوله منها ما يقع نظره عليه (وكذا من أبغض شيئا أبغض أن ينظر اليه) لأنّ النّظر يذكر الانسان به فيهيج فيه عواطف العداء ممّا يوجب أذاه (وأن يذكر عنده) لنفس ذلك السّبب :

(ولقد كان فى رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ ما يدلّك على مساوئ الدّنيا) جمع المسائة ، بمعنى : العيب والنّقص (وعيوبها) وهو ضدّ الكمال ، والتّمام (اذ جاع فيها) أى فى الدّنيا (مع خاصّته) أى مع خصوصيّته و فضله عند اللّه سبحانه ، او المراد بخاصّته أهله ، الّذين هم ألصق النّاس به صلى اللّه عليه وآله رحما ، و لو كانت الدّنيا حسنة جميلة عند اللّه سبحانه لكان نصيب الرسول صلى الله عليه وآله منها أكثر ، لانه كان احب الناس اليه تعالى ، والأحب موفور النصيب وافر الحظ .

وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ : أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ .

وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ

(و زويت) أى بعدت (عنه) صلى الله عليه و آله و سلم (زخارفها) أى زينتها (مع عظيم زلفته) أى قربه من الله تعالى فان ((زلفى)) بمعنى القرب (فلينظر ناظر بعقله) أى نظر تدبّر و تفكّر هل (أكرم الله محمّدا بذلك) الزّهد فى الدّنيا (أم أهانه ؟) فانزواء الدنيا عنه ، اذا لم يكن اهانة ، حكم العقل بحسن اتباع هذه الطّريقة (فان قال اهانه فقد كذب و) الله (العظيم) اذ لم يوجد عاقل فى الدّنيا يحكم بأن الرّسول صلّى الله عليه و آله كان مهانا من هذه النّاحية ، بل جميع العقلاء يحبّون الانسان الزاهد الذى صرف نظره عن الدنيا و زخارفها .

(و ان قال أكرمه ، فليعلم انّ الله قد أهان غيره) أى غير الرّسول صلّى الله عليه و آله (حيث بسط الدّنيا له) أى لذلك الغير المثرى (و زواها) أى الدنيا (عن أقرب النّاس منه) منزلة ، و هو الرّسول صلّى الله عليه و آله (فتأسّى) أمر فى صورة الاخبار ، أى فليتأس ، و التأسّى : الاقتداء (متأسّ) أى من أراد التأسّى و الاقتداء (بنبيّه) فى الاعراض عن الدّنيا (و اقتصّ أثره) أى و ليتبع أثر الرسول فى الزهد فى ملذات الحياة (و ولج) أى دخل (مولجه) أى المحل الذى دخل فيه الرسول صلى الله عليه و آله .

(و الاّ) فان لم يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه و آله (فلا يأمن

ٱلْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَلَماً لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّراً بِٱلْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِٱلْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً ، وَوَرَدَ ٱلْآخِرَةَ سَلِيماً . لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَىٰ حَجَرٍ ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ !

الهلكة) أى الهلاك الأخروى (فانّ الله جعل محمّدا ـ صلّى الله عليه و آله ـ علما للسّاعة) أى علامة ليوم القيامة ، فانّ مبعثه أقرب من السّاعة ، من مبعث سائر الأنبياء ، فهو صلى الله عليه و آله الدليل الذى يقتدى به ، و من خالفه يقدم على هلاك نفسه مع قرب الساعة ، (و مبشّرا بالجنّة) لمن أمن و أطاع (و منذرا بالعقوبة) لمن كفر أو عصى (خرج) صلى الله عليه و آله (من الدنيا خميصا) أى خال البطن من الطّعام ، اما حقيقة ، أو كناية عن عدم تمتّعه باللّذات (و ورد الآخرة ، سليما) عن الآثام و الادران (لم يضع) لنفسه (حجرا على حجر) أى لم يبنى بيتا محكما كما يبنى أهل الدنيا ، و انّما صنع غرفه التى كانت دائرة مدار المسجد من اللّبن و الطّين ·

(حتّى مضى) صلى الله عليه و آله (لسبيله) أى طريقه الّذى يحبّ أن يسلكه و هو الموت (و أجاب داعى ربّه) و هو ملك الموت الّذى يدعو الى الله سبحانه (فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم علينا به) أى بالرّسول صلى الله عليه و آله (سلفا) أى فى حال كونه صلى الله عليه و آله سابقا علينا فى الطّاعة و العبادة ، أو سابقا فى العمر (نتبعه) فى أعماله و أفعاله (و قائدا) يقود النّاس الى الخير (نطأ عقبه) العقب : مؤخر القدم ، و وطئها كناية عن الاقتفاء التّام حتّى ان رجلنا تتصل برجله ، كأنها تطأ عقبه صلى الله عليه و آله ثمّ

وَٱللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّىٰ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا ؟ فَقُلْتُ : اُغْرُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ السُّرَىٰ !

بيّن عليه السّلام : انه اقتدى بالرسول صلى الله عليه وآله فى الزهد و الاعراض عن الدّنيا ٠

(و الله لقد رقعت مدرعتى هذه) هى ثوب من صوف (حتّى استحييت من راقعها) كما يستحى الانسان ذو الثوب الخلق من الناس الذين حواليه ٠

(ولقد قال لى قائل :) ولعلّه هو الرّاقع ، أوغيره (ألا تنبذها) ؟ أى تطرح هذه المدرعة لتستبدل بها جديدا ، وهذا استفهام للتّحريض ٠

(فقلت : اغرب عنّى) أى ابتعد (فعند الصّباح يحمد القوم السّرى) السّرى هو السّير ليلا ، فانّ القافلة اذا سارت ليلا ، وصل المحل قبل الصّباح ، فاذا أصبح حمد سيره فى اللّيل الموصل له الى الهدف ، وان كان فى اللّيل وقت السّير ، يكره السّير لنعاسه ولصعوبة السّير ، وهذا مثل يقال لمن يتحمل التّعب رجاء ادراك الخير ، وقد أراد الامام عليه السّلام بذلك ، انه يتحمّل مثل هذه المدرعة المشينة ، رجاء رحمة الله وفضله المعدّة للزاهدين فى الدنيا ٠

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيهِ السَّلام

فى صفة الرسول صلى الله عليه و آله ،واهل بيته عليهم السلام
و لزوم اتباع طريقتهم ، و الوعظ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ ٱلْمُضِيءِ ، وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي ، وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي . أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ،وَأَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ .

وَمِنْ خُطْبَة لهُ عَلَيهِ السَّلام

فى صفة الرّسول صلى الله عليه و آله ، و أهل بيته عليهم السلام و لزوم اتباع طريقتهم ، و الوعظ

(بعثه) الله سبحانه (بالنّور المضئ) و هى الأحكام التى تضئ سبيل السعادة (و البرهان الجلىّ) أى الواضح ، و هى المعجزات الباهرات التى كانت للنبى صلى الله عليه و آله مما تدل على صدق كلامه و ادعائه النّبوّة (و المنهاج) أى الطّريق (البادى) أى الظّاهر ، فانّ طريقة الاسلام ظاهرة،لا لبس فيها و لا غموض (و الكتاب) أى القرآن (الهادى) فانّه يهدى الى الحق و الى طريق مستقيم (أسرته خير أسرة) الأسرة : أقارب الانسان .

(و شجرته) أى أصله (خير شجرة) لأنها شجرة ابراهيم الخليل ، و الأنبياء من آله الأطهار (و أغصانها) أى أغصان تلك الشجرة و هم الأنبياء (معتدلة) لا انحراف فيهم (و ثمارها) و هى العلوم و المعارف المنتشرة منهم (متهدّلة) أى دانية للاقتطاف ، فكل أحد يتمكن من الوصول الى

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ . عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ
أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ
الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ .

معارفهم و علومهم .

(مولده بمكّة) أى انّها محلّ ولادته ، وهذا من جملة المفاخر ، اذ مكّة حرم اللّه سبحانه . (و هجرته بطيبة) و هى المدينة المنوّرة ، و كانت لها قبل تسمية الرّسول صلّى الله عليه و آله اياها بـ ((المدينة)) اسمان :

الأول : طيبة ، كانت اسما لها عند أهاليها ، لكثرة مياهها و زروعها ، و ندى هوائها ، فى وسط الجبال و الصّحراء القاحلة .

الثانى : يثرب ، كانت اسما لها عند سائر النّاس ، لأنهم اذا وردوها تمرّضوا لتغيّر المناخ عليهم من يبوسة الى رطوبة ، و كون الهجرة الى هناك مفخرة دنيويّة ، للتّخلّص من الهواء الشّديد ، الى الهواء اللّطيف (علا) أى ارتفع (بها) أى بالمدينة (ذكره) صلى الله عليه و آله (و امتدّ بها صوته) كناية عن بلوغ دعوته الى أطراف البلاد .

(أرسله) اللّه (بحجّة كافية) فى الدّلالة و البرهنة (و موعظة شافية) عن أمراض الجهل و الرّذيلة (و دعوة متلافية) من تلافاه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فلو لا الرّسول صلى الله عليه و آله كان النّاس يذهبون الى الشّقوة الأبديّة (أظهر) اللّه سبحانه (به) صلى الله عليه و آله (الشرائع المجهولة) عند النّاس (و قمع) أى قلع (به البدع المدخولة) الّتى دخلت فى الأديان كالوثنية ، و عبادة المسيح و عزير ، و ما أشبه .

(و بيّن به الأحكام المفصولة) الّتى فصلها الله سبحانه تفصيلا ، أو بمعنى

فَمَنْ يَتْبَعِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَىٰ ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَىٰ ٱللهِ تَوَكُّلَ ٱلْإِنَابَةِ إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّي إِلَىٰ جَنَّتِهِ ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَىٰ ٱللهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا ٱلنَّجَاةُ غَداً

الفاصلة بين الحق و الباطل فان اسم المفعول قد يأتى بمعنى اسم الفاعل ، نحو ((حجابا مستورا)) أى ساترا (فمن يتبع غير الاسلام دينا تتحقّق شقوته) أى شقائه فى الدنيا و الآخرة (و تنفصم) أى تنقطع (عروته) أى محل استمساكه بالحياة السّعيدة ٠

(و تعظم كبوته) أى سقطته ، لأنه يسقط فى مشاكل الحياة ، و فى النّار بعد المماة (و يكون مآبه) أى مرجعه ، من ((أب)) بمعنى ((رجع))(الى الحزن الطويل) فى الآخرة (و العذاب الوبيل) أى الموجب للوبال والشدّة (و أتوكّل على اللّه توكّل الانابة اليه) أى توكل من يرجع اليه سبحانه فى جميع أموره ، لا توكل من يجعل ذلك لقلقة لسانه بلا حقيقة له ٠

(و أسترشده) أى أطلب أن يرشد نى (السّبيل المؤدّى الى جنّته) والمراد. الابقاء على ذلك السّبيل ـ مثل : اهدنا الصّراط المستقيم ـ (القاصدة) صفة السّبيل و هى مؤنثة سماعا ، و المراد بها ((المتوسّطة)) التى لا انحراف فيها (الى محلّ رغبته) أى المحلّ الّذى رغب سبحانه أن يذهب الانسان اليه أى الجنّة ٠

(أوصيكم) يا (عباد اللّه بتقوى اللّه) أى الخوف منه (و طاعته) فى أوامره و نواهيه (فانّها) أى كل واحد من التّقوى و الطّاعة (النّجاة غدا) أى

وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ ؛ وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ -عِبَادَ اللهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا ، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَرُّفِ حَالَاتِهَا .

موجبة للنجاة فى الآخرة (والمنجاة) مصدر ميمى بمعنى ((النّجاة)) (أبدا) أى دائما فى الدّارين (رهّب) أى أخاف النّاس عن المعاصى (فأبلغ) فى ترهيبه ، اذ أتى بكلّ ما يمكن أن يوجد فى الانسان خوفا وخشية (ورغّب) فى الجنّة والرّضوان (فأسبغ) أى أحاط بجميع وجوه التّرغيب ، أو أكثر فى الاعطاء .

(ووصف لكم الدّنيا وانقطاعها) كما فى القرآن الكريم (وزوالها و انتقالها) ألفاظ متقاربة المعنى تؤدى الى أمر واحد ، وهو فناء الدّنيا (فأعرضوا) أيّها النّاس (عما يعجبكم فيها) أى ما يحلو فى أنفسكم ، من زخارف الدّنيا (لقلّة ما يصحبكم منها) فانّ منتهى عمر الدّنيا مائة سنة ، وهى تنقضى بسرعة .

(أقرب دار من سخط اللّه) سبحانه حيث يعصى فيها (وأبعدها من رضوان اللّه) أى رضاه سبحانه ، حيث تقل الطاعة فيها (فغضوا عنكم) يا (عباد اللّه ، غمومها وأشغالها) أى لا تهتمّوا بغموم الدنيا وأمورها ، و الغض كناية عن عدم الالتفات ، فكما انّ من غضّ بصره ، سترت عينه ، كذلك من غضّ همه ، ستره ولم يعتن به ، كأنه غير مشاهد (لما قد أيقنتم به) الضمير عائد الى ((ما)) (من فراقها وتصرّف حالاتها) أى انقلاباتها من حال الى

فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ. وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ،

حال (فاحذروها) وخافوا منها (حذر الشّفيق) أى الخائف (النّاصح) لنفسه الّذى يزجرها عن الوقوع فى الهلكة (والمجد) فى عمله (الكادح)الذى يكدح أى يتعب لخلاص نفسه ، وراحة مستقبله .

(واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم) مصارع جمع مصرع،والمراد به الهلاك ، والقرون ، الأمم الذين كانوا فى الدنيا ، حيث هلكوا وفنوا عن آخرهم ، ولم يبق منهم أحد ، ومعنى الاعتبار بهم التهيؤ والاستعداد للآخرة قبل أن يكون الانسان كأحدهم فى الفناء والذّهاب عن الدّنيا (قد تزايلت) أى تفرّقت (أوصالهم) أى مفاصل أبدانهم ، بأن زالت بعضها عن بعض (وزالت) أى ذهبت (أبصارهم وأسماعهم) فلا سمع لهم ولا بصر (وذهب شرفهم وعزّهم) فلا شريف ولا عزيز ، بل كلّهم متساوون تحت التّراب (وانقطع سرورهم ونعيمهم) فلا سرور وفرح لهم ، ولا نعيم عندهم، والمراد اما مطلقا ، أو الدنيوى من تلك الأمور .

(فبدلوا) أى بدلّهم الموت (بقرب الأولاد فقدها) اذ ابتعدوا عنهم (وبصحبة الأزواج) النساء ، او الأعم (مفارقتها) فلا أزواج لهم ، وانما نكحت نسائهم ، وصرن لقوم آخرين (لا يتفاخرون) بأن يفتخر بعضهم على بعض بالأمور الدّنيوية (ولا يتناسلون) بأن يولدوا الأولاد (ولا يتزاورون)

وَلَا يَتَحَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا ، عِبَادَ اللهِ ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ. الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ . النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ

يزور أحدهم الآخر ، و المراد اما الأشرار ، او الزيارة الدنيوية ــ ان اريد به الأعم من الأخيار ــ (ولا يتجاورون) أى لا يسكن أحدهم بجوار الآخر ، كما كانوا يتجاورون فى الدنيا .

(فاحذروا) يا (عباد الله) عن العاقبة السيّئة (حذر الغالب لنفسه) أى الذى غلب على نفسه ، فلم تتمكن من الانقياد الى شهواتها (المانع لشهوته) عن النفوذ و الارتواء (الناظر بعقله) أى الذى يفكّر فى الأمور ، ويأخذ بالأصلح (فانّ الأمر واضح) أى أمر السّعادة و الشّقاء ، واضح لا لبس فيه (و العلم) أى العلامة للخير و الشر (قائم) يراه الانسان ، كالعلم القائم فى الطريق ، مقابل العلم الساقط الذى لا يدل على طريق (و الطريق) الى الآخرة (جدد) أى مستوى مسلوك (و السبيل) الى الجنة (قصد) قويم مستقيم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لبعض اصحابه وقد سأله عليه السلام : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لبعض أصحابه ، وقد سأله عليه السلام : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام) اى الخلافة (وأنتم أحقّ به ؟ فقال) :

(يا أخا بنى أسد) أخو فلان ، يعنى انه من تلك القبيلة (انك لقلق الوضين) شئ يشدّ تحت بطن البعير لبقاء الرحل قويا مستويا ، وقلقه كناية عن عدم استحكامه ، فلا يتهناء الراكب فى ركوبه ، لتحرك ما تحته (ترسل) أى تقول الكلام (فى غير سدد) أى بدون استقامة ، وقلق الوضين ، مثال يقال لمن يتكلم اعتباطا ، . بدون ترو ، و دون مراعاة محل الكلام ، وكأنّ السّائل كان سأل هذا الكلام فى غير موضعه ، ولذا زجره الامام ،وحيث ان ((قلق الوضين)) و المتكلم فى غير موضعه ، شبيهان فى ازعاج الانسان ،استعير احدهما للآخر .

(ولك بعد) أى بعد هذا الذى ذكر من الاضطراب فى الكلام (ذمامة الصّهر) أى حماية صهر الانسان ، فانّ الانسان يراعى حقّ صهره و يحاميه ، فلك الحق فى أن أجيبك عن سئوالك ، وانكان فى غير مورده ، فانّ الرّجل كان أسديا ، وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش

وَحَقُّ ٱلْمَسْأَلَةِ ، وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَٱعْلَمْ : أَمَّا ٱلِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَنَحْنُ ٱلْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَٱلْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَوْطاً ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ؛ وَٱلْحَكَمُ ٱللهُ ، وَٱلْمَعْوَدُ إِلَيْهِ ٱلْقِيَامَةُ

أسدية ، والصهر علقة حاصلة بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة (و) لـك (حق المسألة) اذ للجاهل أن يسأل عن العالم بما يهمّه من أمر دينه ودنياه .

(وقد استعلمت) أى طلبت العلم (فاعلم) جوابك (امّا الاستبداد) أى استقلال عمر وأبى بكر وعثمان بالخلافة ، وانحصارها فيهم (علينا) أى على ضررنا (بهذا المقام) أى الخلافة (ونحن الأعلون نسبا) لانتسابهم الى عبد المطّلب الذى كان سيّدا عظيما ، وكذلك سائر أفراد أسرتهم (و الأشدّون برسول الله - صلى الله عليه وآله - نوطا) أى تعلقا (فانها كانت أثرة) أى اختصاص الشّخص بالشّئ وعزله عن مستحقّه .

(شحّت عليها نفوس قوم) أى بخلت عن وضع الحق فى موضعه ، والقوم هم الذين تقدموا على الامام (وسخت) أى سمحت (عنها نفوس آخرين) أى نفسه الكريمة ، فانه سخى بهذا المقام ، ليسلبه غيره ، حفظا لبيضة الاسلام ، فانه لوجرد سيفه وأراد أخذها منهم بالقهر لحدثت التفرقة ، مما تؤدى بالاسلام حيث ان الناس جديدو العهد به .

(والحكم) بيننا وبينهم (الله) وسوف يحاسب كل امرئ بما عمل (و المعود اليه القيامة) أى انّ العود اليه سبحانه فى الآخرة ، حيث يجـــزى

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ
وَهَاتِ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ
وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ؛

المشيب و يعاقب المسئ (و دع عنك نهبا صيح فى حجراته) البيت لامرء القيس وتتمته (و هات حديثا ، ما حديث الرواحل) فان جماعة نهبوا ابلا لامرء القيس فقال له : بعض أصدقائه اعرنى راحلتك حتى اركبها و التحق بهم واسترد الابل ، فأعطاه امرئ القيس راحلته ، ولما ذهب الرجل ليأخذ ابل امرءالقيس، أخذ اولئك هذه الراحلة أيضا منه و ردّ خائبا ، فقال امرئ القيس : دع عنك قصّة نهب الابل ، فانه أمر واضح ـ اذ الناهبون نهبوها فجئة و بغتةـ و الذى ينبغى التكلم حوله ، قصة الراحلة : هل انها أخذت من صديقى قهرا ، أم انه خاننى و أعطاهم اياهم خدعة بى ؟ و ((الحجرات)) بمعنى ((الأطراف)) و معنى ((صيح فى حجراته)) اى جرى الكلام حوله ، فهو شئ معلوم لا يحتاج الى السئوال و الجواب و ((ما)) خبر ، و ((حديث الرواحل)) مبتدء . و ((هات)) بمعنى قص وانقل و تكلّم حول ذلك .

و وجه تمثيل الامام عليه السلام ، انّ قصّة الخلفاء الثلاثة شئ معلوم ،لا يحتاج الى السئوال و الجواب ، فانهم نهبوا الخلافة بكل وضوح و جلاء ، وعرف ذلك كل أحد ، وانما الذى ينبغى التكلم حوله ، قصة معاوية ، الذى جاء يدعى الأمر بعد ما استقرّت السلطة بيدى و بايعنى الناس .

(وهلمّ) أى اذكر (الخطب) أى الأمر العجيب المدهش (فى) معاوية (ابن ابى سفيان) وادّعائه الخلافة (فلقد أضحكنى الدّهر بعد ابكائه) فانّ الانسان اذا دهمه امر حقير ، فأثّر فيه أثرا كبيرا ، يبكى اولا لما

وَلَا غَرْوَ وَٱللهِ ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ ! حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً ،

ناله ، ثم يرجع فيضحك متعجّبا من تفاهة الأمر الذى نابه فأثر فيه ما لم يكن مترقبا ، و هذا مثال يضرب لأمر تافه يؤثر أثرا غير مترقب (و لا غرو) أى لا عجب (و اللّه) فانّ حالة الدنيا هى هذه قديما وحديثا .

(فيا له خطبا) الخطب : الأمر المعجب المدهش ، و ((يا)) حرف نداء مناداه محذوف ، أى يا قوم و ((له)) عائد الى المتأخّر ، أو المعنى ((يا للخطب)) يعنى يا خطب أحضر فهذا وقتك ، كما قالوافى ((يا للعجب)) (يستفرغ العجب) أى يثير كلاما لدى الانسان من تعجّب ، حتّى يفرغ محل عجب الانسان ، و هذا لا ينافى قوله ((لا غرو)) فانّ الانسان اذا نظر الى تقلّب الدنيا لا يتعجّب ، و اذا نظر الى الأمر نفسه يتعجب ، أو هو مثل ما قال ابن هانى :

قدسرت فى الميدان يوم طرادهم فعجبت حتّى كدت لا أتعجّب

بمعنى انه فرع محل تعجبى من كثرة العجب (و يكثر الأود) أى الاعوجاج

(حاول القوم اطفاء نور اللّه من مصباحه) و هو الامام عليه السّلام (و سدّ فوّاره) أى فوّار النور ، و هو الثقبة التى يخرج منها النور بشدّة ـ كفوارة الماء ـ (من ينبوعه) أى عين النّور ، فان للنّور محلاّ للاشعاع كما للماء عين لاخراج الماء (و جدحوا) أى خلطوا (بينى و بينهم شربا وبيئا) أى نصيبا من الماء يوجب شربه الوباء ، أراد عليه السلام بذلك الفتنة التى اججوها ، حتى انّ من وقع فيها أصيبت و ابتلى ، كما يبتلى الشارب للماء الوبئ .

فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ ٱلْبَلْوَىٰ، أَحْمِلْهُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ عَلَىٰ مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ، «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

(فان ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى) المحن : جمع محنة ، وهى الشدّة ، و البلوى : الابتلاء ، يعنى اذا ارتفعت عنّا هذه الفتن ، بانهزام القوم (أحملهم من الحق على محضه) أى خالصه ، فانّى انّما أحارب للحق ، فان جاء الأمر بيدى عملت به ــ بكلّ دقّة و أمانة ــ (و ان تكن) الواقعة ، الخصلة (الأخرى) بأن لم أتمكن من السيطرة عليهم ، فلم ينهزموا (((فلا تذهب نفسك عليهم حسرات))) أى لا تمت غما من أجلهم ، فان الانسان اذا اشتدّ تحسّره و توجعه لأمر ، مات فجئة ، و الآية تنهى عن ذلك («ان الله عليم بما يصنعون») فهو يجازيهم بسوء أعمالهم .

وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في بيان صفة الخالق سبحانه ، وابتداعه للمخلوقات

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ . لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ . وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

في بيان صفة الخالق سبحانه ، وابتداعه للمخلوقات

(الحمد لله خالق العباد) جمع عبد ، والانسان عبد الله تعالى ، بما للكلمة من معنى ، لأن جميع أموره ابتداءا واستدامة منه سبحانه (وساطح المهاد) أى الأرض ، يقال سطحه بمعنى : بسطه (ومسيل الوهاد) جمع وهدة ، وهى : المنخفض من الأرض ، وتسييل الوهاد ، اسالة الأمطار فيها — بعلاقة الحال و المحل مثل جرى النهر — .

(ومخصب النّجاد) جمع نجد ، وهو : ما ارتفع من الأرض وتخصيبها انبات النبات فيها ممايسبب الخصب و الرخاء (ليس لأوليته) سبحانه (ابتداء) فكلّما تقدم الفكر فى طرف الابتداء ، كان سبحانه بلا انقطاع له ، حتّى يقال اول ابتدائه تعالى ، ذلك الوقت والا لزم الامكان و الحدوث ، و يوجب التسلسل او الدور — كما تقرر فى علم المعقول — .

(ولا لأزليّته انقضاء) أي ليس آخر لبقائه و دوامه ، بل هو باقى بلا آخر (هو الأول لم يزل) فى أوليته (والباقى بلا أجل) أى بدون مدة ، بل

خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْــهُ الشِّفَاهُ. حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا . لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ . لَا يُقَالُ لَهُ : «مَتَىٰ ؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّىٰ» . الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ : «مِمَّا ؟»

يبقى بلا آخر (خرت) أى سقطت خضوعا (له الجباه) جمع جبهة ، و المراد بالسجود له (و وحدته الشفاه) جمع شفة ، أى : قالت انه سبحانه واحد لا شريك له (حدّ الأشياء) أى جعل لكلّ شئ حدّا ، من زمان ومكان وكم و كيف . (عند خلقه لها ابانة له) أى تميزا لنفسه سبحانه (من شبهها) أى من شباهة الأشياء ، فهو تعالى لا حدّ له ، و الأشياء لها حدود .

(لا تقدّره الأوهام) أى الأفكار ، بأن تعرف قدره تعالى ، و تبين حدوده سبحانه (بالحدود و الحركات) بأن تقول الأوهام ان له تعالى كذا من الحدود وكذا من الحركات ، كما تحدّد حركات الانسان وحدوده ــ و ذلك لأنه تعالى لا حركة له و لا حدود ــ اذ كلا الأمرين يستلزمان الحدوث .

(و لا بالجوارح) جمع جارحة ، و هى : العضو ، فلا عين له سبحانه و لا يد ، وهكذا (و الأدوات) جمع ((أدات)) بمعنى : ((آلة)) كالقلب والكبد ، و الكلية ، وما أشبه (لا يقال له : متى ؟) كان بمعنى الزمان ، اذ لا زمان له ، بل الزمان مخلوق له (و لا يضرب له) تعالى (أمد) و مدّة فى بقائه (بحتّى) كأن يقال ((انّ الله باقى حتّى الوقت الفلانى)) و ذلك لأنه تعالى لا آخر له و ((حتّى)) للغاية (الظاهر ، لا يقال : ممّا ؟) فلا يقال من أى شئ ظهر ، كما يظهر النّبات من الأرض و الجنين من الرحم . فان ظهوره تعالى ليس من هذا القبيل ، بل بمعنى انه معلوم بآثاره وقدرته وصنائعه

وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ : «فِيمَا؟» لَا شَبَحٌ فَيُتَقَضَّى، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ.

(والباطن لا يقال : فيما ؟) فلا يقال فى أىّ شئ بطن ، كما يقال بطن الذهب فى الصندوق ، والانسان فى القبر ، فان كونه باطنا ، بمعنى انه غير ظاهر الكنه ، كالشئ الباطن الغائب عن الحواس .

(لا) انه سبحانه (شبح) أى جسم كسائر الأجسام (فيقتضى) أى يفنى و ينعدم كما تفن الأجسام (ولا محجوب) أى وراء حجاب جسمانى (فيحوى) أى يشمله ذلك الحجاب ، كما يشمل الحجاب الانسان وما أشبهه فان ذلك من صفات الأجسام ، وهو تعالى ليس بجسم (لم يقرب من الأشياء بالتصاق) كما يلتصق الأجسام بعضها ببعض وانما قربه سبحانه بالعلم والقدرة (ولم يبعد عنها) أى عن الأشياء (بافتراق) بأن يكون بينها مسافة ، اذ ذلك من صفات الجسم ، وانما بعده بمعنى انه ليس كمثل الأشياء فى الجسم والروح وما أشبه .

(لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة) اى امتداد بصر ، بدون حركة ، الجفن ، كان ابصر شاخص أى مسافر الى لجهة النظر (ولا كرور لفظة) أى رجوعها ، ولعل التخصيص بذلك لأجل ان رجوع اللفظ الى الحلقة أخفى و أيسر من خروجها الى الخارج ، وكرورها جر النفس بقايا اللفظ الى الداخل (ولا ازدلاف ربوة) ازدلف ، بمعنى : اقترب ، والربوة المحل المرتفع من الأرض ، يعنى وقوع نظر الانسان الى اول ربوة بعيدة من الربى ، فيمن يسير فى الصحراء ، فانه حتى مثل هذه النظرة مشمولة لعلم الله سبحانه .

وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ ، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ ٱلنُّورِ فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ،

(ولا انبساط خطوة) أي التى يخطوها الانسان ، فانّ الرجل تنفرج عند الخطوة ، سواء كان ذلك (فى ليل داج) اى المظلم من دجى بمعنى : أظلم (ولا غسق ساج) الغسق : الظلمة ، والمراد بها الليل ، والساجى بمعنى الساكن ، ونسبة السكون الى الليل من باب علاقة الحل والمحل ، اذ الساكن ما فى الليل ، لا الليل بنفسه ـ الا بضرب من الاعتبار ـ .

(يتفيّأ عليه القمر المنير) تفيّؤ اى نسخ ، فان نور القمر ينسخ سواد الليل وغسقه ، ويأخذ مكانه (وتعقبه) أى الغسق ، او الليل (الشمس) أى تأتى بعقب الليل ، وفى مكانه (ذات النور فى الأفول والكرور) أى فى كل من الغروب والطلوع ، فانّ الشمس عند غروبها تكون كالشئ يعقب الليل اذ تطرده من تحت الأفق ، وكذلك عند طلوعها تعقب الليل اذ تطرده من فوق الأفق .

(و) فى (تقلب الأزمنة والدهور) عطف على قوله ((فى ليل داج)) أى أنّ جميع الحركات والسّكنات معلومة لديه فى طول الأزمنة ، لا فى زمان دون زمان ، ويحتمل ان يكون ((تقلب)) بالرفع ، عطفا على ((شخوص)) أى لا يخفى عليه تقلب الأزمنة (من اقبال ليل مقبل) بيان لتقلب الأزمنة و الدهور (وأدبار نهار مدبر) فان كل ذلك مشمول علمه سبحانه .

وهو سبحانه (قبل كل غاية) للأشياء (ومدّة) لها ، والظاهر انّ

وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَىٰ عَمَّا يَنْحَلُهُ ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ ، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ . فَالحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

الفرق بينهما هنا ، ان الغاية اخر الشئ ، والمدة امتداد بقاءه (وكل احصاء وعدة) أى وتعداد ، اذ هو سبحانه قبل الأشياء ، فيكن بعددها و تعدادها ، الذى هو من الصفات العارضة للأشياء ٠

(تعالى) أى ارتفع سبحانه ــ ارتفاعا معنويا ــ (عما ينحله المحددون) أى ينسبه اليه تعالى الذين يجعلون له حدودا (من صفات الأقدار) بيان ((ما)) وصفات الأقدار ، الطول والعرض والعمق ، والكبر والصغر ،مما يتّصف به الأشياء ذات القدر والحدود ، فانه سبحانه برى من كل ذلك (و نهايات الأقطار) أى آخر الأبعاد الثلاثة ، فانّ ما لا قدر له ، لا نهاية له ــ فى جهة من الطول والعرض والعمق ــ ٠

(وتأثّل المساكن) أى انه سبحانه تعالى عن تأصل المسكن ،اى المساكن المتأصلة فليس له مسكن ، لا بد له منه ، كما لابد للانسان من ذلك .،. والاتيان بـ ((تأثل)) بمعنى ((تأصل)) مع انه لا مسكن له اطلاقا لافادة ، ان كل شئ له مسكن ، لابد وان يكون متأصلا فى الاحتياج الى المسكن (وتمكن الأماكن) فان المكان متمكن بالنسبة الى ذى المكان ، اى انه لابد له من المكان ٠

(فالحد) كيفا اوكما ، زمانا اومكانا ، (لخلقه مضروب) أى ان خلقه متّصف بهذه الصّفات ، لا هو تعالى (والى غيره) تعالى (منسوب) اما هو

لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَـلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَـا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِٱلْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِٱلْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ ،وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السمَاوَاتِ ٱلْعُلَىٰ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَىٰ .

منهـا : أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ ،

فمنزّه عن الحد (لم يخلق الأشياء من اصول ازليّة) بأن كانت أصول الأشياء و موادها ، وانما كان الله سبحانه صورها ــ كما يقول القائلون بقدم العالم ــ بل الله سبحانه خلق المادة وخلق الصورة .

(بل خلق ما خلق) من الأشياء (فأقام حدّه) أى جعل له حدّا خاصّـا به (وصور ما صور) أى أعطاه صورة خاصة ، كصورة الانسان ، وصورة الحيوان وما أشبه (فأحسن صورته) فأتقنها وأحكمها (ليس لشئ منه) سبحانـه (امتناع) بل كلما يريد يكون .

(ولا له) تعالى (بطاعة شئ انتفاع) وانما الطاعة لانتفاع المخلوقيـن (علمه) تعالى (بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين) فانّ علمـه بالنسبة الى جميع المعلومات متساوى ، من دون تفاوت بين الماضى والمستقبل والحال (وعلمه بما فى السماوات العلى) أى العالية المرتفعة (كعلمه بمافى بالأرضين السفلى) لا يفترق بالنسبة الى علمه المرتفع والمنخفض .

(منها) : أى بعض هذه الخطبة (أيها المخلوق السّوىّ) اى المستوى الخلقة ، لا نقص فيه ، بل صنع كل شئ منه على وجه الاتقان والأحكام (والمنشأ) أى الذى انشأ وابدع (المرعى) الذى رعى وحفظ بحفظه سبحانه وبرعايتـه

فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ « مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » ، وَوُضِعْتَ « فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ » ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ؛ ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَىٰ دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ

تعالى (فى ظلمات الأرحام) ظلمة البطن وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة (و مضاعفات الاستار) أى الاستار التى بعضها فوق بعض ،وهى الطبقات الثلاثة المذكورة .

(بدئت من سلالة من طين) السلالة الخالص من الشئ ، الذى ينسل ــ أى يخرج ــ منه ، فان كل انسان اصله تراب ، ثم ينقلب عشبا ، ثم دما ثم منيا (ووضعت فى قرار مكين) هى رحم الأم ، فان المنى يستقر فيها ، و كونها مكينا ، لأنها ذات تمكن من حفظ النطفة .

(الى قدر معلوم) أى الى مدة معلومة مقدرة للحمل ، وهى بين ستةأشهر وسنة ، حسب اختلاف المقدر لكل جنين ، (وأجل مقسوم) اى نهاية قسمها الله سبحانه لهذا الجنين (تمور) أى تضطرب (فى بطن أمك) فى حال كونك (جنينا لا تحير دعاء) اى لا ترد جواب من يدعوك ، من ((ما أحار جوابا)) اى ما رد (ولا تسمع نداء) لمن يناديك لعدم قابلية اذن الجنين للسماع .

(ثم اخرجت من مقرك) فى البطن (الى دار لم تشهدها) أى لم ترها قبل ذلك ، وهى دار الدنيا (ولم تعرف سبل منافعها) اى الطرق التى تجر المنفعة اليك (فمن هداك) وانت طفل (لاجترار الغذاء من ثدى

أُمُّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ! هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ !

امك) ؟ بسبب المص ، أليس هذا دليلا على مدبر حكيم عليم خلقك وهداك الى ذلك .

(و) من (عرفك عند الحاجة) الى شئ من الطعام والافراغ (مواضع طلبك وارادتك) فتمص الثدى دون غيره ، وتبكى اذا اردت ذلك ؟ وهكذا من عرفك الافراغ لدى الحاجة (هيهات) كلمة تستعمل لاستعباد الأمر ، و المراد هنا استبعاد ان يفهم الانسان كنه الخالق (ان من يعجز عن صفات ذى الهيئة والأدوات) اى ذى الشكل والجوارح ، وهو الانسان .

(فهو عن صفات خالقه أعجز) لأن الخلق اذا كان مع وضوحه متعذر الوصف وبلوغ الكنه ، فالخالق لغموضه ابعد فهما ، واغمض ادراكا ووصفا (ومن تناوله) أى يتناوله الانسان ، بمعنى يدركه (بحدود المخلوقين) فيظن انه محدود بالكم والكيف والزمان والمكان (أبعد) عن الفهم والادراك .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان
وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَوَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ.

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

(لما اجتمع الناس اليه ، وشكوا ما نقموه على عثمان ، وسألوه مخاطبة عنهم ، واستعتابه لهم) اى يطلب الامام عليه السلام منه ان يرضى الناس ((فدخل عليه)) حاملا لرسالة الناس اليه ((وقال)) :

يا عثمان (انّ الناس ورائى) اى خلفى ، فى المدينة (وقد استسفرونى) اى جعلونى سفيرا ، وهو حامل الرسالة بين شخصين (بينك وبينهم) لأودى رسالتهم اليك ، وكلامك اليهم (و والله ما ادرى ما اقول لك) هذا كناية عن عدم جهله بشئ من أمر نفسه و أمر الناس ، حتى ينبه و يرشد (ما أعرف) من طلبات الناس (شيئا تجهله) انت حتى ابين لك

(ولا ادلك على أمر لا تعرفه) بل انت تعرف وجه نقمة الناس عليك (انك لتعلم) من أمر الاسلام (ما نعلم) من واجباته و محرماته (ما سبقناك الى شئ) بأن اخذناه دونك (فنخبرك عنه) لتعرفه (ولا خلونا بشئ) من أمر الدين — الواجب على كافة المسلمين — (فنبلغكه) اى نبين لك ذلك الشئ

وقدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ أَوْلَىٰ بِعَمَلِ ٱلْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا ؛ وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا .

(وقد رأيت) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأمور المرتبطة بالاسلام (كما دفعكم رأينا) نحن .

(وسمعت) كلام الله والارشاد من الرسول (كما سمعنا) نحن (وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله) فعرفت سيرته (كما صحبنا) نحن ، و هذه الجمل لتأكيد انه يعلم ماذا يجب عليه ، فلا موضع لأن يرشد الى مجهول (وما ابن ابى قحافة) ابوبكر (ولا ابن الخطاب) عمر (اولى بعمل الحق منـــك) لأن الكل متساوون عند الله تعالى يريد من جميعهم العمل .

(وانت أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة) اى اشتباك (رحم) وقرابة (منهما) اى من عمر وابى بكر ، فان عثمان من بنى امية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع اجداد النبى صلى الله عليه وآله واما ابو بكرفهو من بنى مرة سابع اجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن عدى بن كعب ثامن اجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا حسب الظاهر ، والا مامية كان لصيقا وعمر كان غير نقى النسب .

(وقد نلت من صهره) أى مصاهرة الرسول صلى الله عليه وآله (ما لـــم ينالا) فقد تزوج عثمان به بنتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رقيه ، و ام كلثوم ، وكان هذا من اكبر الشرف ــ لوعرف قدره ــ وهذا لتأكيد انه اوجب

فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ - وَاللهِ - مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى ، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ

بعمل الحق منهما (ف) اذكر (الله الله فى) جهة (نفسك) لا تعرضها للهلكة فى الدنيا و العقوبة فى الآخرة ٠

(فانك - والله ما تبصر من عمى) اى اذا قال لك شخص وجه الخلاص من هذه المشكلة ، لم يكن ذلك شيئا لا تعرفه ، فانت اعرف بمظالمك عند الناس (ولا تعلم من جهل) بأن لا تعلم سبب نقمة الناس ، ثم تعرفه بمقالة قائل (وان الطرق لواضحة) اى طرق الاسلام ، والمراد احكامه (وان اعلام الدين لقائمة) اعلام الدين ، ما يدل على احكامه ، كما ان اعلام الطريق تدل على الطريق المنجح الموصل ٠

(فاعلم ان افضل عباد الله ، عند الله امام عادل) يعدل بين الناس (هدى) الى الحق ، بأن تعلمه (وهدى) الناس اليه (فأقام سنة معلومة) بأن عمل بها و نشرها بين الناس (وامات بدعة مجهولة) اى لا يعرفها الشرع ، ولا يعترف بها (وان السنن) اى الاحكام التى سنّها الله ورسوله ، فى كيفية ادارة الامة (لنيرة) واضحه (لها أعلام) اى ادلة من الشريعة ، كما ان الطريق له اعلام ، تدل الانسان صوبه ٠

(وانّ البدع لظاهرة لها اعلام) اى ادلة تدل على انها بدع ، فليس لأحد ان يرتكبها زاعما انه لا دليل على ان الشئ الفلانى بدعة (وان شر الناس

عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ : «يُؤْتَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِٱلْإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ ٱلرَّحَىٰ ، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا » . وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ انْ لَّا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ،

عند الله امام جائر) الامام هو المقتدى سواء كان بحق او باطل قال سبحانه : ((و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا)) وقال : ((أئمة يهدون الى النار)) (ضل) عن الطريق (وضل به) اى ضل الناس بسببه لأنه نشر البدع فأخذ بها الناس (فأمات سنّة مأخوذة) قد أخذها الناس وعملوا بها (واحيا بدعةمتروكة) عند المسلمين (وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر) الذى جار وظلم (وليس معه نصير) ينصره (ولاعاذر) يقبل عذره ، او يبين عذره فى اعماله التى عملها (فيلقى فى جهنم فيدورفيها) لحيرته وارادته الفرار والنجاة (كما تدور الرحى) حول نفسها ·

(ثم يرتبط فى قعرها) اى يشد فى الطبقة السفلى من جهنم ، لأنه اشد الناس جرما ، ولذا يكون من اشد الناس عذابا (وانى انشدك الله) أى أقسمك بالله (ان لا) تفعل ما بسببه (تكون امام هذه الامة المقتول) الذى يفتح على المسلمين المضاربة والمقاتلة ·

(فانه كان يقال) ولعله لتذكيره بما علم سابقا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يقتل فى هذه الأمة امام يفتح) ذلك الامام (عليها) اى على الأمة (القتل والقتال الى يوم القيامة) وقد كان كذلك فان انحراف عثمان

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ عَلَيْهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: «كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ»

الموجب لقتله اوجب انشقاق الامة الى سنة و شيعة ، و التاريخ يدل على ما وقع بين الطائفتين من المآسى ، بينما لو كان الأمر طبيعيا ، لكان الامام يملك زمام الحكم ويحكم بين المسلمين على الكتاب و السنة و يتسلسل الأمر بلا خلاف وتشاحن .

(و يلبس) ذلك القتل (امورها عليها) فلا يدرون الحق من الباطل (و يبث) اى ينشر (الفتن عليها) كفتنة الجمل و صفين و الخوارج و غيرها (فلا يبصرون الحق من الباطل) و ذلك لالقاء الطامعين الفتن و القلاقل بين الناس .

(يموجون فيها) كما يموج البحر ، و الضمير عائد الى الفتنة (موجا) مصدر للتأكيد (و يمرجون فيها مرجا) اى يخلطون بين الحق و الباطل فى تلك الفتنة (فلا تكونن) يا عثمان (لمروان سيقة) هو ما استاقه العدو من الدواب ، وقد كان مروان ــ ابن طريد رسول الله ــ مستشارا لعثمان و كان احمق منافق ، عابد شهوة وفجور ، و هو الذى اشعل الفتنة ،حتى استبد بالأمر ،و كان عثمان ملّكه زمام الدولة فى الواقع ، فأردى المسلمين بهذا المهوى السحيق (يسوقك حيث شاء بعد جلال السن) اى تقدمه (و تقض العمر) أى انقضائه .

(فقال له عثمان) فى جواب طلبه عليه السلام منه الاصلاح (كلم الناس)الثائرين (فى ان يوجلونى) اى يمهلونى مدة (حتى اخرج اليهم من مظالمهم) و أرفع

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا كَانَ بِٱلْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

الظلم عنهم ؟ (فقال عليه السلام) له : (ما كان) من المظالم (بالمدينة) **كالحمى ، وحبس اموال المسلمين و نحوهما (فلا أجل فيه) لانك تقدر أن** تنفذ الأمر فى ظرف يوم (و ما غاب) عن المدينة ، كالمظالم بالأمصار (فأجله وصول أمرك اليه) والآن تتمكن من ارسال الرسل لرد مظالم الناس فى الآفاق ،و معنى كلام الامام عليه السلام انه لا وجه للتأجيل لكن عثمان ركب راسه و تمادى فى **المظالم** ، حتى قتله المسلمون و وقعت الفتنة .

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة

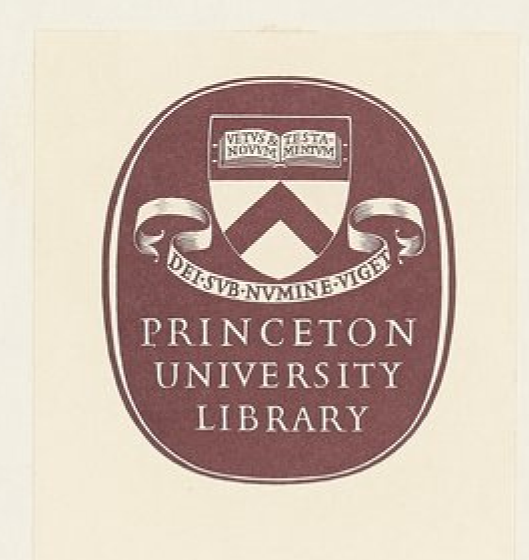
الموضوع	رقم الصفحة

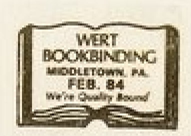
الموضوع	رقم الصفحة
ومن خطبة له عليه السلام : وهى من خطب الملاحم	١٦٤
ومن خطبة له عليه السلام : فى صفة الله و ذكر الملائكة و بيان الخلق و الاشارة الى البعث	١٧٥
ومن خطبة له عليه السلام : فى اركان الاسلام	١٩٢
ومن خطبة له عليه السلام : فى ذم الدنيا	١٩٦
ومن خطبة له عليه السلام : ذكر فيها ملك الموت	٢٠٧
ومن خطبة له عليه السلام : فى ذمّ الدنيا	٢٠٩
ومن خطبة له عليه السلام : فى وعظ الناس	٢١٤
ومن خطبة له عليه السلام : فى الاستسقاء	٢٢٣
ومن خطبة له عليه السلام : فى تعظيم ما حجب عن الناس وكشف له و الأخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفى	٢٢٩
ومن كلام له عليه السلام : يوبخ البخلاء بالمال و النفس	٢٣٣
ومن كلام له عليه السلام : فى مدح أصحابه و تحريضهم على العمل	٢٣٤
ومن كلام له عليه السلام : وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا	٢٣٦
ومن كلام له عليه السلام : فى بيان بعض فضله ، ووعظ الناس	٢٣٩
ومن خطبة له عليه السلام : بعد ليلة الهرير	٢٤٢
ومن كلام له عليه السلام : قاله للخوارج ، وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة	٢٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
ومن كلام له عليه السلام : قاله لأصحابه فى ساحة الحرب بصفين	٢٥٢
ومن كلام له عليه السلام : فى التحكيم	٢٦٠
ومن كلام له عليه السلام : لما عوتب على التسوية فى العطاء	٢٦٦
ومن كلام له عليه السلام : وفيه يبيّن بعض أحكام الديـن و يكشف للخوارج الشبهة و ينقض حكم الحكمين	٢٦٨
ومن كلام له عليه السلام : فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة	٢٧٥
ومن خطبة له عليه السلام : فى ذكر المكاييل و الموازين	٢٨٠
ومن كلام له عليه السلام : لأبى ذر رحمه الله لما اخرج الـى الربذة	٢٨٥
ومن كلام له عليه السلام : وفيه يبيّن عليه السلام قبوله ،اى الخلافة ، ويصف الامام الحق	٢٨٨
ومن خطبة له عليه السلام : وفيها وعظ و تزهيد و تذكير	٢٩٢
ومن خطبة له عليه السلام : فيها تعظيم لله سبحانه ،وذكر للقرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعظ الناس	٢٩٦
ومن كلام له عليه السلام : وقد شاوره عمر بن الخنطاب فى الخروج الى غزو الروم	٣٠٣
ومن كلام له عليه السلام : وقد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان ،فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان : انا اكفيكه ، فقال على عليه السلام للمغيرة :	٣٠٦
ومن كلام له عليه السلام : فى امر البيعة	٣٠٧
ومن كلام له عليه السلام : فى شأن طلحة والزبير وفى البيعة له	٣٠٩

الموضوع	رقم الصفحة
و من خطبة له عليه السلام : يوصى فيها الى ذكر الملاحم	٣١٣
و من كلام له عليه السلام : فى وقت الشورى	٣١٨
و من كلام له عليه السلام : فى النهى عيب	٣١٩
و من كلام له عليه السلام : فى النهى عن سماع الوقيعة وترتيب الأثرعليها ، و فى الفرق بين الحق و الباطل	٣٢٢
و من كلام له عليه السلام : فى مواضع المعروف	٣٢٤
و من خطبة له عليه السلام : فى الاستسقاء	٣٢٦
و من خطبة له عليه السلام : فى بعثة الرسل ، و فضل أهل البيت، و أحوال أهل الضلال	٣٣١
و من خطبة له عليه السلام : فى فناء الدنيا ، و ذم البدعة	٣٣٥
و من كلام له عليه السلام : وقد استشاره عمر بن الخطاب فى الشخوص لقتال الفرس	٣٣٨
و من خطبة له عليه السلام : و فيها بيان علة البعثة ، و فضل القرآن ، و الناس فى المستقبل ، وعظمة الناس	٣٤١
و من كلام له عليه السلام : فى ذكر اهل البصرة	٣٥٠
و من كلام له عليه السلام : قبل موته	٣٥٣
و من خطبة له عليه السلام : فى الملاحم ، و فى وصف اهل الضلال	٣٥٨
و من خطبة له عليه السلام : و فيها تحذير من الفتن	٣٦٤
و من خطبة له عليه السلام : فى صفة اللّه سبحانه ، و صفة أئمّة الدين	٣٧٢

الموضوع	رقم الصفحة


VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
MIDDLETOWN, PA.
FEB. 84
We're Quality Bound



نهــج البلاغـة

ليس « نهج البلاغة » قمة أدبية سامقة فحسب، بل انه ــ أيضاً ــ نهج للحياة . .

الحياة بكل مافيها من صور وجوانب وأبعاد . .

انه يرى الانسان الطريق الافضل فى الحقول الفكرية، والروحية والنفسية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعيـة ، والجهادية . . ويهدى للتى هى أقوم .

لقد حركت كلمات « نهج البلاغة » ــ وهى تخرج من بين شفتى الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ــ الجيل الذى عاصر الامـام عليه السلام ، ودفعته الى ميادين الجهاد المقدس ، وصنعت امة ، وأقامت حضارة . .

وظلت كلمات « نهج البلاغة » مصدر الهام عظيم للاجيـال فى مسيرتها الحضارية على امتداد أربعة عشر قرناً من الزمن .

. . والكتاب الذى بين يديك ــ أيها القارىء الكريم ــ هو شرح لـ« نهج البلاغة » . .

وهو شرح تحرّى المؤلف فيه تقريب « نهج البلاغة » الى أذهان الجماهير . . ومن هنا : فقد جاء واضحاً ومبسطاً . .

انه كتاب للجماهير . . كل الجماهير . .

الناشرون

الثمن : ٤٠٠ ريال